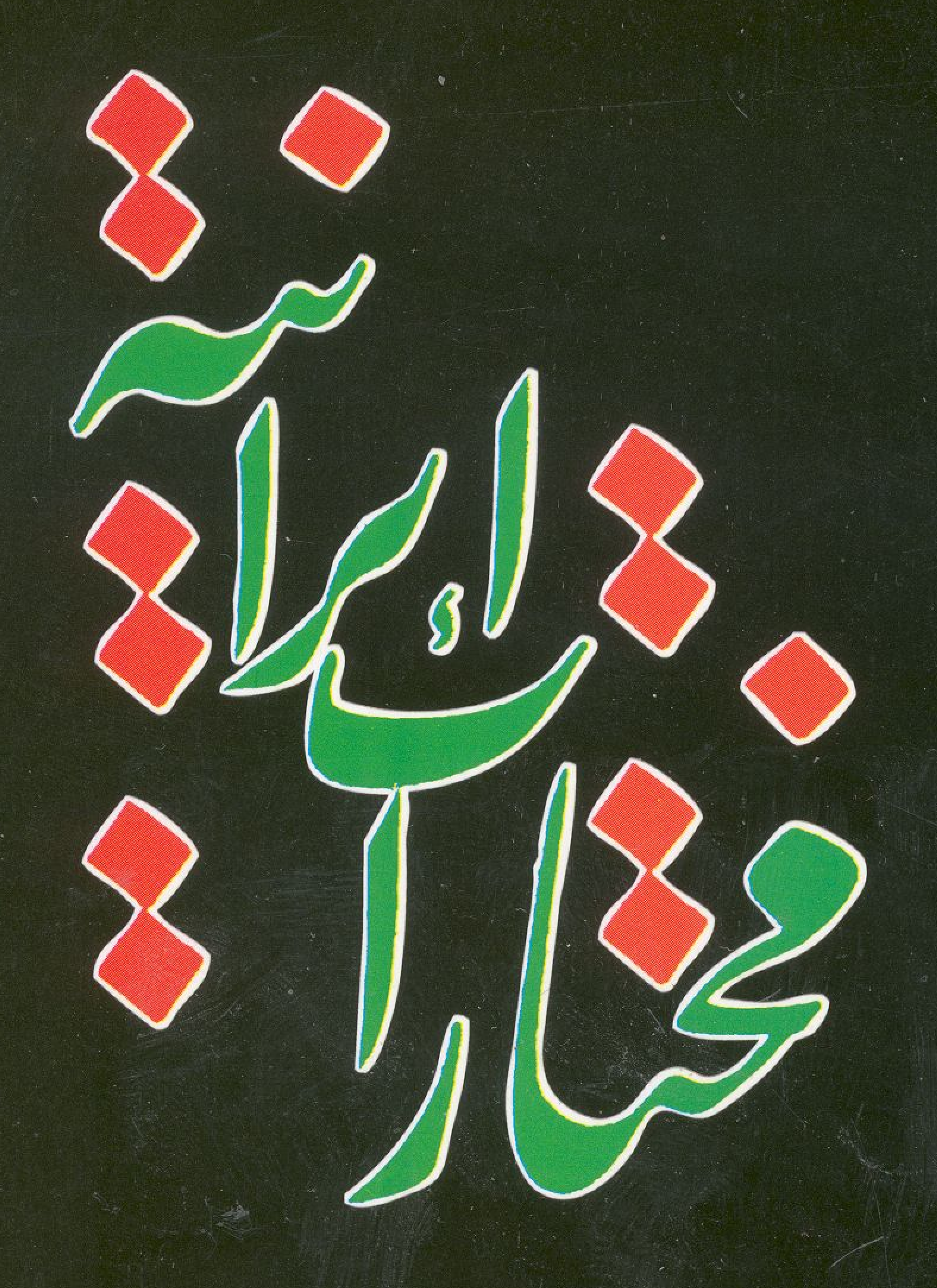




السنة السادسة
العدد ٧٧ - ديسمبر ٢٠٠٦



- إيران وخريطة الطريق الجديدة للشرق الأوسط
- خمسة أسباب لعجز إسرائيل عن مهاجمة إيران
- المناورات البحرية الأمريكية والإيرانية فى الخليج: الرسائل والمغزى
- تحالف إيران - روسيا أم اختلاف واشنطن - موسكو؟
- انتخابات مجلس الخبراء (ملف خاص)
- فوز الديمقراطيين والعلاقات مع إيران

٧٧



السنة السادسة - العدد ٧٧ - ديسمبر ٢٠٠٦

صورة الغلاف
تقرير "لجنة بيكر- هاميلتون" يحاول إنقاذ المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط من الورطة الأمريكية فى العراق، لأنه يقدم البديل للخيار الأمريكي الصعب بين التخلي عن المشروع الأمريكى أو مواجهة الفشل

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية ت : ٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠/٥٧٨٦٣٠٠ فاكس : ٥٧٨٦٠٢٣/٥٧٨٦٠٣٧



٢

«مختارات إيرانية» دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس ، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط ، وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا . ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية» ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث ، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر .

ويسعد « مختارات إيرانية » تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة .

المحتـويـات

افتتاحية

إيران وخريطة الطريق

لم يكن إقليم الشرق الأوسط فى أى مرحلة من المراحل كما هو الآن عصى على القراءة والتحليل، ولم يكن لغزاً على صانعى السياسة الخارجية الأمريكية كما هو الآن. ونستطيع أن نقول، دون تحفظ، أن السياسة الخارجية الأمريكية لم تكن منقسمة على نفسها كما هى الآن. وجاء تقرير "لجنة دراسة العراق" برئاسة كل من جيمس بيكر وزير الخارجية الأسبق (جمهورى) ولى هاميلتون النائب الديمقراطى السابق، ليس فقط ليؤكد هذا الانقسام، ولكن ليضع الإدارة الأمريكية وجهاً لوجه مع أخطائها الفادحة، ويضعها، لأول مرة، فى مواجهة مع عناد أصبح فارغاً وهشاً يرفض الاعتراف بالهزيمة، وضغوط مادية ومعنوية تفرض التغيير والمراجعة.

ربما لا يكون العناد وحده هو المسئول عن تردد الإدارة الأمريكية فى التعامل مع تقرير "لجنة بيكر-هاميلتون"، لكن هناك أيضاً إدراك عبر عنه وزير الدفاع الأمريكى الجديد روبرت جيتس مفاده أن الوضع فى العراق خلال العامين المقبلين – على حد قوله – "سيعيد تشكيل منطقة الشرق الأوسط برمتها لسنوات"، كما أن "الوضع الجيو-سياسى العالمى سيتأثر أيضاً بما ستؤول إليه حال العراق إلى جانب تأثر العراقيين والأمريكيين مباشرة". جيتس الذى حذر من الفشل الأمريكى فى العراق، أقر أيضاً بأن "كل الخيارات واردة فى العراق بما فيها احتمال إنهاء الحرب"، وأقر كذلك بأن طريقة التعامل الأمريكية خلال السنة أو السنتين القادمتين "هو الذى سيقرر ما إذا كانت أمريكا ومعها الشعب العراقى. والرئيس القادم للولايات المتحدة الأمريكية سيواجهون وضعاً فى العراق والمنطقة يتحسن ببطء واضطراد أم سيواجهون مخاطر حقيقية لاندلاع حريق شامل"، ولعل هذا ما دفع الرئيس الأمريكى جورج بوش إلى أن يفقد سيطرته على إنفعالاته وأن يضرب بيده بقوة على "المنبر" فى مؤتمره الصحفى مع رئيس لاتفيا على هامش قمة دول حلف شمال الأطلسى قائلاً: "ثمة شئ واحد لن أقوم به، لن أقوم بسحب القوات من ساحة المعركة قبل إتمام المهمة".

بوش فعل هذا وقال ما قاله رداً على مضمون تقرير "لجنة بيكر – هاميلتون"، الذى خيره، وكما تقول صحيفة "تايمز" البريطانية بين خيارين أحلاهما مُر: فإما التخلى عن سياساته الخارجية، أو مواجهة الفشل الحتمى فى العراق وعبره فى الشرق الأوسط. هذان الخياران يكشفان جوهر ما حاول تقرير "لجنة بيكر – هاميلتون" أن يؤكده من ناحية وأن يضع معالمه من ناحية أخرى.

فما يحدث فى العراق الآن، وكما أشار وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس، هو الذى سيحدد معالم الخريطة الجديدة لإقليم الشرق الأوسط: ففى حالة الانتصار الأمريكى فإن المشروع الإمبراطورى الذى تقف وراءه إدارة جورج بوش سوف يفرض نفسه على معالم هذه الخريطة الجديدة فى الشرق الأوسط. أما فى حالة الفشل فإنه لن يضع نهاية للمشروع الإمبراطورى الأمريكى فقط بل سيفرض مشروعاً آخر بديلاً تتحدد من خلاله معالم الخريطة السياسية الجديدة لإقليم الشرق الأوسط. وفى ظل هذه الحالة المفرطة فى سيولة التنبؤات وتعقد القراءات، وفى ظل يقين أعضاء "لجنة دراسة العراق" أو "لجنة بيكر – هاميلتون" باستحالة الانتصار العسكرى، فإن التقرير الذى أعدته اللجنة يعتبر من وجهة نظر أعضائها "الخيار الأمثل" أو البديل الأمثل للخيار الأمريكى الصعب بين ما تحدثت عنه صحيفة "تايمز": إما التخلى عن المشروع الأمريكى أو مواجهة الفشل.

بهذا المعنى يمكن وصف التقرير بأنه يعد بمثابة "خريطة طريق جديدة لإقليم الشرق الأوسط"، لأنه يحاول إنقاذ المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط من الورطة الأمريكية فى العراق، فهو – أى التقرير – يقبل بتقديم تنازلات أمريكية جزئية مقابل إنقاذ الأجزاء الأهم من المشروع الأمريكى فى العراق والحيلولة دون التداعى الكامل للمشروع الأمريكى فى الشرق الأوسط. فالتقرير، وحسب فهم الرئيس الأمريكى جورج بوش له، يركز على ثلاث توصيات: أولها، تغيير تركيز القوات الأمريكية فى العراق من دور قتالى إلى دور داعم ومساند للقوات العراقية. وثانيها، سحب القوات القتالية الأمريكية من العراق بحلول الربع الأول من عام ٢٠٠٨ فى حالة عدم ظهور مستجدات تتطلب التواجد هناك. وثالثها، بذل جهود دبلوماسية لتحقيق سلام شامل فى المنطقة، لذلك فإن التقرير لا يفرض تغييرات استراتيجية بالنسبة للمشروع الأمريكى فى العراق بقدر ما يطرح تعديلات تكتيكية، فهو لا يتحدث عن الانسحاب الكامل و الشامل من العراق، و لم يشر إلى مسألة الاحتفاظ بقواعد عسكرية أمريكية متطورة فى العراق من عدمها بما يعنى القبول الضمنى بذلك، أو بالأحرى الحرص على تحقيقه ضمن ما يسعى التقرير إلى إنقاذه من أهداف ومصالح أمريكية فى العراق، لكن فى المقابل يطالب التقرير بعقد مؤتمر إقليمى لإعادة الاستقرار فى العراق يمكن أن يؤدى إلى محادثات مباشرة بين الولايات المتحدة وكل من إيران وسوريا، كما يطالب بالدعوة إلى خطة شاملة لإقرار السلام فى الشرق الأوسط تشمل حل القضية الفلسطينية، وذلك فى إطار توجه إقليمى أوسع لإعادة الاستقرار فى العراق.

فقد أقر التقرير بأنه نظراً لقدرة إيران وسوريا على التأثير على الأحداث فى العراق ومصالحهما فى تفادى الفوضى فى العراق، على الولايات المتحدة أن تحاول التعامل معهما بشكل بناء فى إطار السعى إلى التأثير على سلوك هذين البلدين.

كما أقر التقرير بأن الولايات المتحدة "لا تستطيع تحقيق أهدافها فى الشرق الأوسط إلا إذا تعاملت بشكل مباشر مع الصراع العربى- الإسرائيلى واستقرار المنطقة. ويجب أن يكون هناك التزام متجدد ومعزز من قبل الولايات المتحدة بالتوصل إلى سلام عربى- إسرائيلى شامل وعلى كل الجهات".

هذا الإقرار بضرورة التعامل مع إيران وسوريا من ناحية، وتحقيق سلام عربى – إسرائيلى شامل وعلى كل الجهات بما فيها لبنان وسوريا من ناحية ثانية، دافعه وعى أعضاء اللجنة بأن الولايات المتحدة تواجه حوافز وعواقب، أى أن أمامها مصالح تريد الحفاظ

الجــــديدة لـلـشــــرق الأوسـط

عليها أو إنقاذها، لكنها في الوقت نفسه يجب أن تدفع الثمن مقابل ذلك في شكل تنازلات.

هل هذا يعنى أن إيران أمامها فرصة تاريخية فى أن تفرض نفسها كقوة إقليمية فاعلة فى الشرق الأوسط؟!

ليس بهذه السهولة. فإذا كانت إيران قد حققت مكاسب مهمة في كل من العراق ولبنان وخاصة بعد فشل الحرب الإسرائيلية على لبنان في تحقيق أهدافها بالقضاء على حزب الله عسكرياً وسياسياً، فإن هناك تحديات حقيقية تحول دون تمكين إيران من كسر القيود المفروضة عليها للانطلاق كقوة إقليمية كبرى. أول هذه التحديات إقليمي عربي، وإقليمي إسرائيلي، فالدول العربية مستفزة من الدور الإيراني فى العراق الداعم للشيعة وللأكراد على حساب السنة، لكن الأهم هو أن الموقف الشعبي العربي أيضاً مستفز من المهادنة الإيرانية للأمريكيين في العراق على مدى السنوات الماضية من عمر الاحتلال الأمريكي للعراق. فالقوى السياسية الفاعلة في العملية السياسية العراقية التي ترعاها واشنطن أغلبها له ولاء لإيران أو على الأقل حليف سياسي وأمني لإيران.

هذا الموقف الإيراني انعكس سياسياً على مصداقية الدور الإيراني في لبنان بل وامتدت هذه المشاعر جزئياً إلى حزب الله. إذ لا يعقل أن يدخل حزب الله في صراع سياسي عنيف مع أصدقاء الولايات المتحدة في لبنان في حين أن إيران حليفة وصديقة للقوى العراقية الصديقة والحليفة لواشنطن.

هذه المشاعر العربية الرسمية والشعبية تقف حجر عثرة أمام القبول بإيران كقوة إقليمية فاعلة سواء على مستوى معادلة العلاقات الإقليمية والأمن الإقليمي فى الخليج، أو على مستوى العلاقات الإقليمية الأوسع في إقليم الشرق الأوسط.

أما التحديات الإقليمية الإسرائيلية فهي أشد تعقيداً. فإسرائيل تشعر بأنها المستهدفة من تقرير "لجنة بيكر – هاميلتون" الذي جاءت توصياته بمثابة صدمات هائلة للإسرائيليين. عندما أقرت بالانسحاب الأمريكي من العراق، وعندما ربطت حل الورطة الأمريكية في العراق بالأزمات الإقليمية الملتهبة الثلاث: الصراع العربي – الإسرائيلي، والبرنامج النووي الإيراني، والصراع الدائر في لبنان، وعندما أقرت بضرورة فتح حوار أمريكي مع كل من إيران وسوريا، بما يعنى وضع نهاية للحرب الأمريكية ضد ما يسمى بـ "محور الشر" الذي يضم إيران وسوريا وكلا من حزب الله وحركة حماس، وتفكيك رابطة ما أسمته وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس بـ "محور الخير" أو "محور الاعتدال" الذي شكلت نواته بالاجتماع حتى الآن مرتين مع وزراء خارجية من أسمتهم بـ "مجموعة ٦+٢"، أي دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن، والذي كانت تطمع إسرائيل أن تكون طرفاً أساسياً فيه، ولو بشكل غير مباشر لإحكام الحصار على محور الشر.

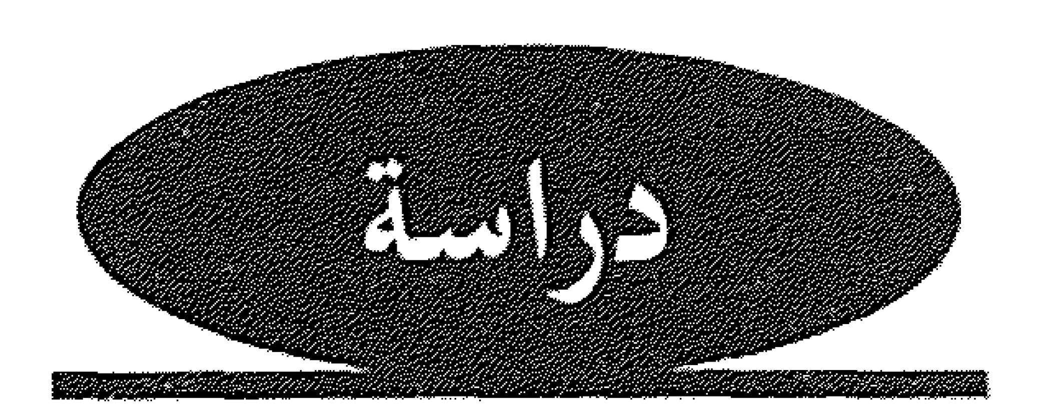
لهذه الأسباب يدرك الإسرائيليون أنهم أول المعنيين بدفع ثمن الهدوء المطلوب في العراق، لذلك أسرع إيهود أولمرت الذي غادر إسرائيل في زيارة إلى ألمانيا تتزامن مع مؤتمر "الهولوكوست" الذي نظمته إيران في طهران، إلى نفي أي علاقة بين الملفين العراقي والفلسطيني، كما أسرع كل من شمعون بيريز النائب الأول لرئيس الوزراء وتسيبي ليفني وزيرة الخارجية بالذهاب إلى واشنطن في محاولة لاحتواء ما جاء في تقرير "لجنة بيكر-هاميلتون"، حيث أكدت ليفني في لقائها مع وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي على أهمية وجوب اتخاذ قرارات دولية بسرعة لفرض عقوبات على إيران "لأن الإيرانيين يحاولون كسب الوقت"، وقالت: "إنهم يحاولون التحكم بالتكنولوجيا بينما نحن نتحدث الآن".

الأهم والأخطر من ذلك تعمد إيهود أولمرت تسريب معلومات عن امتلاك إسرائيل أسلحة نووية في محاولة لكسب الأمر الواقع وممارسة ضغوط على الولايات المتحدة للقبول بإسرائيل كقوة نووية عالمية ودمجها رسميا ضمن الدول الأعضاء في "النادي النووي" الذي يضم حتى الآن خمس دول فقط هي الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن التي امتلكت السلاح النووي قبل طرح معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية للتصويت العالمي ابتداءً من عام ١٩٦٨.

أما الضغوط والقيود الدولية فهي الأقوى، وإذا كانت الإدارة الأمريكية والرئيس الأمريكي جورج بوش قد حاول إبداء التريث في قبول توصيات "لجنة بيكر- هاميلتون"، والتأكيد على أن هناك تقارير أخرى لا تقل أهمية سترد إلى الرئيس من البنتاجون ومن مجلس الأمن القومي ومنها جميعا سيتم إعلان موقف أمريكي وسياسة أمريكية جديدة بشأن العراق، فإن كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية وتوني بلير رئيس الحكومة البريطانية قد تعمدا استباق الأحداث وإعلان تأكيدات حاسمة تنفي أي نية لتفاوض الولايات المتحدة مع إيران أو سوريا بخصوص العراق. ففي مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية قالت رايس أنه "من غير الوارد أن تصل الولايات المتحدة إلى وضع يمكن أن تتصور في ظله سوريا أو إيران أنه من الممكن المساومة على مستقبل لبنان لقاء مصالح أمريكية". أما بلير فقد وصف إيران بأنها "تمثل تهديداً استراتيجياً كبيراً للمنطقة برمتها"، واستبعد إشراكها في قضية العراق، "ما لم تبد استعدادها لأداء دور بناء"، وانتقد ما أسماه بـ "المؤتمر المروع" الذي نظمته الحكومة الإيرانية حول "المحرقة اليهودية".

إيران التي عرضت على الولايات المتحدة المساعدة للانسحاب من العراق مطالبة إياها بإعلان جدول زمني لهذا الانسحاب، في مأزق هي الأخرى، وأيضا بسبب العراق. فالعراق أزمة للولايات المتحدة كما هو أزمة لإيران، وما سوف يؤول إليه الوضع في العراق هو الذي سوف يحسم أدوار كل من الولايات المتحدة وإيران في خريطة جديدة للشرق الأوسط لم تتحدد معالمها بعد انتظاراً للحسم في العراق.

د. محمد السعيد إدريس



إيران وجيرانها والأزمة الإقليمية (٢-٢)

IRAN, ITS NEIGHBOURS AND THE REGIONAL CRISES

تقرير برنامج الشرق الأوسط

A MIDDLE EAST PROGRAMME REPORT

تحرير: روبرت لو - كلير سبنسر

Edited by Robert Lowe and Claire Spencer

المعهد الملكى للشئون الدولية ، ٢٠٠٦

www.chathamhouse.org.uk

أصبحت إيران رقما صعبا فى معظم الملفات الإقليمية، إن لم يكن فى مجملها، سواء لجهة محاولتها تبوء مكانة إقليمية عبر مد نفوذها داخل دول الجوار، أو لجهة استنفار قوى دولية وإقليمية عدة لمنع إيران من تحقيق هذا الهدف. فقد أسفرت التطورات التى طرأت على الساحة الإقليمية منذ قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن حربها ضد (الإرهاب) وإسقاط نظام طالبان فى أفغانستان، ونظام صدام حسين فى العراق، عن تحقيق مكاسب عدة لإيران التى سعت إلى استغلال هذه التطورات لتدعيم مكانتها على الساحة الإقليمية. ويكتسب التقرير الذى أعده برنامج الشرق الأوسط التابع للمعهد الملكى البريطانى بعنوان: "إيران وجيرانها والأزمة الإقليمية"، أهميته من خلال تركيزه على توضيح التداعيات التى أفرزتها التطورات الإقليمية بعد بدء الحرب ضد (الإرهاب)، وتحليل مواقف القوى الدولية والإقليمية وعلى رأسها إيران من هذه التطورات. وقد تناول الجزء الأول من الدراسة نظام الحكم فى إيران وتعقيدات القيادة الإيرانية ووصول محمود أحمدى نجاد إلى الحكم وتأثير كل ذلك على موقع إيران داخل إقليمها وتفاعلها مع الأزمات الرئيسية، وخلفية الأزمة النووية وسلاح النفط فى الأجندة الإيرانية. أما الجزء الثانى فيتناول تفاعل إيران مع محيطها الإقليمى خصوصا علاقاتها مع العراق، سوريا، لبنان، مصر، دول مجلس التعاون، أفغانستان، تركيا، إسرائيل، روسيا، والصين. وفيما يلى الجزء الثانى من الدراسة:

العراق:

لو فكرت الولايات المتحدة في غزو إيران فعليها أن تدرك أن قواتها في العراق ستكون آنذاك في خطر كبير، إذ سيتعرض الوجود الأمريكي لخطر تدخلات إيرانية متعددة الأشكال ستتركز غالبًا في زيادة نشاط الميليشيات الشيعية في العراق ودعم تكثيف الهجمات على القوات متعددة الجنسيات . وهذا التطور قد يجعل القوات البريطانية الموجودة في البصرة في وضع خطر. وعلى صناع السياسة الأمريكيين أيضًا أن يتدبروا التهديد الذي يطال المصالح القومية الأمريكية كنتيجة لإعاقة صادرات إيران النفطية المقدرة بـ٢,٧مليون برميل يومياً.

إن أكبر قلق تمثله إيران للولايات المتحدة إذا ما فكرت الأخيرة في مهاجمتها، لا يكمن في قدرات سلاح الجو الإيراني ولا في قدرات القوات البرية (لو فكرت الولايات المتحدة في هجوم بري)، بل في قدرة إيران على تعزيز حالة عدم الاستقرار في الفضاء العراقي المشوش أصلا، خاصة وأن العراق لا زال شديد البعد عن النموذج المنشود أمريكيًا المتمثل في تحقيق ديمقراطية علمانية ، وفي تحقيق اندماج قومي عراقي بين شتى الطوائف والأعراق (السنة والشيعة والأكراد والتركمان وغيرهم..)





وبالنسبة للموقف العراقي بخصوص امتلاك إيران تكنولوجيا نووية، فالأمر صعب الحسم، لكن الموقف في العراق بوجه عام مثله مثل باقي العالم العربي خارج منطقة الخليج، ومفاده "ولماذا لا تمتلك إيران سلاحا نوويا؟" فالخطر محدود في أن تستخدم إيران هذا السلاح ضد العراق خاصة وأن الأحزاب والحركات الشيعية هي المسيطرة في العراق. كما أن العراقيين يرون القنبلة الإيرانية بمثابة "قنبلة إسلامية" توازن الخطر النووي الإسرائيلي.

سوريا:

قفز التحالف الإيراني- السوري إلى الصدارة كعامل دينامي حاسم في حرب إسرائيل ضد حزب الله في يوليو -أغسطس ٢٠٠٦، وتتمثل أحد أهم المصالح الاستراتيجية المشتركة بين الدولتين في قدرة حزب الله على إقلاق الإسرائيليين على حدودهم الشمالية ، ومن المحتمل أن كل من سوريا وإيران كانتا على علم مسبق بعملية حزب الله على إسرائيل في ١٢يوليو. إلا أن الاحتمال الأقل أن تكون أيهما قد وجّهت هذا التصرف. وتحمّل إسرائيل والولايات المتحدة سوريا وإيران أكثر اللوم في هذه الحرب متهمتين طهران ودمشق بتمويل ودعم وتدريب وتشجيع حزب الله على التصرف بالوكالة عنهما في صراعه مع إسرائيل. وقد أكد محور إيران -سوريا-حزب الله مقدرته كقوة معارضة للقوة الإقليمية الأمريكية-الإسرائيلية.

وبالنسبة للبرنامج النووي الإيراني، تظل سوريا تدافع عن حق إيران في امتلاك هذا البرنامج. ورغم أن هناك اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين إلا أنه من غير المحتمل أن تنفذ هذه الاتفاقية حرفيا إذا ما تعرضت إحداهما لهجوم، بل الأكثر احتمالا أن يتم الدعم العسكري عبر جماعة مثل حزب الله وليس مباشرة. في ضوء ذلك فإن

تعرّض إيران لهجمة عسكرية لن يجر سوريا إلى صراع مفتوح ، لكن سوريا في المقابل ستستخدم علاقاتها وتأثيرها على الجماعات المسلحة في لبنان وفلسطين ، وقد تقوم بتشجيع مثل هذه الجماعات لاصطناع قلاقل تصب في المحصلة الأخيرة لصالح إيران. ويبدو أن كلا الدولتين لا زالت تراهن على تركيز واشنطن جل اهتمامها على ورطتها في العراق، فضلا عن غياب الإجماع الدولي حول حقوق إيران النووية. أكثر من هذا ، فرغم أن احتمال الهجوم الإسرائيلي يظل واردًا، فإنه يبقى بعيدًا وقد يُواجه جزئيا بنشر عدم الاستقرار في الأراضي الفلسطينية ولبنان . ومن الواضح أن إيران وسوريا مصرتين على تطوير علاقاتهما لمستوى جديد خاصة مع بقاء الوضع في العراق لصالح إيران، وفي حركتهما لمواجهة التحديات الراهنة، فإنهما تجدان نفسيهما مندفعتين بشكل أكبر كلاهما نحو الأخرى مع تبني نغمة أكثر تحديا إزاء المنتقدين.

لبنان :

لو اعتبرنا أن هناك جبهة بارزة مناهضة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط تقودها إيران وسوريا وعناصر في العراق وجماعات إسلامية أصولية ، فإن حزب الله هو جزء لا يتجزأ من هذه الجبهة، وقد صارت لبنان مجددًا على خط الصدع في المواجهة بين إيران والولايات المتحدة كما كانت في الثمانينيات.

وقد عبرت هذه الحقيقة عن نفسها بعنف مع اندلاع الحرب بين حزب الله وإسرائيل في يوليو ٢٠٠٦ . فالدور الذي يلعبه حزب الله في مواجهته مع إسرائيل بمثابة جزء من أجندة إقليمية أعدت بالتنسيق مع سوريا وإيران. وقد هددت إيران بالانتقام من إسرائيل كرد فعل على أي تهديد أمريكي أو إسرائيلي وأعلنت انها ستعتبر أي هجوم على سوريا هجومًا عليها.

وسوف تستمر إيران في تقديم الدعم لحزب الله لأن قدرته على إقلاق إسرائيل والولايات المتحدة تجعله حليفًا مهمًا في الصراع الأوسع.

إسرائيل:

لقد أضاف البرنامج النووي الإيراني بُعدًا جديدًا وشديد الخطورة للعلاقات السيئة بين إيران وإسرائيل. وعلى خلفية الخطابات السياسية النارية للرئيس الإيراني أحمدي نجاد، تزيد احتمالات قيام إسرائيل بتصرف عسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية مع كل يوم يمر دون أن تضمن الجماعة الدولية وقف إيران لنشاطات التخصيب.

وإسرائيل - إلى جانب قلقها الحقيقي من تطوير إيران لأسلحة دمار شامل- فقد كان لها دائما مصلحة في تدويل المسألة. وتتمثل سياسة إسرائيل الحالية في تصوير التهديد النووي الإيراني على أنه تحدي للنظام الدولي ككل. وقد ذكر رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت في تصريح حديث له أن إسرائيل لا يجب أن تكون في صدارة هذا الصراع وأكد أن الخطر الذي تفرضه إيران يهدد أوروبا والولايات المتحدة بقدر ما يهدد دولة إسرائيل. وقال وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز-المولود في إيران- "من بين كل المخاطر التي نواجهها، فإيران هي الخطر الأعظم، ينبغي ألا ينتظر العالم، يجب أن يفعل كل ما هو ضروري على المستوى الدبلوماسي لإيقاف نشاطها النووي".

وبالنسبة لخيارات الحركة الإسرائيلية، فالسياسة الأكثر احتمالا هى الهدوء والاعتماد على نظام الدفاع الصاروخي من طراز صواريخ (آرو ٢) الباليستية. وهناك إجماع بين صناع السياسة في إسرائيل على أن التهديد الإيراني هو تهديد وجودي في طبيعته يجب أن ينتفي قبل أن يصل البرنامج النووي إلى نقطة اللاعودة. والفائدة الوحيدة من البقاء هادئة هو الأصوات المتزايدة على الساحة الدولية التي تنتقد القدرات النووية الإسرائيلية ، ومن بينها القائد العربي الصديق الملك عبد الله الثاني ملك الأردن، فهذه الانتقادات هي أحد التبعات الحتمية للجهود الرامية لإيقاف تطوير أسلحة نووية في إيران. إلا أن إسرائيل التي لم توقع أبدًا أي معاهدة لحظر الانتشار النووي تبدو مقتنعة بقدرتها على تجاهل أي محاولة لربط المسألتين.والمسألة الأهم بالنسبة لإسرائيل هي فكرة أن السماح لإيران بالحصول على سلاح نووي قد يشجع عددًا من الدول العربية على سلوك المسعى نفسه.

وهناك خيار آخر وهو المفضل حاليا بالنسبة لإسرائيل ويتمثل في تشجيع الجماعة الدولية على التصرف بسرعة ، وتؤكد إسرائيل علنًا فوائد الجهود الدبلوماسية سواء عبر الاتحاد الأوروبي أو مجلس الأمن لوقف البرنامج النووي الإيراني. وإذا فشلت الجماعة الدولية في هذا قد تلجأ إسرائيل لخيار ثالث هو استخدام القوة ضد مواقع إيران النووية، وحيث إن إسرائيل ليس لها تمثيل دبلوماسي في إيران ولا يمكن أن تضرها اقتصاديا، فقد يرى صناع القرار في إسرائيل أن خيارهم الوحيد هو توجيه هجمة عسكرية ، جوية غالبًا، لإيران. وهو سيناريو خطير وله تبعات إقليمية ودولية كبيرة لكنه قد يقع لو أحست إسرائيل أن برنامج إيران النووي يسير بسرعة كبيرة بدون استجابة دولية كافية.

الأردن :

تراقب الأردن بمزيد من القلق تقدم إيران تجاه امتلاك القدرات النووية والنمو المستمر لنفوذها الإقليمي . وواقع الأمر فإن تأثير حركة إيران على الأردن هو تأثير غير مباشر بالأساس، لكن هناك حساسيات داخل المملكة وفيما يتعلق بمكانتها في الإقليم تجعل تبعات التحرك الإيراني خطيرة بالنسبة لها. غالبية سكان الأردن هم من أصل فلسطيني ويرتبطون بعمق بالتطورات في الأراضي

الفلسطينية المحتلة ، كما أن الجماعات الإسلامية المحلية والأجنبية تفرض خطرا على استقرار المملكة ، ويتزايد هذا القلق بسبب التوتر المستمر على جانبي الأردن؛ فإلى الغرب ، هناك انتصار حماس والتدهور المستمر في استقرار غزة والضفة الغربية. وإلى الشرق ، هناك العنف المتواصل والفوضى في العراق. لذلك فإن الأردن على حذر كبير من تصعيد التوتر حول ملف إيران النووي وعدم الاستقرار في الإقليم.

وقد دعمت الأردن حق إيران في الحصول على برنامج نووي مدني وحذرت من استعمال القوة لحل الأزمة ودعت إلى إقليم خال من السلاح النووي. ولأن أي صراع مسلح قد يكون مدمر للأردن، فهي تدعم بقوة إيجاد حل دبلوماسي للمواجهة مع إيران، وقد حذر الملك عبد الله في مارس ٢٠٠٦ من أن هجوما ضد إيران قد يقود كامل الإقليم إلى الانفجار.

ما يقلق الأردن بشكل مباشر هو أمن العراق. فللأردن حدود مشتركة مع محافظة الأنبار العراقية في الشرق ، وتخشى عَمان من انجراف العنف الكثيف الذي تشهده هذه المحافظة إلى أراضيها. كذلك فللأردن مصالح اقتصادية حيوية في العراق وتجارتها معها انخفضت بنسبة ٥٠٪ في عام ٢٠٠٥، وبوصفها حليف مقرب للولايات المتحدة، تأمل الأردن في نجاح المشروع الأمريكي في العراق، لأن فشل هذا المشروع أو حتى السيطرة الشيعية والنفوذ الإيراني القوي في العراق سيكون ذا تبعات سيئة بالنسبة للأردن.

وهناك بالفعل أعدادا كبيرة من العراقيين في الأردن وقد تؤدي حالة انعدام الأمن والفوضى والانشقاقات في العراق إلى تدفق العراقيين بشكل أكبر إلى الأردن ، والمملكة بعد غير مجهزة ولا مستعدة لاستقبال المزيد.

هناك أيضًا خطر الإسلام الأصولي الذي ينبع من داخل المملكة ومن الجوار، حيث يوجد إلى الشرق منها الخطر المتنامي لجماعات مقرها العراق، الأمر الذي وضح في تفجيرات عمان التي نفذها عراقيون وراح ضحيتها ٦٠ شخصا في نوفمبر٢٠٠٥ ، والى الغرب وفي الداخل، هناك التأثير المتزايد للنزعة الإسلاموية بين صفوف الأردنيين والفلسطينيين والأردنيين من أصل فلسطيني. وقد كان الأردني أبو مصعب الزرقاوي- قبل انتقاله إلى العراق- نشطا بين إسلاميّ الأردن الذين تحدوا السلطات الأردنية وتحديدا في معن عام ٢٠٠٢ ، والذين يتزايد خطرهم الآن ، جزئيًا بسبب الأحداث في العراق وفلسطين . ولعب الزرقاوي دورا كبيرا في إشعال النزعة التجزيئية في العراق. وإذا كان الانقسام السني -الشيعي يتعمق في العراق ، فقد ينعكس في انقسامات بين الجيران حيث تصطف إيران ضد الدول السنية مثل السعودية والأردن.

مصر:

يمكن وصف العلاقات بين مصر وإيران بأنها غير متماثلة، فمن منظور إيران، تتشكل علاقتها مع مصر عبر علاقتها الأوسع مع الكتلة العربية، والى حد ما علاقتها بالولايات المتحدة، أما مصر من ناحيتها فتحاول أن تقدم نفسها بوصفها قوة إقليمية أساسية ولذلك ترى نفسها في منافسة مع إيران لا سيما بعد أفول العراق.

وهناك عدة محكات للتوتر بين الدولتين ذات علاقة برؤية كلاهما لنفسها كقوة إقليمية، أهم هذه المحكات هي قضية فلسطين، حيث تحاول مصر تعزيز صورة لنفسها أمام شعبها وأمام الشارع العربي ككل بأنها القوة القومية المتوازنة التي تدافع من ناحية عن الحقوق الفلسطينية، وفي الوقت نفسه تتكيف مع النظام العالمي الجديد وقيادته الأحادية ومع حقيقة وجود دولة إسرائيل. المشكلة لدى مصر أن شعبها مستمر في دعم تصور أكثر راديكالية للمسألة الفلسطينية ، ومن ثم تمثل لهجة إيران الراديكالية حول الموضوع مصدر حرج للنظام المصري أمام شعبه. في المقابل تميل الصحف القومية لإظهار تصريحات أحمدي نجاد العدائية ضد إسرائيل بأنها تنم عن عدم احتراف سياسي.

وكذلك الحال في القضية النووية ، فمرة أخرى تقدم إيران نفسها بوصفها البطل الوحيد المدافع عن حقوق المسلمين في الحصول على التكنولوجيا الموجودة بالفعل في حوزة العدو الإسرائيلي. ومن المثير أن بعض الصحف المصرية تدعم الموقف الإيراني في القضية.

من جهة أخرى، وفرت هذه الأزمة موضوعًا يمكن للحكومة الإيرانية الاقتراب من خلاله من النظام المصري للحصول على دعمه فيه، رغم أنه في الأخير لن يكون بمقدور الحكومة المصرية معارضة سياسة الولايات المتحدة بهذا الشأن.

ومن بين عوامل التوتر الأخرى بين مصر وإيران، قلق مصر من أن انسحاب الولايات المتحدة من العراق قد يدفع العراق للتقارب مع إيران، ومن ثم خلق قوة إقليمية لا تستطيع مصر منافستها ، كما أن مصر حذرة من إثارة قلاقل بين الشيعة في البحرين وشرق المملكة العربية السعودية.

دول مجلس التعاون الخليجي:

هناك صلات قوية بين إيران وجيرانها العرب عبر الخليج، الأمر الذي يعود جزئيًا إلى جهود الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، إلا أن رئاسة أحمدي نجاد قد سببت توترا بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي (الإمارات العربية المتحدة، مملكة البحرين، المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، دولة قطر، دولة الكويت) التي تراقب بحذر التقدم في برنامج إيران النووي. إذ تعارض هذه الدول بقوة حصول إيران على السلاح النووي بسبب

رغبتها في استقرار الإقليم وخشيتها من نفوذ جارتها غير العربية الكبيرة.

وتعتبر دول مجلس التعاون نشاط إيران النووي بمثابة تهديد لأمن الخليج والشرق الأوسط وتشير إلى أن بعض المفاعلات النووية الإيرانية أكثر قربًا إلى الساحل العربي من الخليج منها إلى طهران، لذلك تثور المخاوف حول المخاطر البيئية.

وفي مايو ٢٠٠٦ اجتمع مجلس التعاون الخليجي في الرياض وعبر عن قلقه إزاء نشاط إيران النووي طالبا منها أن تتسم بالشفافية وان تتدخل في العراق فقط لجمع الفصائل المتناحرة.

ورغم أن دول مجلس التعاون لا يمكن أن تدعم ضرب دولة مسلمة أخرى، لكنها حريصة على أن تمارس الولايات المتحدة ضغطًا على إيران لوضح حد لطموحاتها النووية ومحاصرة قوتها الإقليمية.

وقد حد التوتر بين إيران ودول الخليج من التعاون فيما بينها حول ملف الطاقة، وتعارض الدول العربية الأعضاء في أوبك وإيران مرشحي بعضهم البعض لمنصب سكرتير عام أوبك، كما أن التبادل الفني للمعلومات حول إدارة حقل ساوث بارس المشترك بين إيران والسعودية وقطر في حدوده الدنيا للأسباب نفسها.

وقد ساهمت زيادة النبرة القومية في الخطاب السياسي في عهد أحمدي نجاد في فتور العلاقات بين الطرفين. وتميل تصريحات أحمدى نجاد إلى تسييس موضوع الطاقة وهو ما يعارضه المنتجون العرب خاصة السعودية الذي يميلون لتهدئة الأسواق وإقناعها بأنهم منتجون يمكن الاعتماد عليهم.

كما أن الكتلة السكانية الكبيرة من الشيعة على امتداد الساحل الغربي من الخليج تمثل مصدر قلق للحكومات السنية لاسيما في البحرين والسعودية والكويت. خاصة أن المناطق التي يسكنها الشيعة لها أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة لأنها تحتوي على احتياطيات ضخمة من النفط.

ويعتبر غالبية سكان البحرين والمقاطعة الشرقية للسعودية من الشيعة، وكان هناك دومًا شك في ان إيران تبذل جهودها لمد نفوذها عبر هذه الجماعات وتهديد استقرار النظم الحاكمة.

وواقع الأمر هناك روابط تعليمية وتجارية عميقة تجمع بين إيران ودول الخليج الصغيرة خاصة البحرين والكويت والإمارات ، خاصة مع السكان الشيعة في هذه الدول ، وهناك بعض الروابط السياسية بين شيعة البحرين وإيران خاصة وأن عددا من شيعة البحرين هم من أصل إيراني، لكن العلاقة بين شيعة السعودية وإيران اقل وضوحًا.

ويمثل الشيعة ٧٠٪ من سكان البحرين ويبلغ معدل البطالة بينهم ضعف المعدل القومي. وهناك اعتقاد قوي بين الشيعة بأنهم يعانون من تمييز واسع من قبل الحكومة السنية. ورغم الإصلاحات السياسة والليبرالية الحالية في البحرين تظل الحساسيات الانقسامية قائمة، ولا تزال المملكة تشك في ولاء الشيعة، وتشك في ولائهم في المقابل لأصحاب مذهبهم في إيران والعراق. وقد زادت المخاوف من الشيعة بعد المكاسب التي حققها شيعة العراق.

ومع ذلك فهذا الشك يقوم على خلط مفاهيمي لأن هناك اختلافات روحية وسياسية كبيرة بين شيعة البحرين (والسعودية) وشيعة إيران والعراق، مما يعني أن العلاقات بينهما غير قوية. كذلك فإن عدم الرضا بين شيعة البحرين والسعودية هو نتيجة لإحباط سياسي واقتصادي متواصل أكثر منه نتيجة للتأثر بمؤثرات خارجية من إيران أو العراق.

ويمثل الشيعة في السعودية نحو ١٥-٢٠٪ من السكان، ويزيد الرقم إلى ٧٥٪ في المقاطعة الشرقية الغنية بالنفط، وتقلل المذهبية الوهابية من شأن التشيع، ويعاني الشيعة من تمييز في العبادة والتوظف والجيش والحكومة ووزارة النفط . وتتهم السعودية إيران بالتورط في نشاطات إرهابية ، ويرى حكام السعودية أنهم فعلوا الكثير لتهدئة الحساسيات الشيعية في المقاطعة الشرقية لكنهم ما زالوا يشكون في أن الشيعة ينظرون لإيران للإلهام والدعم.

لكن مع تدفق التمويل والموارد من الرياض، أصبح الشيعة أنفسهم أكثر حرصًا على تعزيز علاقاتهم بالمملكة العربية السعودية والهوية العربية.

هناك مصدر آخر للقلق بين إيران ودول الخليج العربية هو الخلاف حول ملكية جزر أبو موسى وطنب، وهي جزر صغيرة لها مكانة رمزية في الخريطة الاستراتيجية للخليج ، وقد احتلتها إيران عام ١٩٧١ وتدعي الإمارات ملكيتها بدعم من كل دول المجلس. والخلاف بين الدولتين يظل هادئا ، لكنه يشتعل بين حين وآخر بسبب تصريح عدائي أو إشارة ما عن الموضوع من أي من الطرفين.

تركيا:

تتمتع تركيا وإيران بعلاقة فريدة تتراوح بين الصداقة والتنافس. فبعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ ، عُلقت العلاقات الثنائية بين الدولتين، وبات الشك المتبادل هو القاعدة في علاقاتهما. وقد اشتركت كل من الولايات المتحدة وتركيا وإسرائيل في مثلث شراكة استراتيجية بلغت أوجها بتوقيع الاتفاق العسكري بين إسرائيل وتركيا عام ١٩٩٦، إلا أن العلاقات تحسنت بشكل كبير بين إيران وتركيا بعد وصول حزب العدالة والتنمية المحافظ للحكم في تركيا في نوفمبر ٢٠٠٢ . وتضاعفت معدلات التجارة بين الدولتين وزاد التعاون حول المسائل الأمنية، وعبرت الدولتان عن استياء عميق إزاء التطورات في العراق. وقد

فضلت تركيا دائما الاستقرار في جيرتها في القوقاز والشرق الأوسط وذلك اتفاقا مع المقولة الشهيرة لمؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك: "السلام في الوطن، السلام في العالم".

ورغم التطور الايجابي في العلاقة، فإن الخارجية التركية قلقة إزاء حصول إيران على تكنولوجيا نووية، وتخشى من أن إيران نووية قد توتر التوازن الدقيق في القوى في إقليم سريع الاشتعال بطبيعته لا توجد فيه دولة مسيطرة بمفردها. في الوقت نفسه لا تريد تركيا الإضرار بالتحسن الأخير في العلاقات مع إيران. وفي ضوء هذا التوجه التوازني، تدعم تركيا الجهود الدبلوماسية خاصة من قبل الترويكا الأوروبية لإيجاد حل دبلوماسي للملف النووي، كما أعلنت تركيا أن أرضها لن تستخدم في أي عمليات عسكرية ضد إيران.

والواقع فإن ملف العلاقات التركية - الإيرانية هو ملف معقد تتجاذبه ثلاث قضايا هي : أمن الطاقة- الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي- العلاقات التركية - الأمريكية.

بحلول عام ٢٠١٠ تتوقع تركيا أن تحصل على ١٩٪ من إمدادات الغاز الطبيعي من إيران و٥٨٪ من روسيا. وتطمح تركيا في أن تكون ممرا للطاقة يعبره نفط وغاز إيران وروسيا ووسط آسيا إلى أوروبا والعالم. لذلك فإن تركيا على وعي بحاجتها لعلاقات جيدة مع إيران لتحقيق طموحها الإقليمي في تنويع مصادر الطاقة.

من جهة أخرى دأبت تركيا على تنسيق -و حتى تطويع- سياساتها الخارجية وسياستها في مجال السياسة والاقتصاد مع الاتحاد الأوروبي ضمن عملية الانضمام إليه. وكدولة ذات قوات عسكرية قوية وكبيرة، فقد أسهمت تركيا في جهود الاتحاد الجماعية لتعزيز الأمن والاستقرار على الجانب الجنوبي غير المستقر عبر إحاطة البلقان والقوقاز والشرق الأوسط. وإذا ما فشل المسعى التركي في الانضمام للاتحاد الأوروبي فمن المحتمل أن تتبع أنقرة سياسة خارجية أكثر استقلالية في جميع النواحي وضمنها ما يتعلق بإيران.

العنصر الأهم في العلاقات الإيرانية - التركية، هو العلاقات الأمريكية - التركية، التي تأثرت سلبا برفض البرلمان التركي السماح للجيش الأمريكي باستخدام الأراضي التركية للحرب في العراق في مارس ٢٠٠٣ . وفيما تقوم الحكومة التركية بجهود ملحوظة لتحسين علاقاتها بالولايات المتحدة، فإن رفض الجيش الأمريكي الواضح لاتخاذ موقف ضد قواعد حزب العمال الكردستاني في جبال قنديل في شمالي العراق، يغذي العداء داخل تركيا ضد سياسة الولايات المتحدة الخارجية خاصة تجاه إيران. ويشير استطلاع للرأي أجرته المنظمة الدولية للبحوث الاستراتيجية أن ٩٤٪ من الاتراك يعارضون التدخل العسكري الأمريكي في إيران، وان ٨٣٪ يرون أن الولايات المتحدة ليس لديها نية في إغلاق معسكرات حزب العمال الكردي في العراق.

ورسميا تنتهج تركيا نهجا دبلوماسيا حذرا يتمثل في تشجيع إيران على التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية . وفي ضوء احتمال ظهور إيران نووية بالفعل والحاجة لتنويع مصادر الطاقة، أعلنت تركيا خططا لبناء محطات توليد نووية المفترض أن يبدأ تشغيل أولها عام ٢٠١٢، ويتوقع أن تنتج هذه المحطات ١٠٪ من حاجة البلاد من الطاقة خلال العقدين التاليين. وربما تشعر تركيا بأنها مجبرة على دخول سباق نووي للحفاظ على توازن القوى مع جارتها القوية .

روسيا:

يعتبر موقف روسيا المتناقض إزاء إيران استمرارا لنهج تاريخي في العلاقات بينهما، ويمكن تمييز العوامل التي تؤثر في هذه السياسة المتناقضة تجاه إيران - حليفها الأهم في الشرق الأوسط- رجوعًا إلى عهد الاتحاد السوفيتي .

لقد كانت علاقات موسكو مع الشاه مؤسسة على المصالح الاقتصادية وبلغ حجم التجارة بينهما نحو مليار دولار إبان الثورة الإسلامية. وفي الثمانينيات والتسعينيات تقلبت علاقاتهما إلى الأسوأ عندما اتبع أيةالله الخميني نهج معاداة الغرب والشرق على السواء ، وساءت أكثر خلال احتلال روسيا لأفغانستان وبعد حربين ضد إقليم الشيشان. لكن العلاقة تحسنت حيث إن كلا الدولتين - بدرجات متفاوتة - تحاول مواجهة نفوذ الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وبحر قزوين. ومنذ أواخر التسعينيات ، كانت القضية الأساسية في التعاون بين الدولتين هي الدعم الفني لمشروع إيران النووي.

وركن الزاوية في التعاون النووي بينهما هو مفاعل بوشهر ، حيث أبرمت روسيا مع إيران صفقة لبناء مفاعل بقيمة ٨٠٠مليون دولار مع أفق مفتوح لإقامة مشروعات أخرى بعد اكتمال تنفيد هذا المشروع. ويشهد وجود نحو ألف مهندس وفني روسي وأوكراني في بوشهر على حجم الدعم الروسي لإيران، والذي يمثل مصدر قلق مهم للجماعة الدولية ، إذ ينظر لنقل المعرفة الفنية من العلماء الروس إلى جيل جديد من الخبراء النوويين الإيرانيين على أنه تهديد أمني خطير.

وفي موضوع الملف النووي الإيراني ، تبدو روسيا موزعة بين إيران وبين الغرب، وهي لا ترغب في استعمال الفيتو في مجلس الأمن ولا أن تدعم قرار جديد للأمم المتحدة (كانت قد امتنعت عن التصويت في سبتمبر٢٠٠٥ حين تم إعلان أن إيران تنتهك ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية). لكن موسكو تعلم أنه لا يمكن تحاشي قرار جديد،

لذلك فهي تدفع في سبيل صياغة غامضة بقدر الإمكان؛ صياغة تأمل أن تتحاشى أي ذكر لتصرف عقابي أو عسكري ضد إيران.

ودون التعاون النووي، تجمع إيران وروسيا علاقات كثيرة ومركبة منها مبيعات السلاح والتجارة شاملة النفط والغاز، وتعيين الحدود في بحر قزوين، و خطوط المواصلات، وتعد روسيا ثاني أكبر مورد للأسلحة لإيران بعد الولايات المتحدة، وكان لعقود الأسلحة بينهما في التسعينيات تأثير كبير على العلاقات بينهما في وقت احتاجت فيه روسيا للعملة الصعبة بشكل ملح.

كذلك فروسيا منخرطة في نشاط استكشاف الغاز في جنوبي إيران. أما على صعيد بحر قزوين، فروسيا لن تقبل أبدًا موقف إيران المطالب بنصيب متساوي في ساحل البحر وموارده (بمقدار الخمس) بدلا من ١٣٪.

أيضًا، تعد خطوط المواصلات على درجة كبيرة من الأهمية ؛ إذ تتطلع روسيا لرابط مباشر بالخليج (الفارسي)، وفي ضوء ذلك تستثمر في خط سكك حديدية عبر أذربيجان إلى استرا في شمال إيران ثم إلى مدينة قزوين، على أمل ضخ مليارات الدولارات من العوائد لكلا الدولتين. كذلك تجدر الإشارة إلى وجود أكثر من مليون متحدث بالروسية في إسرائيل يتسببون في مزيد من الحيرة والتناقض في السياسة الخارجية الروسية تجاه إيران.

وبشكل عام فالعادات "الاستراتيجية" القديمة لا تموت، ويظل الدافع الأكبر للحكومة الروسية في التعاون مع إيران هو دافع يعود لأيام الحرب الباردة؛ ويتمثل في محاولة تفادي عزل موسكو عن الأجندة الأمنية لإقليم الشرق الأوسط، وموازنة النفوذ الأمريكي المتصاعد في الشرق الأوسط ووسط آسيا وجنوب القوقاز.

أفغانستان:

منذ سقوط حكومة طالبان في ديسمبر ٢٠٠١، تحسنت علاقات أفغانستان وإيران بشكل واضح. وتعد إيران أحد أهم الشركاء التجاريين لأفغانستان، وعبر النشاطات الاقتصادية، يستمر النفوذ الإيراني في مقاطعات أفغانستان الغربية المحاذية لإيران، وبالأخص هيرات، في النمو. وتقدر صادرات إيران إلى أفغانستان بـ٥٠٠مليون دولار في العام، وقد خصصت أموالا ضخمة لإعادة تعمير البنية التحتية لأفغانستان، بما يشمل خططًا لتوفير الكهرباء لغرب أفغانستان عبر مشروع ضخم بمساعدة تركمانستان لتوفير الغاز الطبيعي لمدينة هيرات. ومن ثم فإيران لاعب مهم في اقتصاد غرب أفغانستان.

وترى إيران أن أفغانستان لا تبذل جهدا كافيا لتشجيع إعادة الأسرى الأفغان الموجودين في إيران، والذين يقدر عددهم بنحو مليون شخص. وقد كثفت طهران الضغط عبر سحب حق الأسرى الأفغان في التعليم المجاني. كما وظفت قواها للتأثير في الأقلية الشيعية في أفغانستان عبر دعمها لحزب الوحدة الموالي للشيعة والمعروف بقلقه إزاء الخضوع لهيمنة حكم الباشتون السنة.

وتقلق علاقات كابول وطهران واشنطن خاصة في ضوء تصاعد التوتر حول البرنامج النووي الإيراني. وتكمن معضلة كرازي في كيفية الاستمرار في بناء تعاون إقليمي مع إيران- جارته المؤثرة القوية- دون إثارة غضب الولايات المتحدة وهي داعمه وراعيه الأكبر.

باكستان :

يظل مدى التقارب بين الهند وباكستان غامضًا. وقد اتهم الجنرال مشرف ومسئولون باكستانيون رفيعو المستوى الهند علانية بأنها تشعل الأزمة الراهنة في البلوشستان مدعين أن الهند تنتهز فرصة الأزمة لتشكيل تحالف جديد مناهض لباكستان يضم إيران وأفغانستان.

إلا أن حجم تورط إيران في مثل هذا التحالف يحتمل أن يكون محدودا بسبب اعتبارات متعلقة بالداخل الإيراني؛ إذ تخشى طهران خطر ظهور حركة تحريرية وحدوية بين الأقلية البلوشية داخلها في جنوب مقاطعة سيستان، كما أنها غير مستعدة لإثارة غضب ستة ملايين مواطن مسلم سني متركزين في الأقاليم الجنوبية يقال إنهم معبأين تحت قيادة جماعة سنية مسلحة تدعى "جندلة" وينشدون أي دعم غربي (من الولايات المتحدة مثلا) ضد النظام الشيعي.

وفيما أن إيران ربما تكون قلقة إزاء العلاقات الوثيقة التي تجمع الهند وإسرائيل والتي ترجع إلى بداية التسعينيات، لكنها مع ذلك لا ترى أن هذه العلاقات تمثل خطرا مباشرا على مصالحها، وعلى النقيض من ذلك تعتبر التقارب الحديث بين باكستان وإسرائيل خطرا عليها. ربما يرجع هذا إلى أن الهند -بخلاف باكستان- لا تعتبر من وجهة نظر إيران جزءًا من جماعة الدول الإسلامية، كما أن سياسة عدم الانحياز التي تتبناها الهند تجعلها مقربة لإيران بالمقارنة مع باكستان المتحالفة مع الولايات المتحدة، الأمر الذي يجعل التقارب الباكستاني - الإسرائيلي من وجهة نظر طهران دليلا على دعم باكستان لاستراتيجية أمريكية أوسع تستهدف تطويق الدول الإسلامية وتأمين المكانة المسيطرة لإسرائيل في الشرق الأوسط.

الهند :

فيما تلعب الطاقة دورًا أساسيًا في علاقات إيران بوسط آسيا، فإن الهويات الاثنية والدينية المتداخلة، والاستقرار الإقليمي، والمنافسة بين الهند وباكستان، تلعب دورا مهما في حسم السياسات والمواقف الإيرانية إزاء

الهند . ورغم أن الاتفاق النووي المدني بين الهند والولايات المتحدة هو عنصر مهم في تحديد هذه العلاقات على المدى القصير ، فإن الاتجاه الراهن للنظر لعلاقة إيران بالهند عبر عدسة الاتفاق النووي الهندي مع الولايات المتحدة وحده، هو اتجاه يتجاهل طائفة كبيرة من القضايا منها وضع أفغانستان وهو عنصر مهم في تشكيل علاقة إيران مع الهند وباكستان.

وتظل علاقة إيران مع الهند وباكستان متعددة المستويات، ويستمر التداخل الإثني والديني بينهما سببًا في التوتر ، وربما ساعد النفوذ الاقتصادي الهندي في تهدئة هذا التوتر لو أمكن دمج الاقتصادات الإقليمية بنجاح (عبر خلق تنظيمات اقتصادية جماعية)، وإذا أظهر القادة الإقليميين الإرادة السياسية في استخدام الطاقات الاقتصادية لمصلحة شعوبهم.

الصين :

تجمع الصين وإيران روابط اقتصادية قوية ومتطورة وقد قفز حجم التجارة الثنائية بينهما من ٢,١مليار دولار في عام ١٩٩٨ إلى ١٠مليار دولار عام ٢٠٠٥, كذلك تجمع الدولتين روابط سياسية قوية وهما يشتركان في تصورات عدة إزاء القضايا الإقليمية والدولية. وتؤمنان أن علاقتهما الجيدة تصب في المصالح الاستراتيجية طويلة المدى لكليهما.

وبعد ١١سبتمبر وتعمق عدم الثقة بين إيران والولايات المتحدة، علقت طهران أهمية كبيرة على تطوير علاقات وثيقة مع الصين. وباعت الشركات الصينية الأسلحة و تكنولوجيا السلاح لإيران منذ الثمانينيات ، وقد اتهمت الولايات المتحدة الصين بمساعدة إيران على تطوير نظامها الصاروخي، وكنتيجة لذلك واجهت شركات صينية عقوبات أمريكية.

والأمر الأهم في العلاقات بين الدولتين - والذي جذب معظم الاهتمام منذ إثارة الأزمة النووية الإيرانية - قد تمثل في اتفاقات الطاقة. فحيث يعتمد الاقتصاد الصيني السريع النمو على واردات النفط والغاز، كشفت بكين جهودها للحصول على إمدادات الطاقة من وراء البحار بما فيها الشرق الأوسط. وقد وقعت مع إيران بدءا من عام ٢٠٠٤ صفقات تقدر بعشرات المليارات من الدولارات لاستيراد موارد الطاقة على مدار ٢٥ عامًا، فضلا عن صفقات أخرى لتطوير حقول النفط. ناهيك عن اهتمام الصين ببناء خط أنابيب في إيران ينقل النفط إلى بحر قزوين بحيث تصل إلى النفط الإيراني مباشرة عبر كازاخستان.

وبسبب تعطش الصين للطاقة وصفقاتها الأخيرة مع إيران، يفترض كثير من المراقبين أن موقف بكين سيكون داعم لإيران في الأزمة النووية وأنها لن تدعم فرض عقوبات على إيران. في الوقت نفسه ، فإن موقف الصين قد ينبع من رغبة في مواجهة الأحادية والهيمنة العالمية الأمريكية ، كما أن للصين مصلحة في الحفاظ على علاقات جيدة مع العالم الإسلامي للتعامل مع إقليم جينج جيانج ذي الأغلبية المسلمة داخلها.

لكن في مواجهة هذه الحجج التي تدفع بأن الصين ستدعم إيران، فإنه من الواضح أيضًا أن تجارة الصين مع الولايات المتحدة أكبر بعدة مرات من تجارتها مع إيران. ورغم أن النفط الإيراني مهم للصين فليس بالأهمية التي تجعل بكين تعرض علاقاتها مع الولايات المتحدة للخطر. ولدى الصين أسباب كثيرة تجعلها حريصة على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة ، كما أنها لا تحب أن تظهر بمظهر الداعم للانتشار النووي بما يتعارض مع سياستها الداعمة لاتفاقية حظر الانتشار.

اليابان:

تعد علاقة اليابان بإيران علاقة براجماتية بالمثل، وكما مع الصين، فإن رغبة اليابان في الحفاظ على علاقاتها الجيدة مع الولايات المتحدة، وفي لعب دور عالمي أوسع تشكل جزءا أساسيًا في موقفها من أزمة الملف النووي الإيراني. وتتبع براجماتية طوكيو إزاء إيران من اعتمادها الكبير على النفط المستورد. فهي تستورد النفط من إيران بكميات مساوية للصين بما يجعل من إيران ثالث أكبر مصدر للنفط الى اليابان ، وذلك بعد السعودية والإمارات. ودائما ما دفعت الحاجة للنفط المستورد طوكيو نحو الحرص على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدول المنتجة للنفط ومع الولايات المتحدة. وقد أسفرت محاولة للولايات المتحدة لإزاحة كونسورتيوم ياباني عن المشاركة في تنمية حقل النفط الإيراني الضخم ازادجان، أسفرت فقط عن تأخير المشروع. وقد زاد البرنامج النووي الإيراني من شدة التحدي الذي تواجهه اليابان في الحفاظ على علاقات جيدة مع إيران رغم الاعتراض الأمريكي .

ويعني ميل اليابان للحلول السلمية للنزاعات الدولية، إلى جانب اعتمادها على النفط الإيراني ، أنها ستجد نفسها في موقف صعب حال تصعيد الأزمة، لكن، يمكن القول إن الدور التوازني الذي سيكون عليها لعبه ، إضافة إلى العلاقات الجيدة التي تجمعها بكل من إيران والولايات المتحدة، قد يوفران لها فرصة لأداء دور الوساطة في المفاوضات الجارية.

دراسة

المناورات البحرية الأمريكية والإيرانية فى الخليج الرسائل والمغزى، ورؤية تحليلية

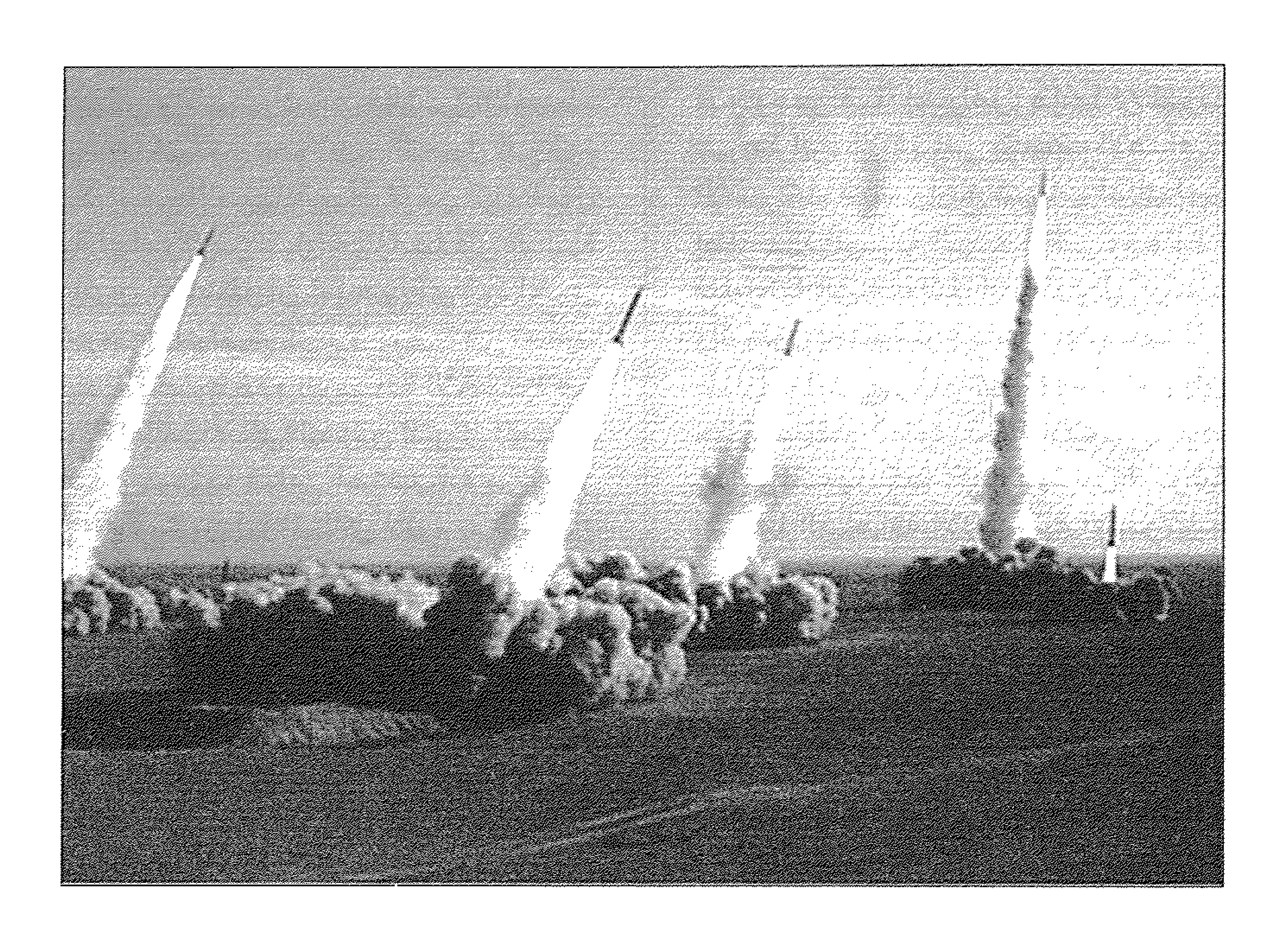
■ لواء أ.ح متقاعد/ حسام سويلم

شهدت مياه الخليج وبحر عمان فى الآونة الأخيرة مناورات بحرية ضخمة بدأت بالأسطول الخامس الأمريكى فى الخليج والذى تم تدعيمه بقطع بحرية إضافية، إلى جانب مشاركة قطع بحرية من دول غربية وأخرى عربية من منطقة الخليج. أعقبتها مباشرة- درداً عليها- مناورات بحرية وبرية إيرانية ضخمة استمرت عشرة أيام من قبل الحرس الثورى الإيرانى.

الرسائل الأمريكية

لم تكن الرسالة التى تحملها المناورات الأمريكية بخافية على إيران. فقد جاءت بمثابة تحذيراً من استمرار طهران فى موقفها المتعنت إزاء استمرارها فى برنامجها النووى. وإثارة المشاكل والاضطرابات أمام القوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان، وتدخلها السافر فى لبنان وفلسطين مع استمرار إطلاق الرئيس أحمدى نجاد لتهديداته لإسرائيل. وأن صبر واشنطن على استفزازات طهران قد نفذ، وقد لا تجد أمامها سوى اللجوء إلى الخيار العسكرى ليس فقط لتدمير المنشآت النووية فى إيران، ولكن أيضاً لاقتلاع النظام الحاكم فى إيران من جذوره باعتباره فى النظرة الأمريكية مصدر وسبب كل المشاكل التى تواجهها الولايات المتحدة وحلفاؤها فى المنطقة وخارجها. وأنه إذا كانت طهران تراهن على إمكانية عرقلة روسيا والصين- باعتبار مساندتهما لإيران- لصدور قرار من مجلس الأمن يفرض عقوبات على إيران بالنظر لمصالحهما الاقتصادية المرتبطة بإيران، فإن ذلك لن يحقق لطهران ما تريده. لأن قراراً من قبل مجلس الأمن من المحتم أن يصدر بفرض عقوبات بأى مستوى ولأى فترة زمنية على إيران، وأن الولايات المتحدة قادرة عسكرياً بقوتها الجوية فى الخليج أن تؤمن التنفيذ الفعال لهذا القرار من خلال إمكاناتها فى فرض حصار بحرى قوى على السواحل والمياه الإقليمية الإيرانية فى الخليج. كما أن رهان طهران على احتمال أن تغير إدارة بوش لسياستها المتشددة تجاه إيران فى حالة خسارة الحزب الجمهورى فى انتخابات التجديد النصفى فى الكونجرس أمام الحزب الديمقراطى، أيضاً رهان خاسر لأن كلا الحزبين يتفقان فى ضرورة التصدى لاستراتيجية إيران التى تسعى لبسط هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط، متسلحة بالأسلحة النووية التى تعزز قواتها المسلحة التقليدية، لما فى ذلك من تهديد لأمن وكيان إسرائيل المعرضة للصواريخ الباليستية الإيرانية، والتى أن كانت مسلحة اليوم برؤوس تقليدية أو كيماوية، فليس من المستبعد فى المستقبل القريب أن تتسلح برؤوس نووية تقلب الميزان الاستراتيجى فى المنطقة رأساً على عقب، وهو ما يتفق عليه الحزبان الأمريكيان الجمهورى والديمقراطى، ومن الواضح أن كلاهما يسعيان لاسترضاء إسرائيل واللوبى الصهيونى الداعم لها فى الولايات المتحدة.

كما تحمل المناورات الأمريكية أيضاً رسالة أخرى إلى إيران فحواها أنه مهما نجحت الأخيرة فى تطوير ترسانتها من الأسلحة التقليدية والصاروخية، وضخمت من حجم قوة الحرس الثورى لاسيما فى إطار التوسع البحرى، ومهما أدخلت من أنظمة تسليح جديدة استعرضت معظمها فى مناوراتها السابقة والرسول الأعظم فى أبريل الماضى، ويحتمل أن يستعرض فى مناوراتها القادمة، فإن كل ذلك- سواء على صعيد التطوير الكمى أو النوعى- لا يمكن أن يقارن بما تملكه القوات الأمريكية فى الخليج من قوات مسلحة برية وبحرية وجوية، تتفوق بمراحل نوعياً وكمياً على القوات



المسلحة الإيرانية، وبما يمكن أن يلحق بها هزيمة ساحقة تؤثر سلباً فى قوة النظام الحاكم فى طهران وبما يؤدى إلى إسقاطه. كما أن رهان إيران على تخوف الولايات المتحدة من خسائر بشرية جسيمة قد تقع بقواتها فى الخليج فى حالة إقدامها على عمل عسكرى ضد إيران، ومعارضة الرأى العام الأمريكى والعالمى لمثل هذا العمل العسكرى، بعد الخسائر الجسيمة التى تتعرض لها القوات الأمريكية والحليفة لها يومياً فى العراق، فإن ذلك فى الرسالة الأمريكية لطهران لن يخيف واشنطن، بل سيزيد إصرارها على العمل من أجل التسريع بالسعى لإسقاط النظام الحكم فى طهران السبب لكل هذه المشاكل، وحتى وأن أدى الأمر لاستخدام أسلحة نووية تكتيكية أجاز الكونجرس مؤخراً استخدامها فى حروب أمريكا الاستباقية، وذلك لأول مرة فى التاريخ الأمريكى.

الرسائل الإيرانية

أما على الجانب الإيرانى- الذى أطلق مناوراته فور انتهاء المناورات الأمريكية والغربية، فقد شكلت فى رأى المراقبين تحذيراً مبطناً من قدرة إيران على تعطيل الملاحة البحرية إذا ما تعرضت لعقوبات بسبب برنامجها النووى، وتشكيكاً فى قدرة الولايات المتحدة على شن ثلاثة حروب فى وقت واحد على حد تعبير وزير الدفاع الأمريكى المستقيل دونالد رامسفيلد فى بداية الاحتلال الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣- وذلك فى ظل الانكسار الذى تشهده القوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان ومن ثم- طبقاً للنظرة الإيرانية وفى ظل الخبرة النووية الكورية الأخيرة- فإن احتمال منازلة كوريا الشمالية وإيران المتحفزة لدخول النادى النووى وشن حرب عليهما، يبدو أمراً بعيد الاحتمال. أما إذا تهورت الولايات المتحدة وحلفاؤها فى مثل هذا الأمر وشنت عملية عسكرية - أياً كان مستواها- محدودة أم شاملة- فإن لدى إيران القوة البشرية العسكرية الضخمة من الحرس الثورى (البازدران) ومتطوعى الباسيج، ما يقدر عدده بحوالى ٥-٦ مليون فرد، والقادرين على إنزال هزيمة قاسية للوجود العسكرى الأمريكى فى الخليج، سواء فى ذلك الوجود العسكرى الأمريكى الذى فى العراق والقواعد العسكرية على الساحل الغربى للخليج، أو الوجود العسكرى المجدى للأسطول الخامس فى مياه الخليج. هذا مع استعراض قدرة إيران على إغلاق مضيق هرمز ومنع إمدادات النفط من الوصول إلى الدول المستهلكة للطاقة فى أمريكا وأوروبا وأسيا، إذا ما تعرضت صادرات النفط الإيرانية لأى تهديدات، سواء بقصف منشآت النفط وحقوله داخل إيران، أو بفرض حصار بحرى على نقله للخارج.

ومن الرسائل التى تحملها المناورات الإيرانية، أن الحجم الضخم للقوات الإيرانية المتنوعة التى شاركت فيها، إنما هو دليل على نفوذ إيران بالشرق الأوسط ويعكس تفوق قوتها العسكرية فى الدائرة الإقليمية، وعلى قدرتها على احتواء التفوق العسكرى الأمريكى. لذلك جاءت هذه المناورات العسكرية الإيرانية التى وصفها المراقبون بأنها استعراض للقوة- لتقول بأن موقع

إيران الجيوبولوتيكي والاستراتيجي بالشرق الأوسط، وقدراتها الذاتية والمكتسبة يخولانها التحول إلى قوة إقليمية عظمى لا ينبغى الاستهانة بها- لا من قبل الدول الغربية المعادية لها. ولا من قبل جيرانها فى الدائرة الإقليمية، وأن إيران لا تنتظر أن تمنحها أى قوة أخرى شهادة بأنها شرطى المنطقة، كما لا ترغب فى تهديد جيرانها. وقد انعكست هذه الرسالة الأخيرة فى تصريحات عديدة أطلقها قائد الحرس الثورى الجنرال يحيى رحيم صفوى، ومنها قوله: "أعتقد أنه من غير المرجح أن يخلق الأمريكيون لنا المشاكل لأنهم يدركون أن قواتهم المنتشرة فى دائرة من ألفى كيلو متر يمكن أن تتعرض للخطر"، وتابع إنهم يعرفون أن جمهورية إيران الإسلامية على استعداد للدفاع عن أراضيها ثم استطرد قائلاً "أن بلاده مستعدة لإبرام معاهدة أمنية إقليمية مع جيرانها، كما أنها مستعدة فى ذات الوقت لأن يشاركها الأصدقاء والجيران فى أنظمتها الصاروخية". وبينما نفى صفوى وجود تهديد أمريكى ملح ومباشر حالياً ضد بلاده، مرجعاً ذلك إلى تورط الأمريكيين فى العراق وأفغانستان، فإنه فى ذات أبدى استعداد بلاده لبدء مباحثات مع الولايات المتحدة حول الملفات الإقليمية، خاصة العراق، إذا ما طلبت واشنطن ذلك رسمياً.

وإذا كانت المناورات الأمريكية تحمل ضمن رسائلها إلى إيران تأكيد بتصميم واشنطن على الدفاع عن إسرائيل إذا ما تعرضت لهجوم من قبل الصواريخ الإيرانية، فإن الأداء الإيرانى يحمل أيضاً من خلال مناوراتها وما أطلقته أثناءها من صواريخ (شهاب- ٣) ذات المدى ٢٠٠٠ كم، تصميم إيران على قصف إسرائيل بأعداد ضخمة من هذه الصواريخ رأس أقل من ١٠٠ صاروخ- إذا ما قررت إسرائيل تنفيذ تهديداتها التى أطلقها زعماؤها ضد إيران فى الأشهر الأخيرة، بدعوى أن البرنامج النووى الإيرانى يشكل تهديداً خطيراً للكيان الإسرائيلى، وليس فقط الأمن الإسرائيلى.

هذا مع تأكيد زعماء وقادة إيران بأنها لن تكون البادئة بالهجوم ضد إسرائيل، ليس فقط بالنظر لأنها دولة غير مجاورة لإيران، ولكن لأنها تدرك جيداً خطورة رد فعل إسرائيل التى تمتلك أكثر من ٢٠٠ سلاح نووى وأكثر من ٢٥٠ مقاتلة (إف -١٦) قادرة على الوصول إلى عمق الأراضى الإيرانية وشن هجمات جوية مؤثرة، لاسيما بعد أن أمدت الولايات المتحدة إسرائيل بقنابل (GBU 28)القادرة على تدمير التحصينات المقامة تحت الأرض فى المنشآت النووية الإيرانية، ناهيك عن خطورة رد الفعل الأمريكى ضد إيران فى حالة تعرض الأخيرة لهجوم صاروخى من قبل إيران.

ولكن جميع الأحوال تؤكد أن طهران إذا ما تعرضت لهجوم من قبل إسرائيل، فإنها لن تتردد أو تتهاون فى سرعة الرد الانتقامى بقصف الأهداف الاستراتيجية الإسرائيلية بصواريخ شهاب لذلك لم يكن غريباً فى إطار هذه الرسالة الردعية التى وجهتها إيران من خلال مناوراتها إلى إسرائيل أن تضع تل أبيب سلاحيها الجوى والبحرى إضافة لوحدات صواريخها المضادة للصواريخ طرازات (باترموت باك-٣) (حيتس رآن) و (هوك) فى حالة استنفار قصوى تحسباً لأى هجوم صاروخى إيرانى على أراضيها. كما أكد مسئولون إسرائيليون فى تقارير نشرتها الصحافة الإلكترونية الإسرائيلية أن رياح حرب جديدة هبت بالفعل على سماء الشرق الأوسط، مشيرين إلى أنه من الواضح أن تل أبيب ستتورط فى هذه الحرب رغم أنها لم تفق بعد من تجربة لبنان التى أخفق فيها الجيش الإسرائيلى وسلاح الجو فى تحقيق الأهداف المطلوبة من وراء العملية. وتوقع هؤلاء المسئولون فى ضوء هذه التطورات أن تشتعل الجبهة الشمالية لإسرائيل مرة أخرى فى حالة نشوب عمليات عسكرية بين طهران وواشنطن، وألمحوا إلى أن أجواء الاستعدادات العسكرية الأمريكية فى الشرق الأوسط هى نفس الأجواء التى سبقت حرب الخليج.

المغزى الاستراتيجى للحشد البحرى الأمريكى فى المناورة

-أجرت البحرية الأمريكية مناورات ضخمة فى مياه الخليج بدأت فى ٣٠ أكتوبر الماضى ولمدة يومين تحت اسم (الحافة البارزة) شاركت فيها ٢٥ دولة على رأسها فرنسا وإيطاليا وبريطانيا واستراليا، إلى جانب البحرين التى استضافت المناورة فى المياه الدولية بالقرب من المياه الإقليمية الإيرانية. وقد شاركت قطر والكويت والإمارات العربية المتحدة بصفة مراقبين. ولم تنضم السعودية رسمياً إلى هذه "المبادرة الأمنية ضد الانتشار النووى"، وإن كانت تبحث فى ذلك جدياً طبقاً لتصريح مسئول أمريكى. كما أرسلت كوريا الجنوبية واليابان وروسيا مراقبين إلى هذه المناورات التى شاركت فيها أيضاً كندا والدانمارك وألمانيا واليونان والعراق وهولندا ونيوزيلندا والنرويج وباكستان وبولندا والبرتغال وسنغافورة وأسبانيا، وإن كان ذلك بمستوى أقل من الدول السابق ذكرهم. وكانت البحرية الأمريكية قد كشفت منذ بداية أكتوبر الماضى وجودها البحرى فى منطقة الخليج على نحو ملحوظ، حيث ارتفع عدد جنود البحرية المنتشرين فى تلك المنطقة من نحو ١٢ ألف جندى قبل ثلاثة أشهر إلى ٢٣ ألف مع بدء المناورات. وكانت آخر الوحدات البحرية التى التحقت بتلك القوات هى مجموعة القطع البحرية المتكاملة التى تسمى (مجوعة أبواجيما الضاربة) وتضم هذه المجموعة

البارجة (ناشفيك) والمدمرة (كول) والمدمرة (بلكى) وبارجة الصواريخ كروز (فيليبى سى) والغواصة (البكركى) وناقلة الجنود (وبدلى آيلاند).

-وكانت مجموعة حاملة الطائرات (أيزنهاور) قد وصلت إلى الخليج فى شهر سبتمبر الماضى لتلتحق بالمجموعة الضاربة التى ترافق حاملة الطائرات (انتربرايز). وأوضحت وزارة الدفاع الأمريكية أن المهمة الأساسية لهذه القوة البحرية الكبيرة نسبياً هى إجراء تدريبات ميدانية تتعلق بمهام أمنية فى سياق الحرب ضد الإرهاب، فضلاً عن حماية مسار السفن التجارية وحماية محطتى تحميل النفط العراقى البحريتين المطلتين على الخليج. وبينما أعلن الاميرال ريموندسبيسار قائد مجموعة (انتربرايز) الضاربة أن إحدى أهم المهام التى تقوم بها مجموعته هى جمع المعلومات والمراقبة والاستكشاف، مضيفاً "إننا قمنا بتنفيذ مئات العمليات فى العراق وأفغانستان، ومناطق وجودنا تتعلق بالرصد والمراقبة وجمع المعلومات، ونحن مستمرون فى ذلك بوتائر متسارعة"، نافيا وجود نوايا عدائية تجاه إيران، وأن قرب ميدان العمليات من الحدود الإيرانية لا يمثل مشكلة، إلا أن وزارة الخارجية الأمريكية أعلنت أن هدف هذه المناورات البحرية هو التدريب على اعتراض السفن التى تحمل مواد نووية، فى محاولة لزيادة التعاون الدولى لمنع كوريا الشمالية من نقل أى تكنولوجيا نووية إلى إيران. لاسيما وأن توقيت إجراء هذه المناورات واكب إعلان إيران تشغيل شبكة ثانية من أجهزة الطرد المركزى تضم ١٦٤ جهازاً تعرف باسم (السلاسل)، تعمل إلى جانب الشبكة الأصلية فى تخصيب اليورانيوم بنسبة تتراوح بين ٣-٥٪، كما واكب إجراء هذه المناورات تحذيرات من أجهزة مخابرات غربية حول معلومات عن تهديدات باعتداءات إرهابية تستهدف منشآت نفطية فى الخليج، وهو ما دفع شون ماكورماك المتحدث باسم الخارجية الأمريكية إلى التصريح "بأن الولايات المتحدة والسعودية تقومان بعمليات لحماية المنشآت البترولية". وكانت قيادة القوات البحرية الغربية فى الخليج قد أعلنت حالة التأهب بعد معلومات عن اعتداءات إرهابية محتملة فى المنطقة، ومخاوف من هجمات إرهابية محتملة على المنشآت النفطية فى هذه المنطقة، وتم اتخاذ إجراءات لمواجهتها. وفى هذا الصدد صرح شارلى براون المتحدث باسم هذه القوات والمقيم فى البحرين "أن قوات التحالف تلزم الحذر وتتخذ إجراءات الحيطة، وتركز العمليات البحرية الأمنية فى الخليج على مواجهة هذه التهديدات المحتملة"، ثم أوضح أن هذه الإجراءات جاءت رداً على تهديدات حديثة ضد المنشآت النفطية فى الخليج ضمنها بيانات صادرة عن قيادة القاعدة".

وقد جرت ٢٤ مناورة بحرية سابقة فى إطار المبادرة التى أطلقها الرئيس بوش فى مايو ٢٠٠٣ تحت اسم "المبادرة الأمنية لمنع الانتشار النووى"، ولكن الأخيرة تجرى لأول مرة فى مياه الخليج وبمشاركة دول من الشرق الأوسط للمرة الأولى أيضاً. ورغم أن مسئولا أمريكياً كبيراً أكد أن هذه المناورات المشتركة مقررة منذ فترة طويلة، ولا علاقة لها بالضغوط على إيران بشأن برنامجها النووى، وقرب استصدار قرار من مجلس الأمن بفرض عقوبات اقتصادية على إيران، أبرزها حظر تصدير المواد والأجهزة والمعدات التى تدخل فى صناعة أسلحة الدمار الشامل بأنواعها، إلا أن موضوعات التدريب فى المناورة التى غطت مساحات واسعة من مياه الخليج وبحر عمان كان من الواضح أنها تدريب على كيفية ممارسة حقوق التفتيش التى سيكفلها قرار مجلس الأمن على السفن المتجهة إلى الموانئ الإيرانية والخارجة منها مستقبلاً، وفرض حصار بحرى محكم على السواحل والمياه الإقليمية الإيرانية، وهو ما يوصى باحتمالات عالية لتحرشات وصدامات بحرية بين السفن الحربية الأمريكية ونظيراتها الإيرانية، خاصة التابعة للحرس الثورى الإيرانى الذى تعج مياه الخليج بأنشطة زوارقه الهجومية والانتحارية.

ولم تستبعد تحليلات استراتيجية غربية أن يكون الانتشار البحرى الأمريكى القوى فى مياه الخليج تحت ستار المناورات التدريبية، ليس سوى تمهيداً لانتشار أوسع يستهدف فى المستقبل توجيه ضربة عسكرية (جوية وصاروخية) أمريكية مفاجأة ضد المنشآت النووية والصاروخية الإيرانية، لحسم هذه الأزمة التى طالت، وعجزت جميع الجهود الدبلوماسية الدولية التى بذلت فى حلها، وإقناع إيران بالتخلى عن عمليات تخصيب اليورانيوم، والتى تهدد هيبة الولايات المتحدة على المستويين الإقليمى والدولى، بأكثر مما هى مهدرة فى العراق وأفغانستان، لاسيما وأن وجود حاملتى طائرات (أيزنهاور، انتربرايز) عليهما حوالى ١٦٠ مقاتلة قاذفة، بالإضافة لثلاثة مدمرات مسلحة بحوالى ٢٠٠ صاروخ كروز (توماهوك) وغواصة مسلحة أيضاً بنفس النوع من الصواريخ، لا علاقة له بالتفتيش على السفن التجارية الناقلة للبضائع سواء مهربة أو غير مهربة، ولكنها تدخل فى إطار تنفيذ مهام هجومية جوية وصاروخية ضد أهداف تقع على مسافات بعيدة، وهو ما يعنى أنها تغطى العمق الإيرانى كله والذى تنتشر فيه المنشآت النووية الصاروخية ومواقع الحرس الثورى وقواعده البحرية على الخليج.

-كما يرتبط توقيت إجراء المناورات البحرية الأمريكية

فى الخليج بفشل الإدارة الأمريكية حتى الآن فى تمرير مشروع قرارها فى مجلس الأمن، والخاص بفرض عقوبات على إيران، حيث ترى الانقسام بين الدول الأعضاء فى المجلس حول هذا القرار نتيجة للتحفظات والاعتراضات العديدة التى تبديها كل من روسيا والصين عليه، وذلك بفعل الضغوط التى تمارسها إيران على هاتين الدولتين نتيجة علاقاتها الاقتصادية القوية معهما. يتزامن ذلك مع الهدوء النسبى فى ردة الفعل العالمية على تجربة كوريا الشمالية النووية، والتى عادت فجأة إلى المفاوضات السداسية. وهو الأمر الذى دفع الإدارة الأمريكية إلى أن ترد بهذه المناورات المشتركة باعتبارها تمثل رادعاً استراتيجياً ضد إيران، وفرصة لاختبار أنظمة أسلحة أمريكية جديدة، وقدرة الجنود على استخدامها.

سرعة وتنوع رد الفعل الإيرانى العسكرى

-جاء رد إيران على المناورات البحرية الأمريكية بعد ٢٤ ساعة فقط على انتهاء مناورات الولايات المتحدة وحلفائها، حيث وصف المسئولون الإيرانيون هذه المناورات بالقول "أنها استفزازية ودليل على العدائية والهيمنة". وقد صرح قائد البحرية الإيرانية الاميرال كوشاكى بأن "السفن الحربية الأمريكية تجوب مياه الخليج (الفارسى) وبحر عمان بانتظام، وهى كلها تحت مراقبتنا"، وأضاف "إن الأمريكيين إذا أرادوا تهديد الجمهورية الإسلامية فإن فى وسعنا السيطرة عليهم". مشيراً إلى أن "البحرية الإيرانية لا تخشى مثل هذا التهديد وتراقب العدو بشكل تام".

-أما الناطق باسم الخارجية الإيرانية فقد أكد على ما وصفه بـ "الموقف المبدئى" لطهران وهو أن "دول المنطقة يمكن أن تضمن الأمن فيها بشكل أفضل من كل الدول الأخرى" وأشار إلى أن طهران دعت دول المنطقة فى أكثر من مناسبة إلى إبرام "معاهدة أمنية جماعية" ثم أعلنت طهران عن بدء مناورات أطلقت عليها (الرسول الأعظم -٢)، وفى المنطقة ذاتها الممتدة من الخليج العربى وحتى بحر عمان، وذلك فى عرض مباشر للعضلات أمام المناورة الأمريكية الأخيرة، وفى تحد واضح للمجتمع الدولى وضغوط عليها فيما يخص برنامجها النووى.

-وقد بدأ الحرس الثورى هذه المناورات فى الأول من نوفمبر الماضى، وأعلن قائد هذا الحرس اللواء يحيى صفوى أن هذه المناورات "تهدف إلى تقويم قدرة الحرس وإرادته، وتعزيزهما لمواجهة أى تهديد أو اعتداء"، نافياً أى رغبة إيرانية فى تشكيل تهديد للدول المجاورة، ومؤكداً على أن إيران تطمح إلى توفير أمن الخليج بمشاركة دول الجوار، والتعاون فى الترتيبات الأمنية فى هذه المنطقة الاستراتيجية والحساسة جداً. وقد شدد صفوى على "أن جيران إيران هم أصدقاؤها وأعداءها هم أعداء لجيرانها"، ثم وصف المناورات الغربية فى الخليج بأنها "ذات بعد إعلامى وسياسى، وتفتقد القيمة العسكرية والعملياتية"، أما المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الإيرانية - محمد على حسينى - فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث وصف المناورات الإيرانية بأنها "رسالة أمن وسلام واستقرار إلى دول المنطقة".

-وفى الساعات الأولى من بدء المناورات التى استمرت عشرة أيام تم إطلاق عشرات الصواريخ الباليستية (شهاب ٢ ، ٣) ذات رؤوس حربية تقليدية وعنقودية، والصاروخ (ناتج - ١١٠) و(ذو الفقار -٧٣)، و(زلزال ١،٢،٣) و(سكود - ب) وأوضح اللواء صفوى رئيس الحرس الثورى أن الصاروخ (شهاب -٣) قد وصل مداه إلى ٢٠٠٠ كم، بالإضافة لصواريخ أخرى تم إطلاقها يصل مداها إلى ١٥٠ كم. أما فيما يتعلق بالقوات الجوية فقد استعرضت فى هذه المناورات تدريبات للمقاتلات (سوخوى - ٢٥) لقصف أهداف أرضية فى إطار تقديم المعاونة الجوية المباشرة للقوات البرية والبحرية فى عملياتهما، بالإضافة لطائرات النقل (اليوشتى) و(أنتينوف) ومروحيات (مى - ١٧) فى عمليات النقل الجوى لدعم وإسناد عمليات القوات البرية والبحرية، إلى جانب طائرات بدون طيار تستخدم فى تنفيذ مهام الاستطلاع ومراقبة النيران وتصحيحها، إلى جانب إطلاق صواريخ حرة وموجهة مضادة للمركبات. كما ظهر استخدام الغواصات الروسية الأصل فى القيام بمهام هجومية ضد أهداف بحرية وساحلية.

وفى اليوم الثانى من المناورات أعلنت إيران نجاحها فى تحسين قدرات صواريخ (شهاب)، وصرح الجنرال حسين إسلامى قائد القوة الجوية فى الحرس الثورى بأنه تم بنجاح إجراء تعديل فى شحنة الصاروخ (شهاب - ٣) بما يمكنه من نشر ١٤٠٠ قنبلة صغيرة فى منطقة واسعة من الهدف لمدى يصل إلى ٢٠٠٠ كم يغطى إسرائيل وجنوب أوروبا. وأوضح الجنرال إسلامى "مع هذه التجارب اكتسبنا قدرة جديدة لإطلاق الصواريخ ضد القواعد العسكرية والسفن المعادية فى المنطقة، ولدينا بالتالى قدرة أعلى لتهديد العدو فى البر والبحر".

أما البريجادير فدوى أحد قادة الحرس الثورى الإيرانى فقد صرح بأن قواته اختبرت بنجاح أنواعاً من صواريخ أرض/بحر، وبحر/ بحر، بينهما صواريخ (كوثر، نور، نصر). وأضاف "لقد زاد مدى هذه الصواريخ من ١٢٠ كم إلى ١٧٠ كم، لتغطى منطقة الخليج كلها وبحر عمان والتى أصبحت كلها الآن تحت سيطرتنا، وإذا أراد الأعداء أن يكونوا فى مأمن فإن عليهم أن يتجنبوا أى خطوات عدائية فى الخليج (الفارسى)، فإننا اليوم

نشرف على المنطقة كلها."
وفى اليوم الرابع للمناورات جرت عمليات نقل جوى وهجمات جوية من قبل القوات الخاصة للحرس الثورى، بالإضافة لبدء المرحلة الثانية من مناورات القوات البرية للحرس الثورى. حيث ذكر مساعد قائد العمليات فى القوات البرية التابعة للحرس الثورى العميد عباس نيلفروشان بأن هذه المرحلة من المناورات شملت قيام وحدات (صابرين) الخاصة بإجراء عمليات توغل بعمق ١٤٠٠ كم والاستيلاء على مواقع مفترض أنها معادية. وأضاف أن استخدام تكتيكات قتالية حديثة ومتطورة، والانسجام والتنسيق بين الوحدات الجوية والبرية والبحرية، إلى جانب السرعة والدقة فى الأداء كانت بمستوى أفضل مقارنة بالمناورات السابقة. وأشار إلى أن وحدات (صابرين) الخاصة قامت بإجراء أنواع مختلفة من العمليات التكتيكية مثل الهجمات على أجناب مؤخرة مواقع العدو، وعرقلة تحركاته على الطرق والمعابر والجسور، والتوغل فى عمق مواقعه لتدمير أنظمة ومقرات قيادته وسيطرته، موضحاً أن هذه المهام هى جزء من المهارات التى تتمتع بها القوة البرية فى الحرس الثورى. وأعلن نيلفروشان عن نجاح المرحلة الأولى من المناورات البرية، والتى شاركت فيها عشرات ألوية مدرعة وميكانيكية ومشاه، حيث تم خلالها تعزيز المهارات الفردية فى استخدام الأسلحة الخفيفة والثقيلة وسلاح المدرعات والمدفعية ودراجمات الصواريخ. وأوضح أنه تمت فى هذه المرحلة الاستفادة من الطائرات الخفيفة لغاية والتى لا يستطيع الرادار اكتشافها، حيث قامت هذه الطائرات بمهام متتالية خاصة، بل وتنفيذها فى بيئات متباينة مثل الجبال والغابات والصحارى، وبعض المهام تم تنفيذها وجهاً لوجه مع طائرات معادية، إلى جانب تنفيذ عمليات تدخل سريع بعمق كبير للغاية دون تخطيط مسبق، حيث شارك فى هذه المرحلة المئات من مقاتلى وحدات (صابرين) الخاصة. كما أعلن أيضاً مساعد عمليات القوة البرية عن تنفيذ عمليات نقل جوى ليلاً لوحدات خاصة خلال هذه المرحلة من المناورات.

وفى مرحلة تالية من المناورات تم تخصيصها لتدريب وحدات مدفعية الحرس الثورى، وتم استعراض نوعيات جديدة من المدافع صنعت محلياً أعيرة ١٢٢مم، ١٣٠مم، ١٥٥مم يتراوح مداها ما بين ٧٥ - ١٢٠كم وهى ذات أصل روسى. وقد استخدمت مدفعية الحرس الثورى نحو ١٠٠ مربض مدفعية احتلتها. بحوالى ٤٠٠ قطعة مدفعية لتنفيذ تمهيد نيرانى يشكل غطاءاً لهجوم وحدات برية تتكون من ١٨٠٠ وحدة صغيرة قامت باختراق برى بطول ١٤٥٠كم، حيث تم هجوم الوحدات البرية من المشاة الميكانيكية والمدرعة تحت ستر هذا التمهيد النيرانى المدفعى، واستحدث المدفعية بعد ذلك فى تقديم المعاونة النيرانية لصد هجوم مضاد معادى مفترض، وأيضاً الدعم النيرانى لقوات خاصة ثم إبرارها جواً فى العمق، وأخيراً فى تأمين التمسك بالخطوط النهائية التى اكتسبتها القوات المهاجمة فى نهاية اليوم أو استعادتها من العدو.

وقد صرح الجنرال على فضلى الناطق باسم المناورات بأن وحدات المدفعية التابعة للحرس الثورى استخدمت هذه المدافع التى أنتجت محلياً، وتم تجربتها بنجاح أول مرة، حيث أثبتت دقتها فى إصابة الأهداف على المدايات البعيدة التى ثم تطوير المدافع لتصل إليها. وقد واكب التدريب المدفعى، تنفيذ تدريبات أخرى لمدفعية وصواريخ ساحلية، وإطلاق زوارق صواريخ ولنشات سريعة تابعة للبحرية للقيام بمهام هجومية ضد أهداف بحرية وبرية معادية على الساحل.

وفى إطار الاستعداد لمواجهة عمليات تخريبية فى الداخل بإيعاز من الولايات المتحدة، اشتملت موضوعات التدريب على رفع درجة استعداد وحدات الأمن الداخلى فى معظم المحافظات الحدودية الإيرانية التى بها أقليات عرقية ومذهبية كبيرة - مثل خوزستان فى الجنوب ذات الأغلبية العربية، وبلوشستان فى الشرق، وأذربيجان فى الشمال، وكردستان فى الغرب - حيث تم تحريك وحدات الأمن الداخلى للتدريب على مواجهة اضطرابات مفترضة من قبل هذه الأقليات وإخمادها وفرض السيطرة بالقوة على الأوضاع الداخلية، وقد واكب ذلك ما ذكرته وسائل الإعلام الإيرانية يوم ٦ نوفمبر الماضى حول تنفيذ أحكام إعدام ضد ثمانية متمردين ينتمون لمجموعة سنية متمردة فى مدينتى زهوان وإيرانشهر فى جنوب شرق البلاد، إلى جانب إعدام ستة رجال آخرين ينتمون إلى "مجموعة إرهابية (سنية) قاموا بخطف سياح أجانب وإحراق سيارات شرطة وقتل ثلاثة من رجال الشرطة. وكانت مجموعة معارضة أطلقت على نفسها (جند الله) أعلنت فى الشهر الماضى مسئوليتها عن عمليات مسلحة عدة فى محافظتى سيستان - بلوشستان وكرمان فى جنوب شرقى إيران شملت قتل ٢٣ شخصاً وخطف تسعة جنود قرب الحدود مع باكستان، واغتيال أحد مرافقى الرئيس محمود أحمدى نجاد. وأعلن قائد الحرس الثورى الإيرانى الجنرال يحيى صفوى أن المناورات البحرية ستتزامن مع تدريبات تقوم بها وحدات قوات التعبئة فى محافظات (أذربيجان الغربية وطهران، وخراسان الجنوبية وخراسان الرضوية وفارس وقم وقزوين وكرمان وكهيلوية وكلستان ويزد).

رؤية تحليلية:

من المؤكد أن المناورات العسكرية الإيرانية الأخيرة،

وما اقترنت به من تصريحات قوية ومتشددة غير مسبوقة صادرة عن المسئولين الإيرانيين - سياسية وعسكرية - تعكس نظرة تصنيف إيران نفسها باعتبارها قوة إقليمية عظمى Great Regional Force مؤكدة المضى فى برنامجها النووى حتى تحقق أهدافه النهائية، لا يثنيها عن ذلك أى ضغوط سياسية أو اقتصادية أو حتى عسكرية، تمثلت فى المناورات العسكرية الأمريكية التى سبقت المناورات الإيرانية. ساعد إيران على ذلك الانقسام الواسع بين القوى الست الكبرى والذى يحول دون التوصل إلى اتفاق دولى بشأن العقوبات التى ترغب الولايات المتحدة فى فرضها على إيران، وما يتعاقب على إدارة بوش من هزائم ونكسات داخلية وخارجية. ينعكس ذلك بوضوح فى إعلان مرشد الثورة خامنئى "إن الشعب الإيرانى يواصل بتصميم مسيرته المظفرة فى المجال النووى من أجل استخدام طاقات هذا الجيل الواعى الذى يحتوى يوما بعد يوم معتقدات الغرب". أما قائد القوات البرية فى الحرس الثورى فقد صرح أثناء المناورات قائلاً: "إن العدو (الأمريكى) يعى أن إيران تحولت إلى قوة إقليمية تمتلك الاستعداد للرد بقوة على أى هجوم يستهدفها"، مؤكداً فى الوقت نفسه أن طهران "لا تنوى مهاجمة أى بلد". وقد جاء الرد الأمريكى سريعاً على هذه التصريحات الصريحة للمسئولين الإيرانيين، وذلك من جانب مساعد وزير الدفاع الأمريكى لشئون الدفاع الدولى بيترودمان، على هامش اجتماعات اللجنة العسكرية الأمريكية - الإيرانية فى عمان، حين صرح قائلاً: "إن إيران تشكل خطراً كبيراً على واشنطن وحلفائها العرب.

أ - مخاوف الدول العربية الخليجية من إيران:

إن لجوء إيران فى مراحل تاريخية سابقة إلى تبنى سياسات واستراتيجيات ضد جيرانها، حرصاً من الزعامات الإيرانية على تأكيد الوضع المتميز لإيران فى المنطقة باعتبارها قوة إقليمية عظمى، لا ينفى أصول الاستراتيجية الإيرانية ماضياً وحاضراً والتى تمزج بين العمل الدبلوماسى الدؤوب والصبور، وبين استعراضات قوتها العسكرية من حين لآخر. وعليه ينيط النظام الإيرانى بالدبلوماسيين القيام بالمساومات الدولية فى المسائل المعقدة والأزمات - مثل الأزمة النووية الحالية - فى حين يتولى العسكريون من خلال استعراضات القوة تقوية ظهر ودعم المفاوضين الإيرانيين. وعلى رغم أن العقوبات الاقتصادية والتهديدات العسكرية يخيمان على أجواء الملف النووى الإيرانى، إلا أن شريحة كبيرة من المسئولين الإيرانيين وجماعات ضغط كثيرة فى المجتمع الإيرانى (مثل تجار البازار ومرجعيات دينية معتدلة وإصلاحيين ومثقفين) يؤمنون بضرورة التوصل إلى حل سلمى، وإعمال المفاوضات الدبلوماسية، مع الاستعداد لتقديم تنازلات محدودة لا تؤثر سلباً على مكانة إيران الإقليمية المتميزة - لأن العمل العسكرى المتوقع اتخاذه من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل فى حالة استمرار التعنت الإيرانى، من الممكن أن يقضى على كل المنجزات التى حققتها إيران على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وقبلها المنجزات العسكرية خلال الخمسين عاماً الماضية قبل وبعد الثورة الإسلامية.

ورغم هذه التوجهات السلمية لشريحة عريضة من النخبة الإيرانية، إلا أن المشاكل التى تواجهها إدارة بوش فى العراق وأفغانستان وهزيمة الحزب الجمهورى فى انتخابات الكونجرس الأخيرة، إلى جانب هزيمة إسرائيل فى حرب لبنان، كل ذلك شجع المتشددين فى النظام الإيرانى الحاكم على الذهاب بعيداً فى سياسة التعنت والتشدد والاقتراب من حافة الهاوية وقد انعكس ذلك واضحاً فى خطبة عيد الفطر المبارك التى ألقاها مرشد الثورة على خامنئى فى شأن المناورات الإيرانية قبل إجراءها حين قال: "إن المنطقة فتحت صفحة جديدة من تاريخا بفضل النصر الذى حققه حزب الله اللبنانى على إسرائيل فى الحرب الأخيرة". وهو ما فسره مراقبون باعتباره دعوة إلى مجموعة خارجة عن إرادة الدول والشعوب، لأن تقود المنطقة إلى حروب وويلات جديدة، وذلك عبر تحريك الأحزاب والميليشيات والمنظمات الإسلامية المتطرفة، من دون الاعتراف بإدارة الحكومات والشعوب، مثلما تفعل الميليشيات، التابعة لإيران فى العراق ولبنان وأفغانستان وفلسطين وغيرهم من الدول العربية الإسلامية، هى تلك التى تتبع المذهب السنى، وذلك باعتبار أن الجمهورية الإسلامية فى إيران هى الدولة الوحيدة التى تدافع عن القضية الفلسطينية والمقدسات الإسلامية فى القدس وتقف فى وجه إسرائيل، وأن أعداء إيران من دول عربية وإسلامية طبعت علاقاتها مع إسرائيل وتدور فى الفلك الأمريكى، وهذا هو مغزى التصريحات المتشددة التى يشنها الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد ضد إسرائيل، وترددها بقوة وسائل الإعلام الإيرانية، وتجد بالتالى لها صدى لدى الشعوب العربية الكارهة بطبيعتها لإسرائيل والولايات المتحدة لدعمها المطلق لإسرائيل. ومن هنا تعتبر كثير من الدول العربية أن السياسة الإيرانية فى المنطقة تشكل مصدر خطر لها، حيث تهدد باستقطابها المنظمات الدينية المتطرفة أمن واستقرار هذه الدول الساعية للسلام والتنمية. إذ لا تزال تحكم السياسة الإيرانية فى نظرة الدول العربية "والفكرة التآمرية" على اعتبار أن إيران هى التى تعرف مصالح المنطقة وتقدر

على الدفاع عنها، ومن يتدخل غيرها فى شئونها هو صاحب مطامع وسيورثها لإسرائيل. ولهذا بدأت وسائل إعلام عربية توجه اتهامات لطهران بأنها تذكى العاطفة الدينية المذهبية من خلال الجماعات الأصولية الراديكالية فى بعض بلدان المنطقة، مع استغلال هذه العواطف لإيجاد حال تمدد شيعى هى المستفيد الأول منه، مثلما تعمل فى البحرين من خلال شراء الأراضى وتمكين جماهير الشيعة فى مناطق (المحرق) و (الرقاع)، وفى لبنان عبر حزب الله للسيطرة على الحكومة اللبنانية، ودفع الآلاف من الحرس الثورى الإيرانى للإقامة فى مدن جنوب العراق.

لذلك تستنكر الكثير من الدول العربية- لاسيما الخليجية- اعتراضات إيران على المناورات الأمريكية التى شاركت فيها بعض الدول العربية الخليجية، بدعوى إيرانية أن تلك المناورات لاتنسجم مع متطلبات أمن المنطقة واستقرارها وتشكك فى نواياها، هذا بينما كانت إيران نفسها تجرى فى أوقات سابقة وفى وقت لاحق للمناورات الأمريكية الأخيرة مناورات عسكرية تستمر ما بين ١٠-١٥ يوماً تختبر فيها صواريخ وأسلحة عديدة متنوعة، إلى جانب تدريب حرسها الثورى على إغلاق مضيق هرمز وتلغيم مياه الخليج وإغراق الناقلات بالصواريخ الساحلية البحرية والزوارق الانتحارية، ناهيك عن سعى إيران لامتلاك أسلحة نووية، وكلها عوامل تهدد ليس فقط أمن واستقرار دول المنطقة، بل وكياناتها أيضاً فى حالة نشوب صراع مسلح فيه لا يمكن ضمان السيطرة على تصعيده حتى مستوى استخدام الأسلحة النووية فيه. ومن ثم تطالب الدول العربية الخليجية إيران أن تنظر إلى الآخرين بالمجهر نفسه الذى تسمح لنفسها بالمشاهدة من خلاله، باعتبار أنه من حق هذه الدول العربية الخليجية تطوير قدرات قواتها المسلحة، وتدريبها بمساعدة من ترى من الدول القادرة على عمليات التدريب والتأهل العسكرى.

ب- رهانات إيران على قوتها الصاروخية وهزيمة الحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة

- أما من حيث رهانات طهران على قواتها الصاروخية وهزيمة الحزب الجمهورى فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس، فقد شكك فيها المراقبون على النحو التالى:

١- الرهان على قوة الصواريخ الإيرانية: أكد رئيس أركان القوات المسلحة الروسية الجنرال يورى باليوفسكى بأن طهران لا تمتلك التقنيات اللازمة لتطوير صواريخ عابرة للقارات يصل مداها إلى ٥٠٠٠ كم، فقد نفى ذلك بشدة قائلاً: "لو عملت إيران على تطوير صواريخ عابرة لكانت وكالات الاستخبارات العالمية راقبتها وكشفتها عن كثب"، مشيراً إلى أن تلك النشاطات محظورة دولياً، إضافة إلى أن طهران التزمت بقوانين منع الانتشار. وأضاف الجنرال الروسى: "إستناداً إلى العوامل التى ذكرتها فإن المجتمع الدولى لديه الزخم الكافى لضبط الوضع العالمى المتعلق بتطوير صواريخ أو أسلحة نووية"، وركز على الدور الذى تقوم به الوكالة الدولية للطاقة الذرية كإحدى آليات المراقبة القوية. أما من حيث امتلاك إيران لصواريخ (شهاب -٣) التى تغطى إسرائيل، فإن خبرة حرب لبنان الأخيرة أثبتت أن قيمة القصف الصاروخى الذى شنه حزب الله بحوالى ٤٠٠٠ صاروخ ضد أهداف مدنية فى شمال إسرائيل كانت معنوية أكثر منها مادية، حيث لم يقتل ويصاب من الإسرائيليين المدنيين نتيجة هذا القصف سوى أعداد محدودة جداً، كما أن الدمار المادى الذى نتج عن هذا القصف كان أيضاً محدوداً، ومن ثم فإن القصف الصاروخى برؤوس تقليدية لا ينتج عنه سوى خسائر محدودة، لا تقاس بالخسائر البشرية والمادية الجسيمة التى يمكن أن يحدثها القصف الجوى المكثف كالذى أحدثته المقاتلات الإسرائيلية فى لبنان، لذلك فإن الصواريخ الإيرانية شهاب تبرز قيمتها العسكرية فقط إذا ما سلحت برؤوس فوق تقليدية (كيماوية وبيولوجية ونووية)، وبالطبع فإن دون ذلك محاذير كثيرة، واضعين فى الاعتبار خطورة رد الفعل الانتقامى من جانب المقاتلات والصواريخ الإسرائيلية والأمريكية.

٢- الرهان على هزيمة الحزب الجمهورى: قال الباحث فى معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى والقريب من الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية بنيامين فيشمان معلقاً على فوز الحزب الديمقراطى: "إن ترؤس الحزب الأزرق (الديمقراطى) للسلطة التشريعية لن يكون له تأثير مباشر على عملية السلام أو موقف الولايات المتحدة حيال أطراف الصراع وإيران". وأضاف أن الحزب الديمقراطى هو أقرب تاريخياً لتل أبيب من منافسه الجمهورى، وله موقف حاسم ومتشدد سواء من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أو (حزب الله) أو إيران واعتبر فيشمان أن الهيكلية الجديدة للجان الكونجرس تنذر بسياسة أكثر تأييداً لإسرائيل، خصوصاً وأن النائب توم لانتوس - وهو أحد الناجين من الهولوكست الذى ينكر وقوعه الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد - سيترأس لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب، ويدعو لانتوس إلى قطع المساعدات عن السلطة الفلسطينية وتكثيف الضغوط على إيران والحكومة اللبنانية وحزب الله. أما فيما يتعلق بمستقبل القوات الأمريكية فى العراق، فإن الواشنطن بوست توقعت أن يعمل الفريقان فى الكونجرس على وضع مشروع

مشترك يستند إلى مقترحات لجنة جيمس بيكر، ويقود إلى البدء بسحب تدريجي للقوات الأمريكية فى غضون ١٨ شهر، مشيرة إلى أنه فيما يستطيع الكونجرس أن يفرض أجندته على الرئيس، فإن الأخير بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية يملك صلاحيات نقض قرارات الكونجرس فى القضايا التى تتعلق بالأمن القومى، رغم أن ذلك يعتبر مكلفاً من الناحية السياسية. وفى جميع الأحوال فإن سياسة الرئيس بوش تجاه إيران فى ضوء سيطرة الديمقراطيين على الكونجرس سترتكز فى تنفيذ أهدافها القديمة والحديثة تجاه إيران - سواء فيما يتعلق بالملف النووى أو التدخل الإيرانى فى العراق - على استغلال اهتمام الديمقراطيين فى الكونجرس بأمن إسرائيل، وعلى اعتبار ما تشكله إيران بصواريخها وبرنامجها النووى من تهديد ليس فقط لأمن إسرائيل بل ولكيانها أيضاً. ومن ثم تصبح إسرائيل محوراً لاهتمام وتلاقى إدارة بوش مع الكونجرس المسيطر عليه الديمقراطيين، وبالتالى لن يجد بوش من يعارضه فى الكونجرس إذا ما قرر المضى فى تصعيد المواجهة مع إيران، وهو ما تخفر عليه إسرائيل وتضغط من أجله على الإدارة الأمريكية بواسطة اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة، وهو التصعيد الذى قد يصل إلى حد توجيه ضربة عسكرية أمريكية ضد إيران.

ج- زيارة أولمرت لواشنطن وطلبه مظلة نووية أمريكية بعد زيارته موسكو:

- يتأكد هذا المعنى فى زيارة أولمرت رئيس وزراء إسرائيل الأخيرة لواشنطن. وما ذكرته مصادر إسرائيلية عن سعيه للحصول على مظلة نووية أمريكية لحماية تل أبيب من أية ضربة إيرانية. وفى الوقت الذى حذر فيه أيفرايم سينيه نائب وزير الدفاع الإسرائيلى من أن تل أبيب قد تضطر للقيام بعمل عسكرى ضد إيران، مضيفاً "أن إسرائيل لم يعد لديها من خيارات سوى توجيه ضربة عسكرية ضد البرنامج النووى الإيرانى، ويبدو توقيت زيارة أولمرت لواشنطن غداة انتصار الديمقراطيين ذا مغزى عميق من حيث تنسيق المواقف معهم فى الكونجرس ومع إدارة بوش، وهو ما عبرت عنه ميرى إيشينى المتحدثة باسم أولمرت عندما ذكرت أن إيران على جدول أعمال القمة، وأن واشنطن وتل أبيب لديهما رؤية مشتركة فى هذه القضية، ومن المهم أن تعقد لقاءات مباشرة حول هذه المسألة الهامة كما أكدت المتحدثة باسم رئيس الوزراء، وبدون أن تعلق مباشرة على تصريحات نائب وزير الدفاع "سينه"، على الموقف الرسمى للحكومة الإسرائيلية المتمثل فى أن إسرائيل لن تتحرك بمفردها ضد إيران، واكتفت بالقول أن "إيران تشكل تهديداً للعالم العربى بأسره، وأن إسرائيل ستعمل بالتنسيق مع المجتمع الدولى على اتخاذ الإجراءات اللازمة".

- ومن المعروف أن أولمرت حاول خلال زيارته فى أكتوبر الماضى إلى موسكو إقناع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين بفكرة فرض عقوبات أشد على إيران، حيث تتهمها إسرائيل بالسعى لحيازة سلاح نووى تحت غطاء برنامجها النووى المدنى الذى تنفذه بالتعاون مع روسيا، والمتمثل فى مفاعل بوشهر وما تم الاتفاق عليه من بناء مفاعلات نووية أخرى فى إيران بواسطة روسيا.

- وإذا توقفنا أمام ما ذكرته المصادر الإسرائيلية من أن أولمرت يسعى أثناء زيارته لواشنطن للحصول على مظلة نووية أمريكية لحماية تل أبيب من أية ضربة إيرانية، فإن هذا الأمر يعد بالغ الخطرة فيما تشهده الأزمة النووية الإيرانية من تصاعد. لأنه من المعروف أن المظلة النووية المطلوبة من قبل إسرائيل ليست وسيلة دفاعية يمكن أن تستخدم لصد هجوم صاروخى إيرانى سواء برؤوس تقليدية أو حتى فوق تقليدية، ولكن المظلات النووية كانت ولا تزال وستظل وسائل هجومية بحتة إذا ما فشلت فى تحقيق أهدافها كوسائل ردع نووية. ومعنى ذلك فى الرؤية الإسرائيلية، أنه رغم امتلاك إسرائيل لترسانة نووية ضخمة تستخدمها كوسائل لردع خصومها، إلا أنها تريد أيضاً إشراك الترسانة النووية الأمريكية فى هذه المهمة، سواء للتلويح بها لردع إيران عن الاستمرار فى برنامجها النووى، أو استخدامها بالفعل إذا ما تقرر توجيه ضربة مسبقة ضد إيران وهو ما سمح به الكونجرس منذ شهور. وهنا وجه الخطورة لأنه قد يعنى فى المفهوم الإسرائيلى البدء باستخدام السلاح النووى مع بداية العمل العسكرى وحتى لا تتمكن إيران من استخدام صواريخها شهاب ضد إسرائيل، واضعين فى الاعتبار المعلومات الاستخباراتية التى تفيد بوجود حوالى ٩٠ قنبلة نووية تكتيكية B61-11 فى قاعدة أنجرليك الجوية بجنوب تركيا، والتى تسيطر عليها القوات الجوية الأمريكية.

د- كاسحات الألغام الأمريكية والحصار البحرى على إيران:

- تؤكد المناورات العسكرية التى شهدتها منطقة الخليج أخيراً على أن منطقة الشرق الأوسط مقبلة خلال الفترة القادمة على تصعيد أعلى فى الأزمة النووية المتفاقمة بين إيران والولايات المتحدة، فقد حملت أوامر التحرك والانتشار التى أصدرتها قيادة البحرية الأمريكية إلى غواصة من طراز "إيجيس" وكاسحتى ألغام وسفينتين متخصصتين بالبحث عن الألغام، تعليمات ضمنية بمراجعة الخطط الموضوعة

منذ زمن لفرض الحصار على ميناءين نفطيين إيرانيين فى الخليج، مع طلب إجراء تقييم لفاعلية الحصار الذى يمكن أن يفرض على هذين الموقعين الاستراتيجيين، حيث لم يوافق القائد البحرى الأمريكى المسئول عن ذلك على التحليل السابق تقديمه إليه، وطلب إعادة النظر فى خطط الحصار. فما الذى يفهم من ذلك؟ إن هناك عدد قليل جداً من المواقع عبر العالم تتقدم فيها كاسحات الألغام كأولويات فى المستلزمات البحرية الأمريكية، وكل بحار ومهندس نفط ومدير تمويل فى الولايات المتحدة يعرف أن مضيق هرمز فى الخليج يعتبر الموقع الأكثر أهمية بين تلك المواقع، والذى يشكل عنق زجاجة لا يزيد عرضه عن ٢٠ ميلاً ويمر من خلاله يومياً ما لا يقل عن ٤٠٪ من احتياجات العالم من النفط. لذلك فإن نشر كاسحات الألغام مقابل الساحل الغربى لإيران عندما يقترن بأوامر من قيادة البحرية الأمريكية بإعادة النظر بخطط الحصار، إنما يعنى ذلك أن الولايات المتحدة تعد العدة لمواجهة عسكرية ضد إيران، خصوصاً بعد أن أجرت إيران مناورات بحرية فى أبريل الماضى (الرسول الأعظم - ١) وشملت موضوعات تدريب على تلغيم الخليج، واختبارات لصواريخ ساحلية وبحرية فى أشهر أغسطس الماضى. وهو ما يعطى إحساساً متصاعداً لدى القيادة العسكرية الأمريكية بأن المواجهة مع إيران حول برنامجها النووى وتهديداتها لإسرائيل وسعيها إلى بسط هيمنتها على أغنى مناطق النفط فى العالم، قد لا يمكن تجنبها. وقد انعكس ذلك فى مؤتمر للقادة العسكريين دعا إليه قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال جون أبى زيد فى شهر سبتمبر الماضى، وكانت إيران على قمة أجندة أعمال هذا المؤتمر. وإذا كانت الولايات المتحدة لا تستطيع تجنب وقوع مواجهة عسكرية مع إيران، رغم عدم رغبتها فى ذلك بالنظر للمشاكل الكثيرة التى تواجهها واشنطن فى منطقة الشرق الأوسط وخارجها، وسلامة الحجج المعارضة لأية حرب أمريكية جديدة فى الوقت الحاضر، فإن ثمة مؤشرات عديدة على أن أزمة حادة قد تفرض نفسها على الولايات المتحدة وإيران فى وقت أقرب مما يتوقعه الكثيرون، بالنظر لتشدد كل طرف فى موقفه ورفضه التقابل مع الطرف الآخر فى منتصف الطريق، وليست هذه الهواجس قاصرة فقط على الجانب الأمريكى، بل يشاركه الجانب الإيرانى أيضاً نفس الهواجس وهو ما عبّر عنه على أنصارى الباحث الإيرانى المتخصص فى الشئون الخارجية عندما قال: "إننا سائرون فى الوقت الحاضر إلى الصدام".

هـ- أهمية حماية منشآت النفط الخليجية:

وإذا كانت المناورات العسكرية الأخيرة من جانب كل من الولايات المتحدة وإيران فى الخليج تستهدف ردع كل طرف عن تهديد الطرف الآخر، وتعلن أهمية نفط منطقة الخليج لأمن واستقرار الدول الصناعية، وعدم تهاونها مع من يعرقل إمداداته، فإن حماية المنشآت النفطية فى دول الخليج العربية يفرض عليها مسئوليات جسام، لاسيما مع تصاعد التهديدات العسكرية من الجانبين الأمريكى والإيرانى من جهة، ومن جانب تنظيم القاعدة الإرهابى من جهة أخرى، وهو ما كشف عنه صراحة الرجل الثانى فى قيادة هذا التنظيم أيمن الظواهرى مؤخراً. فقد تعرضت مصفاة نفط (بقيق) فى السعودية لهجوم إرهابى من قبل (القاعدة) فى فبراير الماضى، وكان الرد السعودى قوياً عندما تمكنت الحراسة الأمنية فى هذا الموقع من قتل الإرهابيين على الفور قبل أن يتجاوزا البوابة الأولى، وهنا تكمن أهمية الردع باعتباره العامل الأساسى فى تفشيل خطط الإرهابيين لمهاجمة المنشآت النفطية، إلى جانب تأمين أقصى إجراءات الحراسة الأمنية عليها ليس فقط ضد الإرهابيين، ولكن أيضاً بالدفاع المضاد للصواريخ عنها تحسباً لهجمات صاروخية انتقامية من جانب إيران عليها إذا ما تعرضت الأخيرة لعملية هجومية من جانب الولايات المتحدة. هذا بالإضافة لضرورة تأمين مسارات أخرى بديلة لنقل نفط الدول العربية الخليجية بعيداً عن مضيق هرمز الذى من المؤكد سيكون بؤرة العمليات العسكرية بين القوات البحرية الأمريكية والإيرانية، وقد تكون هذه البدائل فى شكل خطوط أنابيب لنقل النفط، أو بناء مخزونات نفطية ضخمة خارج هذه المنطقة.

- ولعل ما يؤكد رعب الدول الصناعية الغربية وخوفها من أى حدث قد يزعزع وصول النفط إليها بأسعار معقولة، صراخ الدول المستهلكة للنفط عندما خفضت (الأوبك) إنتاجها بحوالى ١,٢ مليون برميل يومياً، لجلب الاستقرار إلى سوق النفط الدولية فى اجتماعها الاستثنائى فى الدوحة بتاريخ ٢٠ أكتوبر الماضى، ليصبح سقف إنتاجها ٢٧ مليون برميل يومياً، فكانت هذه الدول أول من سارع إلى انتقاء هذا القرار.

- خلاصة القول أن الصورة الآن أصبحت فى غاية الوضوح، فكل ما يجرى من تحركات عسكرية أو مناورات فى هذا الخليج المشتعل، إنما هو من منطلق أمن النفط وأمن إسرائيل ومكافحة الإرهاب، لتتحول المعادلة بعد أن كانت الوقوف وفى وجه المد الشيوعى للوصول إلى المياه الدافئة، لتصبح أضلاع المثلث: الدفاع عن النفط وأمن إسرائيل ومواجهة الإرهاب.



تقرير لجنة دراسة مستقبل العراق: خريطة طريق أمريكية للشرق الأوسط

اعتبارات عديدة تكسب تقرير "لجنة دراسة مستقبل العراق" برئاسة وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر والنائب الديمقراطى السابق لى هاميلتون، والذى صدر فى ٦ ديسمبر ٢٠٠٦، أهمية خاصة. لأنه أولا، ورغم أن هدفه الأساسى هو التوصل إلى سبل لمعالجة الوضع السئ فى العراق، نتيجة لفشل المشروع الأمريكى، وارتفاع حصيلة التكاليف المادية والبشرية الأمريكية فى العراق، إلا أنه يمكن وصفه بأنه "خريطة طريق" لأزمات الشرق الأوسط برمتها. إذ يقدم توصيات بشأن الوضع فى العراق وفلسطين ولا يستثنى لبنان، ويربط بين تحسين الوضع فى العراق وإشراك القوى الإقليمية فى المنطقة فى سبيل تحقيق هذا الهدف من ناحية، وبين التوصل إلى تسوية "مرضية" للصراع العربى- الإسرائيلى من ناحية أخرى.

ولأنه ثانيا، يمثل رؤية ديمقراطية جمهورية مشتركة لتطورات الوضع فى العراق خاصة ومنطقة الشرق الأوسط على سبيل العموم، خصوصا أن اللجنة تشكلت فى الأساس بتوجيه من مجموعة مكونة من أعضاء الكونجرس المنتمين إلى الحزبين الرئيسيين (الجمهورى والديمقراطى).

ويعتبر التقرير الذى جاء تحت اسم "الطريق إلى الأمام" أن لا سبيل للنجاح فى العراق، ولكن يمكن تحسين الأداء من خلال وضع الحكومة العراقية أمام مسئولياتها. ورغم أنه لا يوصى بانسحاب فورى أو بجدول زمنى للانسحاب، إلا أنه ينصح بسحب معظم القوات المقاتلة عام ٢٠٠٨، لأن تكاليف الحرب ستتجاوز تريليون دولار. كما يوصى التقرير الإدارة بأن تعلن مجدداً أنها لا تسعى للسيطرة على قطاع النفط فى العراق، وطالبها، فى إطار الجهود للتوصل إلى حل، بإظهار "التزام متجدد ومتواصل" من أجل التوصل إلى "خطة سلام شاملة" بين إسرائيل من جهة والفلسطينيين وسوريا ولبنان من جهة أخرى. ويدعو التقرير إلى إشراك سوريا وإيران فى التسويات. أما على الصعيد اللبنانى فيوصى التقرير بمفاوضات مع دمشق التى عليها الالتزام بالقرار ١٧٠١ والمحكمة الدولية.

وإدراكا من مجلة "مختارات إيرانية" لأهمية هذا التقرير، خصوصا أنه وثيق الصلة بمجالها البحثى (إيران ومحيطها الإقليمى والدولى)، تفرد المجلة قسما خاصا للتقرير، يتناول الملخص التنفيذى للتقرير، والتوصيات التى طرحها، والرسالة التى وجهها المشرفان على التقرير جيمس بيكر، ولى هاميلتون، إلى الرئيس الأمريكى جورج بوش بمناسبة صدور التقرير، وأخيرا ردود الفعل الدولية والإقليمية حول التقرير، مع التزام بنشر النص الكامل للتقرير على حلقات فى الأعداد اللاحقة من "مختارات إيرانية".

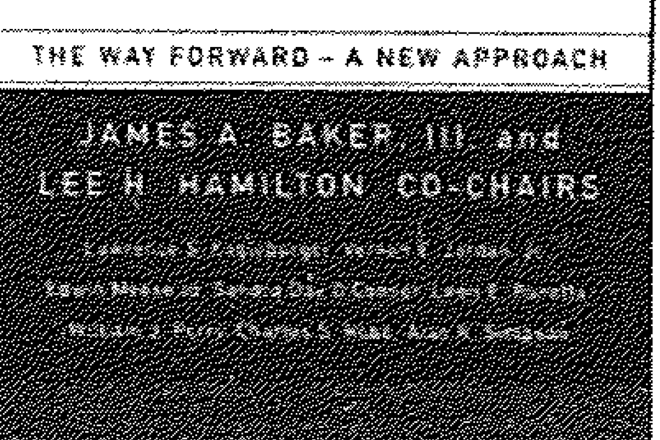
أولا: نص الملخص التنفيذى للتقرير:

إن الوضع فى العراق خطير وآخذ فى التدهور. ولا يوجد سبيل يمكنه ضمان النجاح، إلا أنه يمكن تحسين الاحتمالات.

وإننا نقدم، فى هذا التقرير، عدداً من التوصيات الخاصة بإجراءات يتم اتخاذها فى العراق والولايات المتحدة والمنطقة. وتدعو أهم توصياتنا إلى بذل جهود دبلوماسية وسياسية جديدة معززة فى العراق والمنطقة، وإلى تغيير فى مهمة القوات المسلحة الأمريكية الأساسية فى العراق سيمكن الولايات المتحدة من بدء إخراج قواتها المقاتلة من العراق بطريقة مسئولة. ونعتقد أن هاتين التوصيتين هما على نفس المستوى من الأهمية وأنهما تعززان بعضهما بعضا. وفى حال تطبيقهما بفعالية، وفى حال تحرك الحكومة العراقية قدماً بمصالحة وطنية،

ستتاح للعراقيين فرصة حياة أفضل، وسيتم توجيه ضربة للإرهاب، وسيتم تعزيز الاستقرار فى إحدى أهم مناطق العالم، وستتم صيانة مصداقية ومصالح وقيم أمريكا.

إن التحديات فى العراق معقدة. فالعنف يزداد اتساعاً وفتكا. ويغذيه تمرد سنى عربى، ومليشيات شيعية، وفرق موت، والقاعدة، وإجرام منتشر على نطاق واسع. ويشكل الصراع الطائفى التحدى الرئيسى للاستقرار.



إن لدى الشعب العراقى حكومة منتخبة ديمقراطياً، ولكنها لا تدفع مع ذلك عجلة المصالحة الوطنية على نحو كاف، ولا توفر الأمن الأساسي، ولا تقدم الخدمات الأساسية. إن التشاؤم يعم البلد.

وإذا ما استمر الوضع فى التدهور، يمكن أن تكون العواقب خطيرة. فمن الممكن أن يسبب الانزلاق نحو الفوضى انهيار الحكومة العراقية ويحدث أزمة إنسانية. ومن الممكن أن تتدخل دول مجاورة. ومن الممكن أن تنتشر الاشتباكات بين السنة والشيعة. ومن الممكن أن تحرز القاعدة انتصاراً دعائياً وتوسع قاعدة عملياتها. ومن الممكن أن تضعف مكانة الولايات المتحدة فى العالم. ومن الممكن أن يزداد انشقاق الأمريكيين واستقطابهم إلى فريقين متباعدين.

وقد درسنا فى الأشهر التسعة الماضية طيفاً كاملاً من الطرق للتحرك قدما. ولا يخلو أى منها من العيوب. وفى السبيل الذى أوصينا به عيوب، ولكننا نعتقد بقوة أنه يتضمن أفضل الاستراتيجيات والتكتيكات للتأثير إيجابياً على النتيجة فى العراق والمنطقة.

× النهج الخارجى

إن سياسات وتصرفات الدول المجاورة للعراق تؤثر كثيراً على استقراره وازدهاره. ولن يعود وجود عراق تعمه الفوضى بالفائدة على أى دولة فى المنطقة فى المدى الطويل. ولكن الدول المجاورة للعراق لا تقوم رغم ذلك بما يكفى لمساعدة العراق على تحقيق الاستقرار. وبعضها يقوض الاستقرار.

وينبغى أن تطلق الولايات المتحدة فوراً حملة دبلوماسية جديدة لإقامة إجماع دولى على الاستقرار فى العراق وفى المنطقة. وينبغى أن يشمل هذا الجهد الدبلوماسى كل دولة لديها مصلحة فى تجنب وجود عراق تعمه الفوضى، بما فى ذلك جميع الدول المجاورة للعراق. وينبغى أن تشكل الدول المجاورة للعراق والدول الأساسية فى المنطقة وخارج المنطقة مجموعة دعم لتعزيز الأمن والمصالحة الوطنية داخل العراق، وهما أمران لا يستطيع العراق تحقيق أى منهما بمفرده دون مساعدة.

ونظراً لقدرة إيران وسوريا على التأثير على الأحداث داخل العراق ولمصلحتهما فى تجنب الفوضى فى العراق، ينبغى على الولايات المتحدة أن تحاول التعاطى معهما بشكل بناء. ولدى الولايات المتحدة، أثناء سعيها للتأثير على سلوك البلدين، حوافز ومثبطات (يمكنها استخدامها للتأثير عليهما). ويجب على إيران أن توقف تدفق الأسلحة والتدريب إلى العراق، وأن تحترم سيادة العراق ووحدة أراضيه، وأن تستخدم نفوذها لدى المجموعات العراقية الشيعية لتشجيع المصالحة الوطنية. ويجب الاستمرار فى معالجة أمر برنامج إيران النووى عن طريق الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن الدولى زائد ألمانيا. ويجب على سوريا أن تضبط حدودها مع العراق لوقف تدفق التمويل والمتمردين والإرهابيين من العراق وإليه.

ولا يمكن للولايات المتحدة تحقيق أهدافها فى الشرق الأوسط إلا إذا عالجت بشكل مباشر النزاع العربى – الإسرائيلى وعدم الاستقرار فى المنطقة. ويجب أن يكون هناك التزام مجدد مستديم من قبل الولايات المتحدة بالتوصل إلى سلام عربي- إسرائيلى شامل على جميع الجبهات: لبنان، وسوريا، والتزام الرئيس بوش فى يونيو ٢٠٠٢ بحل الدولتين لإسرائيل وفلسطين. ويجب أن يتضمن هذا الالتزام محادثات مباشرة مع، ومن قبل، وبين، إسرائيل ولبنان والفلسطينيين (أولئك الذين يقبلون حق إسرائيل فى الوجود) وسوريا.

وفى الوقت الذى تطور فيه الولايات المتحدة النهج الذى ستتبعه تجاه العراق والشرق الأوسط، ينبغى عليها أن تقدم دعماً إضافياً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لأفغانستان، بما فى ذلك موارد قد تصبح متوفرة مع إخراج القوات المقاتلة من العراق.

× النهج الداخلى

لقد أصبحت أهم الأسئلة المتعلقة بمستقبل العراق الآن من مسئولية العراقيين. ويجب أن تكيف الولايات المتحدة دورها فى العراق لتشجيع الشعب العراقى على تولى زمام مصيره بنفسه.

ويجب على الحكومة العراقية أن تعجل فى تولى

مسئولية الأمن العراقي من خلال زيادة عدد الألوية العراقية المدربة والمجهزة. وينبغي على الولايات المتحدة، أثناء هذه العملية وبهدف تيسيرها، أن تزيد بشكل لا يستهان به عدد العسكريين الأمريكيين، بمن فيهم القوات المقاتلة، المدمجين فى صفوف وحدات الجيش العراقي الداعمين لها. ومع تقدم القيام بهذه الإجراءات، يمكن للقوات المقاتلة الأمريكية أن تبدأ بمغادرة العراق.

ويجب أن تتطور مهمة القوات الأمريكية فى العراق لتصبح مهمة دعم للجيش العراقي، الذى سيتولى المسئولية الرئيسية لعمليات القتال. ومن الممكن أن يكون قد تم إخراج جميع الألوية الأمريكية المقاتلة غير الضرورية لحماية القوات من العراق بحلول العام ٢٠٠٨، ما لم تحدث تطورات غير متوقعة فى الوضع الأمنى على الأرض. ويمكن فى ذلك الوقت، نشر القوات المقاتلة الأمريكية فى العراق فقط فى وحدات مدمجة فى القوات العراقية، وفى فرق عمليات خاصة ورد سريع، وللتدريب والتجهيز والنصح وحماية القوات والبحث والإنقاذ. وستستمر جهود الدعم والجهود الاستخباراتية. وسيكون توجيه ضربات للقاعدة فى العراق من المهام الأساسية لقوات العمليات الخاصة والرد السريع.

ومن الواضح أن الحكومة العراقية ستحتاج إلى مساعدة الولايات المتحدة بين الآونة والأخرى، خاصة فى تأدية مسئولياتها الأمنية. إلا أنه يتعين على الولايات المتحدة أن توضح للحكومة العراقية أنه من الممكن أن تقوم الولايات المتحدة بتنفيذ خططها، بما فيها إعادة النشر المخططة، حتى فى حال عدم قيام الحكومة العراقية بتطبيق تغييراتها المخطط لها. ويتعين ألا تتعهد الولايات المتحدة بالتزام غير محدد بإبقاء أعداد كبيرة من القوات الأمريكية منشورة فى العراق.

ومع تقدم عملية إعادة النشر، ينبغى على القادة العسكريين أن يشددوا على تدريب وتثقيف القوات التى عادت إلى الولايات المتحدة كى يعيدوا القوات الأمريكية إلى مستوى القدرة التامة على القتال. ومع عودة المعدات إلى الولايات المتحدة، ينبغى على الكونجرس أن يخصص تمويلاً كافياً لإصلاح وإعادة بناء المعدات (حتى تعود إلى سابق عهدها) على امتداد السنوات الخمس التالية.

وينبغى على الولايات المتحدة أن تعمل عن كثب مع الزعماء العراقيين لدعم إنجاز أهداف محددة، أو معالم، فى مجالات المصالحة الوطنية والأمن والحكم الرشيد (الحوكمة). وفى حين أنه لا يمكن توقع المعجزات، إلا أنه يحق للشعب العراقى أن يتوقع الأعمال والتقدم. وعلى الحكومة العراقية أن تثبت لمواطنيها، ولمواطنى الولايات المتحدة والدول الأخرى، أنها تستحق استمرار الدعم.

وقد صاغ رئيس الوزراء نورى المالكي، بالتشاور مع الولايات المتحدة، مجموعة من المعالم حاسمة الأهمية للعراق. وتشكل لائحته بداية جيدة، إلا أنه يجب توسعتها لتتضمن معالم يمكنها تعزيز الحكومة وإفادة الشعب العراقي. وينبغى على الرئيس بوش وفريق الأمن القومى البقاء على اتصال وثيق ومتكرر بالقيادة العراقية لإبلاغها رسالة واضحة: يجب أن تتخذ الحكومة العراقية إجراءات فورية لتحقيق تقدم كبير نحو تحقيق هذه المعالم (أو الأهداف الأساسية المحددة).

وإذا ما أثبتت الحكومة العراقية الإرادة السياسية وحققت تقدماً حقيقياً نحو تحقيق هذه المعالم فى مجالات المصالحة الوطنية والأمن والحكم الرشيد (الحوكمة)، ينبغى على الولايات المتحدة أن توضح استعدادها لمواصلة تدريب ومساعدة ودعم قوات الأمن العراقية وأن تواصل الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادي. وفى حال عدم تحقيق الحكومة العراقية تقدماً حقيقياً نحو إنجاز المعالم فى مجالات المصالحة الوطنية والأمن والحكم الرشيد، ينبغى على الولايات المتحدة أن تقلص دعمها السياسى والعسكرى والاقتصادى للحكومة العراقية.

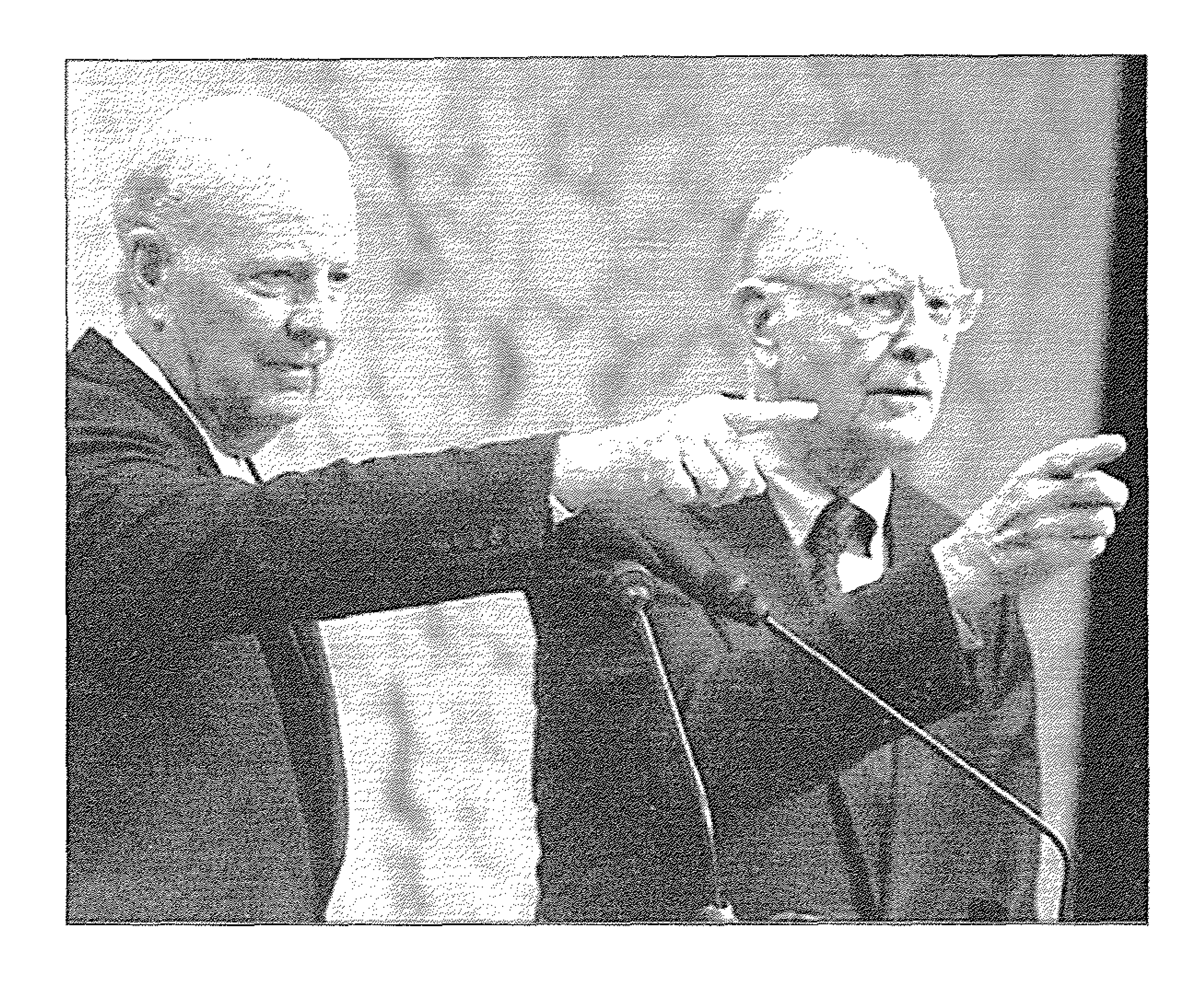
ويتضمن تقريرنا توصيات خاصة بعدة مجالات أخرى، بينها تحسين نظام القضاء الجنائى العراقي، وقطاع النفط، وجهود إعادة التعمير فى العراق، وعملية تخصيص الأموال فى الميزانية الأمريكية، وتدريب موظفين حكوميين أمريكيين، وقدرات الاستخبارات الأمريكية.

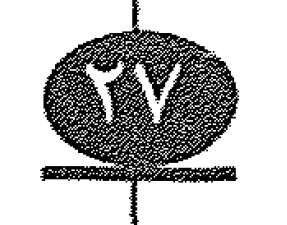
× خاتمة

إن رأى مجموعة دراسة العراق الإجماعي هو أن هذه التوصيات تقدم للولايات المتحدة سبيلا جديداً للتقدم فى العراق وفى المنطقة. وهى (توصيات) شاملة ومن الضرورى تطبيقها بشكل منسق. ويجب عدم الفصل بينها أو تطبيق بعضها بمعزل عن البعض الآخر. وإن أهمية القوى المحركة فى المنطقة بالنسبة للعراق هى بنفس مستوى أهمية الأحداث داخل العراق.

إن التحديات جسيمة. وستكون هناك أيام صعبة أمامنا. إلا أنه يمكن للعراق والمنطقة والولايات المتحدة أن تخرج أقوى مما كانت عليه من خلال سلوك هذا السبيل الجديد إلى الأمام.

ثانيا: توصيات التقرير:





١- ينبغى على الولايات المتحدة العمل مع الحكومة العراقية لبدء "هجوم" دبلوماسى شامل جديد، للتعامل مع مشاكل العراق والمنطقة، قبل ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦.

٢- ينبغى أن تكون أهداف هذه الحملة الدبلوماسية الإقليمية: دعم وحدة العراق وسلامة أراضيه. ووقف التدخلات وأعمال زعزعة الاستقرار من جانب جيران العراق، وتأمين الحدود، بما فى ذلك تسيير دوريات مشتركة مع دول الجوار، ومنع امتداد النزاعات وتعزيز المساعدات الاقتصادية والتجارية والدعم السياسى والمساعدات العسكرية، إن أمكن، للحكومة العراقية من الدول الإسلامية غير المجاورة، وتحفيز الدول على دعم المصالحة الوطنية فى العراق، وتفعيل الشرعية العراقية عبر استئناف العلاقات الدبلوماسية، متى كان ذلك مناسباً، وإعادة فتح السفارات فى بغداد، ومساعدة العراق فى تأسيس سفارات نشطة فى العواصم الرئيسية فى المنطقة (الرياض مثلاً)، ومساعدته على التوصل إلى اتفاق مقبول فى شأن كركوك، ومساعدة الحكومة العراقية فى وضع بنية صلبة فى الجوانب الأمنية والسياسية والاقتصادية، بما فى ذلك تحسين أدائها فى قضايا مثل المصالحة الوطنية والتوزيع العادل لعائدات النفط وتفكيك الميليشيات.

٣- استكمالاً لهذه الحملة الدبلوماسية، ينبغى أن تدعم الولايات المتحدة والحكومة العراقية عقد مؤتمر أو اجتماع فى بغداد لمنظمة المؤتمر الإسلامى أو الجامعة العربية، للمساعدة فى تحقيق المصالحة الوطنية واستعادة حضورها الدبلوماسى فى العراق. ولا يمكن أن تنجح هذه الحملة، ما لم تتضمن مشاركة فاعلة للبلدان التى لها دور ضرورى فى منع سقوط العراق فى الفوضى. وتشجيعاً لمشاركة هذه الدول، على الولايات المتحدة أن تسعى فوراً إلى إنشاء "المجموعة الدولية لدعم العراق" التى يجب أن تشمل جميع دول جوار العراق، فضلاً عن غيرها من بلدان المنطقة والعالم. (أشار التقرير إلى أدوار محددة لدول مثل السعودية ومصر وتركيا والأردن والكويت وسوريا وإيران، على رغم الدور الذى قال إن الأخيرتين تلعبانه فى دعم الميليشيات والتمرد).

٤- يجب تشكيل "المجموعة الدولية لدعم العراق" فور بدء هذه الهجمة الدبلوماسية الجديدة، باعتبارها إحدى أدواتها.

٥- ينبغى أن تتشكل هذه المجموعة من العراق وكل دول جواره، بما فيها إيران وسوريا، إضافة إلى الدول الرئيسية فى المنطقة، ومنها مصر ودول الخليج، والأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن والاتحاد الأوروبى. ويمكن أن تنضم دول أخرى مثل ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية، التى قد تكون مستعدة للمساهمة فى حل سياسى ودبلوماسى.

٦- الدبلوماسية الجديدة وعمل "المجموعة الدولية" ينبغى أن يتم بسرعة، وأن يكون على مستوى وزراء الخارجية أو أعلى. ويجب أن تتولى وزيرة الخارجية الأمريكية، إن لم يكن الرئيس، جهود الولايات المتحدة التى

يمكن أن تكون ثنائية أو متعددة الأطراف، حسبما تقتضي الظروف.

٧- يجب أن تطلب "المجموعة الدولية" مشاركة مكتب الأمين العام للأمم المتحدة في عملها. وينبغي أن يسمى الأمين العام مبعوثاً خاصاً له في المجموعة.

٨- ينبغي أن تطور المجموعة نهجاً محدداً للتعاطي مع دول الجوار، يأخذ بعين الاعتبار مصالح هذه الدول واتجاهاتها ومساهماتها المحتملة. إن التعامل مع إيران وسوريا مثار خلاف. ومع ذلك، نرى أن أي أمة، من وجهة نظر دبلوماسية، يمكنها وينبغي عليها أن تشرك خصومها وأعداءها في محاولة لتسوية النزاعات والخلافات تماشياً مع مصالحها. وعليه، فإن على "المجموعة الدولية" إشراك إيران وسوريا في حوارها الدبلوماسي من دون شروط مسبقة. وترى "مجموعة الدراسات حول العراق" أن العلاقات الأمريكية مع سوريا وإيران تشمل قضايا صعبة يجب أن تحل. لكن ينبغي إجراء محادثات دبلوماسية مكثفة وموضوعية، تتضمن قدراً من توازن المصالح. ويجب أن تضع واشنطن في اعتبارها نظام الحوافز لإشراك سوريا وإيران، كما حدث بنجاح مع ليبيا.

٩- يجب على الولايات المتحدة أن تنخرط مباشرة مع إيران وسوريا في محاولة للحصول على التزام منهما بسياسات بناءة تجاه العراق والقضايا الإقليمية الأخرى. وعلى واشنطن التفكير في الحوافز وكذلك العقبات، في سعيها إلى نتيجة إيجابية. وينبغي البحث في إمكان تكرار التعاون الإيراني - الأمريكي في أفغانستان، لتطبيقه على الحال العراقية، على رغم أن إيران ترى ان من مصلحتها ان تغوص الولايات المتحدة في مستنقع العراق.

١٠- يجب أن يستمر التعامل مع مسألة البرنامج النووي الإيراني عبر مجلس الأمن وأعضائه الخمسة الدائمين، إضافة إلى ألمانيا.

١١- يجب أن تسعى "المجموعة الدولية" إلى إقناع إيران، عبر الجهود الدبلوماسية، بأن عليها اتخاذ خطوات محددة لتحسين الوضع في العراق. كذلك، وعلى رغم أن العلاقة بين الولايات المتحدة وسوريا في أدنى مستوياتها، فإن المصالح السورية في النزاع العربي - الإسرائيلي مهمة ويمكن تحريكها. ونوصي بما يلي:

١٢- يجب إقناع سوريا بمصلحتها وتشجيعها على المساهمة في خطوات مثل مراقبة حدودها مع العراق إلى أقصى حد ممكن، وتسيير دوريات مشتركة مع العراقيين على الحدود، وإنشاء خطوط لتبادل المعلومات، وزيادة التعاون السياسي والاقتصادي مع العراق. وفي سياق إقليمي أوسع، لن تكون الولايات المتحدة قادرة على تحقيق أهدافها في الشرق الاوسط ما لم تتعامل مباشرة مع الصراع العربي - الإسرائيلي. يجب أن يكون هناك التزام متجدد ومستمر بتسوية شاملة بين العرب والإسرائيليين على جميع الجبهات: لبنان وسوريا وفلسطين. وهذا الالتزام يجب ان يشمل المحادثات المباشرة مع وبين إسرائيل ولبنان والفلسطينيين الذين يقبلون بحق إسرائيل في الوجود، ولا سيما سوريا التي تعتبر نقطة العبور الرئيسية لنقل الأسلحة إلى "حزب الله" وتدعم مجموعات فلسطينية متطرفة. ولا حل عسكرياً لهذا الصراع.

١٣- يجب أن يكون هناك التزام متجدد ومستمر من الولايات المتحدة بتسوية سلمية شاملة بين العرب والإسرائيليين على الجبهات كافة.

١٤- هذا الجهد يجب ان يشمل الدعوة غير المشروطة في أقرب وقت ممكن إلى اجتماعات تحت رعاية الولايات المتحدة أو اللجنة الرباعية الدولية، بين إسرائيل ولبنان وسوريا من جهة، وإسرائيل والفلسطينيين من جهة أخرى، بغرض التفاوض حول السلام كما حدث في مؤتمر مدريد العام ١٩٩١، على مسارين منفصلين أحدهما سوري ولبناني، والآخر فلسطيني.

١٥- يجب أن تشمل المفاوضات مع سوريا في شأن السلام بعض العناصر، وهي الامتثال الكامل لقرار مجلس الأمن ١٧٠١ الذي يوفر إطارا لاستعادة لبنان سيادته، والتعاون الكامل مع التحقيق في كل الاغتيالات السياسية في لبنان، لا سيما رفيق الحريري وبيار الجميل، والتحقق من وقف المساعدات إلى "حزب الله" واستخدام الأراضي السورية لنقل الأسلحة من إيران إليه، وأن تستخدم سوريا نفوذها لدى "حزب الله" و "حماس" لإطلاق الجنود الإسرائيليين الأسرى، والتحقق من وقف سوريا محاولات تقويض الحكومة المنتخبة ديموقراطياً في لبنان، والتحقق من وقف شحنات الأسلحة من سوريا إلى "حماس" أو غيرها من الجماعات الفلسطينية المتشددة، وأن تساعد سوريا في الحصول على التزام من "حماس" بالاعتراف بحق إسرائيل في الوجود.

١٦- وفي مقابل هذه الإجراءات وفي سياق اتفاق سلام شامل آمن، يعيد الإسرائيليون الجولان، مع ضمانات أمريكية لأمن إسرائيل، يمكن أن تضم قوة دولية على الحدود، بما في ذلك قوات أمريكية، إذا طلب الطرفان.

١٧- في ما يخص القضية الفلسطينية، يجب التمسك

بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام ، باعتبارها الأساس الوحيد لتحقيق السلام، وتقديم دعم قوى للرئيس الفلسطيني محمود عباس والسلطة الفلسطينية لأخذ زمام المبادرة في تمهيد الطريق لإجراء مفاوضات مع إسرائيل، وبذل جهد كبير في دعم وقف إطلاق النار، وتقديم الدعم لحكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وعقد مفاوضات تعالج قضايا الوضع النهائي الخاصة بالحدود والمستوطنات والقدس وحق العودة ونهاية الصراع.

١٨- من الضروري للغاية بالنسبة إلى الولايات المتحدة أن تقدم مزيداً من الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لأفغانستان، بما في ذلك الموارد التي قد تصبح متاحة إذا انسحبت القوات من العراق.

١٩- على الرئيس وفريق الأمن القومي التابع له ان يظلا على اتصال قريب ومستمر مع القيادة العراقية. وهذه الاتصالات يجب أن تبعث برسالة واضحة: يجب ان تتحرك الحكومة العراقية لتحقيق تقدم ملموس.

٢٠- على الولايات المتحدة أن توضح استعدادها لمواصلة تدريب قوات الأمن العراقية ومساعدتها ودعمها، والاستمرار في تقديم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي للحكومة العراقية. فكلما أصبح العراق أكثر قدرة على ممارسة مهمات الدفاع والحكم، كان خفض الوجود العسكري والمدني الأمريكي في العراق ممكناً.

٢١- وفي حال لم تحقق الحكومة العراقية تقدماً ملموساً على طريق المصالحة الوطنية وتحقيق الأمن وتثبيت الحكم، ينبغي على الولايات المتحدة أن تخفض الدعم السياسي أو العسكري أو الاقتصادي لها.

٢٢- ينبغي أن يعلن الرئيس الأمريكي أن بلاده لا تسعى إلى إقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق. وإذا طلبت الحكومة العراقية إقامة قاعدة مؤقتة أو قواعد، فعلى الولايات المتحدة ان تنظر في هذا الطلب كأي طلب من حكومة دولة أخرى.

٢٣- يجب أن يؤكد الرئيس الأمريكي مجدداً أن الولايات المتحدة لا تسعى إلى السيطرة على نفط العراق.

٢٤- الجدول الزمني الذي وضعته حكومة نوري المالكي لبعض المهمات في نهاية ٢٠٠٦ او مطلع ٢٠٠٧، قد لا يكون واقعياً. وينبغي أن يكتمل بحلول الربع الأول من العام ٢٠٠٧.

٢٥- يجب أن تتشاور الولايات المتحدة عن كثب مع الحكومة العراقية لوضع أهداف إضافية في ثلاثة مجالات: المصالحة الوطنية، والأمن، وتحسين الخدمات التي تمس الحياة اليومية للعراقيين. وينبغي أن توضع جداول زمنية لتنفيذ هذه الأهداف.

٢٦- مراجعة الدستور العراقي أمر اساسي لتحقيق المصالحة الوطنية ويجب ان يتم ذلك في شكل عاجل. والامم المتحدة لديها خبرة في هذا المجال، ويجب أن تلعب دوراً في هذه العملية.

٢٧- تتطلب المصالحة الوطنية إعادة البعثيين والقوميين العرب إلى الحياة الوطنية. مع رموز نظام صدام حسين. على الولايات المتحدة أن تشجع عودة العراقيين المؤهلين من السنة أو الشيعة أو القوميين أو البعثيين السابقين أو الأكراد إلى الحكومة.

٢٨- تقاسم العائدات النفطية. يجب أن تعود عائدات النفط إلى الحكومة المركزية ويتم اقتسامها على أساس عدد السكان.

٢٩- يجب أن تجرى انتخابات المحافظات في أقرب وقت ممكن. وبموجب الدستور الجديد، يجب ان تكون هذه الانتخابات أجريت بالفعل. وهي ضرورية لاستعادة حكومة تمثيلية.

٣٠- في ضوء الوضع الخطير في كركوك، هناك ضرورة للتحكيم الدولي لتجنب العنف الطائفي. كركوك يمكن ان تكون برميل بارود. وإجراء استفتاء حول مصير كركوك قبل نهاية عام ٢٠٠٧، كما يقضي الدستور العراقي، سيكون انفجاراً، لذا يجب تأخيره. وهذه مسألة يجب أن تدرج على جدول أعمال "المجموعة الدولية لدعم العراق" في إطار عملها الدبلوماسي.

٣١- يجب أن تكون مبادرات العفو متاحة. ونجاح أي جهد في المصالحة الوطنية يجب أن يشمل إيجاد سبل للتوفيق بين ألد الأعداء السابقين.

٣٢- يجب حماية حقوق المرأة وجميع الأقليات في العراق، بما في ذلك التركمان والآشوريين والكلدانيين والأيزيديين والصابئة والأرمن.

٣٣- على الحكومة العراقية الكف عن تسييس المنظمات غير الحكومية أو وقف نشاطها. يجب أن يكون التسجيل إجراء إداريا فقط وليس مناسبة للرقابة وتدخل الحكومة.

٣٤- يجب أن يكون مستقبل وجود القوات الأمريكية على بساط البحث في جهود المصالحة الوطنية. وزيادة إمكان مشاركة قادة التمرد والميليشيات، وبالتالي زيادة احتمالات نجاح هذه الجهود. العنف لن ينتهي ما لم يبدأ الحوار، والحوار يجب أن يشمل من يسيطرون على السلطة. وعلى الولايات المتحدة أن تحاول التحدث مباشرة مع آية الله العظمى على السيستاني، والتحدث

مباشرة مع مقتدى الصدر وقادة الميليشيات وزعماء المتمردين. الامم المتحدة يمكن أن تساعد في تسهيل الاتصالات.

٣٥- الولايات المتحدة يجب أن تبذل جهوداً نشطة لإشراك جميع الأطراف في العراق، باستثناء تنظيم "القاعدة". لكن التركيز الشديد على الهوية الطائفية يهدد فرصاً أوسع للحصول على دعم وطني للمصالحة.

٣٦- على الولايات المتحدة أن تشجع الحوار بين الجماعات الطائفية. ويجب أن تكون الحكومة العراقية أكثر سخاء فيما يتعلق بموضوع العفو عن المسلحين.

٣٧- يجب ان لا تعوق الولايات المتحدة مشاريع العفو العراقية، سواء عبر السلطة التنفيذية أو التشريعية.

٣٨- على الولايات المتحدة تأييد وجود خبراء دوليين محايدين كمستشارين للحكومة العراقية في عمليات نزع السلاح وإعادة الاندماج وإنهاء التعبئة.

٣٩- على الولايات المتحدة تقديم دعم مالي وتقني وإنشاء مكتب واحد في العراق لتنسيق المساعدة للحكومة العراقية ومستشاريها الخبراء لمساعدة برنامج لنزع سلاح أعضاء الميليشيات وإعادة دمجهم وإنهاء تعبئتهم. ليس هناك عمل للجيش الأمريكي يمكن أن يحقق وحده النجاح في العراق، إنما هناك أفعال يمكن أن تقوم بها الحكومتان الأمريكية والعراقية لزيادة احتمال تجنب الكارثة هناك وزيادة فرص النجاح. وعلى الحكومة العراقية تسريع برنامج المصالحة الوطنية الذي توجد هناك حاجة ماسة إليه، وفي تسليم القوات العراقية المسئوليات الأمنية. كما يمكن الولايات المتحدة أن تزيد عدد العسكريين الأمريكيين المنضوين في الوحدات العسكرية العراقية. ومثل هذه الخطوة قد تزيد أعداد الجنود الأمريكيين المنضوين في الوحدات العراقية المنتشرة من ثلاثة أو أربعة آلاف منتشرين الآن، إلى ما بين عشرة وعشرين ألفاً. كما ستكون مهمة أخرى للقوات الأمريكية مساعدة الفرق العسكرية العراقية بالاستخبارات والمواصلات والدعمين الجوي واللوجستي وتوفير بعض المعدات. وسيكون على الجيش الأمريكي الحفاظ على فرق تدخل سريع وأخرى خاصة لتنفيذ عمليات عسكرية ضد تنظيم "القاعدة" في العراق عندما تسنح الفرصة. وسيتحسن أداء القوات العراقية في شكل كبير لو كان في حوزتها معدات أفضل. وقد يكون أحد مصادر هذه المعدات هو تلك التي تتركها الفرق العسكرية الأمريكية المغادرة خلفها، فيما تكمن الطريقة الأسرع للحصول عليها عبر برنامجنا لمبيعات الأسلحة الى الخارج.

وفيما نمضي قدماً بهذه الخطوات، يمكننا البدء بسحب القوات الأمريكية من العراق.

وحتى بعد أن تسحب الولايات المتحدة كل فرقها القتالية خارج العراق، سنبقى على وجود عسكري مهم في المنطقة، مع قوتنا المهمة في العراق وانتشارنا الجوي والبري والبحري في الكويت والبحرين وقطر ووجود أكبر في أفغانستان. وستسمح هذه القوات للولايات المتحدة، وبمساعدة الحكومة العراقية، بتنفيذ مهمات بينها ردع تدخلات سورية وإيرانية مدمرة أكثر.

٤٠- على الولايات المتحدة أن لا تقدم التزاماً مفتوحاً لإبقاء عدد كبير من الجنود الأمريكيين منتشرين في العراق.

٤١- على الولايات المتحدة أن توضح للحكومة العراقية أنها يمكنها تنفيذ خططها وبينها عمليات إعادة انتشار مخطط لها، حتى لو لم ينفذ العراق تغييراته المخطط لها أيضاً. لا يمكن أن تبقى الحاجات الأمنية الأخرى للولايات المتحدة ومستقبل جيشها رهينة لأفعال الحكومة العراقية أو عجزها.

٤٢- علينا السعي إلى استكمال عملية التدريب والتسليح في حلول الربع الأول من عام ٢٠٠٨، كما افاد الجنرال جورج كايسي في ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٦.

٤٣- الأولويات العسكرية في العراق يجب أن تتغير، مع منح الأولوية الأعلى إلى التدريب والتسليح والاستشارة وعمليات الدعم ومكافحة الإرهاب.

٤٤- يجب إلحاق أكثر العناصر العسكرية والضباط كفاءة في القوات الأمريكية، بالفرق المنضوية في الوحدات العراقية.

٤٥- على الولايات المتحدة دعم تقديم مزيد من العتاد إلى الجيش العراقي عبر تشجيع الحكومة العراقية على تسريع عمليات الشراء الأجنبية، وترك بعض أسلحة ومعدات الفرق القتالية الأمريكية لدى انسحابها من العراق.

٤٦- سيبذل وزير الدفاع الأمريكي الجديد كل جهد لبناء علاقات عسكرية مدنية سليمة عبر توفير أجواء يمكن خلالها الضابط العسكري الرفيع تقديم المشورة المستقلة ليس الى القيادة المدنية في البنتاجون فحسب، بل الى الرئيس ومجلس الأمن القومي.

٤٧- فيما تتواصل عملية إعادة الانتشار، على قيادة البنتاجون التشديد على برامج التدريب والتثقيف للقوات العائدة الى الولايات المتحدة لإعادة تضيدها لتستعيد درجة عالية من الجهوزية لعمليات انتشار عالمية.

٤٨- وفيما تعود المعدات العسكرية الى الولايات

المتحدة، على الكونجرس تخصيص أموال كافية لاستعادة عمل هذه المعدات خلال السنوات الخمس المقبلة.

٤٩- على الإدارة وباستشارة كاملة مع اللجان المختصة في الكونجرس تقويم التأثير المستقبلي الكامل للحرب في العراق وانعكاساتها المحتملة على الجهوزية المستقبلية لهذه القوة، وقدرتها على التجنيد والحفاظ على موظفين كفوئين.

٥٠- يجب نقل الشرطة الوطنية العراقية إلى وزارة الدفاع حيث ستصبح الوحدات الخاصة جزءاً من الجيش العراقي الجديد.

٥١- يجب نقل شرطة الحدود العراقية بأكملها إلى وزارة الدفاع التي ستتولى المسئولية الكاملة عن السيطرة على الحدود والأمن الخارجي.

٥٢- يجب منح جهاز الشرطة العراقية مسئوليات أكبر لإجراء تحقيقات جنائية، فيما عليها تعزيز تعاونها مع عناصر أخرى في الجهاز القضائي العراقي، لتحسين السيطرة على الجريمة وحماية المدنيين العراقيين.

٥٣- يجب إخضاع وزارة الداخلية العراقية الى عملية تحويل تنظيمية تتضمن جهوداً لتوسيع قدرات الوحدة الرئيسية لمكافحة الجريمة وفرض مزيد من السيطرة على قوات الشرطة المحلية. ويجب نقل السلطة الوحيدة لدفع مرتبات الشرطة المحلية الى وزارة الداخلية.

٥٤- على وزارة الداخلية العراقية المضي قدماً في الجهود الحالية لتحديد وتسجيل والسيطرة على جهاز حماية المنشآت.

٥٥- على وزارة الدفاع الأمريكية مواصلة مهمتها تدريب الشرطة الوطنية العراقية وشرطة الحدود العراقية التي يجب نقلها الى وزارة الدفاع.

٥٦- على وزارة العدل الأمريكية توجيه مهمة تدريب قوات الشرطة الباقية ضمن سلطة وزارة الداخلية.

٥٧- وفيما تنضوي فرق التدريب العسكرية الأمريكية في الوحدات العسكرية الأمريكية، يجب توسيع عملية انضواء المدربين الأمريكيين في الشرطة.

٥٨- على مكتب التحقيقات الفيديرالي توسيع تدريبه التحقيقي ومنشآته في العراق، ليشمل الإرهاب أيضاً.

٥٩- على الحكومة العراقية توفير الأموال لزيادة عدد السيارات وأجهزة الاتصالات وتطويرها لدى جهاز الشرطة.

٦٠- يجب تولي وزارة العدل الأمريكي قيادة عمل التحول التنظيمي في وزارة الداخلية.

٦١- يجب دعم وتمويل البرامج التي تقودها وزارة العدل لإنشاء المحاكم وتدريب القضاة وإيجاد المؤسسات والممارسات لمكافحة الفساد.

٦٢- يجب على الحكومة الأمريكية، وفي أقرب وقت، توفير المساعدة التقنية الى الحكومة العراقية، للتحضير لقانون نفط عراقي يحدد حقوق الحكومات الاقليمية والمحلية.

٦٣- على الولايات المتحدة تشجيع الاستثمار في القطاع النفطي العراقي عبر المجتمع الدولي وشركات الطاقة الدولية.

٦٤- يجب زيادة المساعدة الاقتصادية الأمريكية لتصل إلى درجة خمسة بلايين دولار سنوياً.

٦٥- يجب أن تكون المشاركة الأوسع للشركاء الدوليين، الذين عليهم أن يفعلوا أكثر من مجرد تقديم الأموال، جزءاً أساسياً من جهود إعادة الإعمار في العراق.

٦٦- يجب أن تقود الولايات المتحدة تمويل طلبات المفوض الأعلى لشئون اللاجئين ووكالات إنسانية أخرى.

٦٧- على الرئيس الأمريكي إيجاد منصب مستشار لإعادة الإعمار الاقتصادي في العراق.

٦٨- على رئيس المهمة في العراق، أن تكون لديه السلطة لإنفاق مبالغ مهمة عبر برنامج القائد للرد الطارئ.

٦٩- يجب تجديد سلطة المفتش العام لإعادة إعمار العراق خلال فترة برامج المساعدة في العراق.

٧٠- يجب تشكيل وتنفيذ برنامج مساعدة أمنية أكثر ليونة للعراق، لكسر الحواجز أمام تعاون فاعل بين الوكالات.

٧١- يجب توفير السلطات المطلوبة لدمج الأموال الأمريكية وتلك القادمة من المتبرعين الدوليين والمشاركين العراقيين.

٧٢- يجب تضمين تكاليف الحرب في العراق في الموازنة السنوية للرئيس بدءاً من السنة المالية ٢٠٠٨.

٧٣- على وزيرة الخارجية ووزير الدفاع ومدير الاستخبارات الوطنية منح الأولوية القصوى للتدريب اللغوي والثقافي في شكل عام، وخصوصاً للضباط والعسكريين المكلفين مهمات في العراق.

٧٤- على المدى القصير ، وإذا لم يتقدم عدد كاف من المتطوعين المدنيين، على الوكالات المدنية شغر هذه الوظائف.

٧٥- على المدى البعيد، تحتاج الولايات المتحدة من أجل تحسين قدرة وكالاتها على الرد إلى عمليات استقرار معقدة كتلك في العراق وأفغانستان.

٧٦- على وزارة الخارجية تدريب موظفيها لتولي مهمات مدنية مرتبطة بعملية استقرار معقدة خارج

السفارة التقليدية.

٧٧- على مدير الاستخبارات الوطنية ووزير الدفاع تخصيص موارد تحليلية أكبر لمهمة فهم التهديدات ومصادر العنف في العراق.

٧٨- وعلى مدير الاستخبارات الوطنية ووزير الدفاع أيضاً إجراء تغييرات فورية على عملية جمع المعطيات عن العنف ومصادره في العراق، لتوفير صورة أكثر دقة عن الأحداث على الأرض.

٧٩- على وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي اي) توفير جنود أكثر في العراق لتطوير وكالة استخبارات فاعلة وتدريبها وبناء مركز لمكافحة الإرهاب يمكنه تسهيل جهود مكافحة الإرهاب بقيادة الاستخبارات.

ثالثا: رسالة من جيمس بيكر ولي هاميلتون إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش

ليست هناك صيغة سحرية لحلّ مشكلات العراق. لكن هناك خطوات يمكن اتّخاذها لتحسين الوضع وحماية المصالح الأمريكية.

عدد كبير من الأمريكيين غير راض، ليس فقط عن الوضع في العراق إنّما أيضاً عن حال نقاشنا السياسي في شأن العراق. يجب أن يعدّ قادتنا السياسيون مقاربة ثنائية الحزب للتوصّل إلى خاتمة مسئولة لحرب هي الآن طويلة ومكلفة. تستحق بلادنا نقاشاً يقدّم الجوهر على الكلام الرنّان، وسياسة مموّلة كما يجب ومستدامة. يجب أن يعمل الرئيس والكونجرس معاً. يجب أن يكون قادتنا صريحين ونزهاء مع الشعب الأمريكي لكسب دعمه.

لا يستطيع أحد أن يضمن أنّ هناك مساراً معيّناً في العراق يمكن أن يوقف في هذه المرحلة الحرب المذهبية أو العنف المتزايد أو الانزلاق نحو الفوضى. إذا استمرّت الأمور على ما هي عليه الآن، العواقب المحتملة وخيمة. نظراً إلى دور الولايات المتّحدة ومسئوليّاتها في العراق، وإلى الالتزامات التي قطعتها حكومتنا، لدى الولايات المتّحدة واجبات خاصّة. يجب أن تبذل بلادنا أفضل ما في إمكانها لمعالجة المشكلات الكثيرة للعراق.

لدى الولايات المتّحدة علاقات ومصالح طويلة الأمد على المحكّ في الشرق الأوسط، ويجب أن تبقى ملتزمة هناك.

في هذا التقرير التوافقي، يعرض الأعضاء العشرة في "مجموعة الدراسات للعراق" مقاربة جديدة لأنّنا نعتبر أنّ هناك طريقاً أفضل الى الأمام. لم تُستنفد كلّ الخيارات بعد. نرى أنّه لا يزال في الإمكان اتباع سياسات مختلفة من شأنها أن تتيح للعراق فرصة بناء مستقبل أفضل، وتكافح الإرهاب، وتنشر الاستقرار في منطقة حسّاسة في العالم، وتحافظ على صدقية أمريكا ومصالحها وقيمها. يعلن تقريرنا بوضوح أنّه يتعين أيضاً على الحكومة العراقية والشعب العراقي التحرّك لبناء مستقبل آمن ومفعم بالأمل.

ما نوصي به في هذا التقرير يقتضي كماً هائلاً من الإرادة السياسية والتعاون من السلطتين التنفيذية والتشريعية في الحكومة الأمريكية. يتطلّب تطبيقاً ماهراً، ويفرض على الوكالات الحكومية توحيد جهودها. ويتوقف نجاحه على وحدة الشعب الأمريكي في مرحلة من الاستقطاب السياسي. يستطيع الأمريكيون ويتعين عليهم أن يتمتّعوا بحقّ النقاش الفعّال ضمن نظام ديموقراطي. لكنّ مصير السياسة الخارجية الأمريكية هو الفشل - كما هو حال أي مسار تحرّك في العراق - إذا لم يدعمها توافق آراء واسع النطاق ومستدام. هدف تقريرنا هو جعل بلادنا تسير في اتّجاه هذا التوافق.

نودّ أن نشكر كلّ من أجرينا مقابلات معهم وكلّ من ساهموا بمعلومات وساعدوا مجموعة الدراسات من داخل الحكومة الأمريكية وخارجها، وفي العراق وحول العالم. نشكر أعضاء فرق العمل المختصّة وطواقم المنظمات الراعية. ونشكر خصوصا زملاءنا في مجموعة الدراسات الذين عملوا معنا على هذه المسائل الصعبة بروح من السخاء والثنائية الحزبية بينما نرفع تقريرنا إلى الرئيس والكونجرس والشعب الأمريكي، نهديه إلى الرجال والنساء - العسكريين والمدنيين - الذين خدموا ويخدمون في العراق، وإلى عائلاتهم في الولايات المتّحدة. لقد أظهروا شجاعة استثنائية وقدّموا تضحيات صعبة. كلّ أمريكي مدين لهم.

ونجلّ أيضاً العدد الكبير من العراقيين الذين ضحّوا من أجل بلادهم، وأعضاء قوات التحالف الذين وقفوا إلى جانبنا وإلى جانب الشعب العراقي.

جيمس أ. بيكر

لي هـ. هاميلتون

رابعا: ردود الفعل الدولية والإقليمية

فور صدوره، لاقى تقرير لجنة دراسة مستقبل العراق ردود فعل متباينة سواء من جانب الولايات المتحدة أو العراق، أو من جانب القوى الإقليمية المعنية بما جاء فيه خصوصا إيران وسوريا وإسرائيل.

أمريكيا، بدا أن ثمة انقساما بين الديمقراطيين والجمهوريين حول التقرير وآليات تفعيل التوصيات التي طرحها، فقد وصف الرئيس جورج بوش التقرير بأنه "تقويم قاس"، مؤكدا أنه سيتم "التعاطي معه بجدية".

وقال: "أبلغت أعضاء اللجنة أن هذه الإدارة ستتعاطى مع هذا التقرير الذى يحمل اسم الطريق إلى الأمام بشكل جدى للغاية". وأضاف: "إن هذا التقرير يقدم تقويما قاسيا للغاية للوضع فى العراق. إنه تقرير يحمل بعض الاقتراحات المهمة، وسنتعاطى مع كل الاقتراحات بجدية شديدة، وسنبدأ بالعمل فى الوقت المناسب".

لكن فى المقابل، أكد مسئولون فى البيت الأبيض أن الإدارة الأمريكية "ليست فى وارد فتح حوار مباشر مع سوريا"، وأنها "راجعت وقومت" هذا الأمر "فى مراحل سابقة" قبل أن توصى به اللجنة، فى وقت أفادت تقارير أن مسئولين فى وزارة الدفاع (البنتاجون) لا يرون فى توصيات اللجنة "أى جديد" بل "خيارات درستها سابقا القيادات العسكرية على الأرض فى العراق، وتعود إليها الكلمة الأخيرة فى اتخاذ أى تغييرات فعلية هناك". وأكدت مصادر مطلعة اجتمعت مع مسئولين فى البيت الأبيض بعد صدور التقرير أن الرئيس جورج بوش سينتقى التوصيات التى تتفق مع رؤيته السياسية وسيدمجها مع توصيات أخرى تم طرحها فى مذكرتى مستشار الأمن القومى ستيفن هادلى ووزير الدفاع المستقيل دونالد رامسفيلد. وسيجمع البيت الأبيض هذه التوصيات فى استراتيجيته الجديدة المتوقع عرضها أول العام فى خطاب حال الاتحاد أمام الكونجرس فى يناير المقبل. وفيما امتنع مسئولون فى الخارجية عن إعطاء أى رد فعل على التقرير، أفادت مجلة "تايم" أن وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس أكثر انفتاحا على التوصيات من البيت الأبيض، خصوصاً لجهة فتح حوار مع إيران. وأفادت أن رايس، التى أقنعت الرئيس بوش بالموافقة على تشكيل اللجنة، لا تمانع فى تعيين جيمس بيكر مبعوثاً خاصاً للمنطقة.

وتباينت ردود الفعل فى الكونجرس الذى كلف اللجنة وضع هذا التقرير، فقد استخدمه الديمقراطيون لتكثيف ضغوطهم على الإدارة من خلال تعهد زعيم الأكثرية فى مجلس الشيوخ هارى ريد مراقبة البيت الأبيض والتأكد من أن بوش "سيغير الاستراتيجية المعتمدة فى العراق ويطبق توصيات اللجنة"، وقبل صدور التقرير رفضت لجنة بيكر الموافقة على مطلب بعض الديمقراطيين وضع جدول زمنى للانسحاب. وفى الوسط الجمهورى، اختلفت آراء نواب مرموقين حول التوصيات مثل السيناتور جون ماكاين الذى يعترض على حوار مع سوريا فيما يؤيده السيناتور تشاك هايجل. وأثارت التوصيات أيضاً زوبعة من ردود الفعل المتباينة راوحت بين الترحيب بها، بوصفها خريطة طريق للخروج من المأزق الامريكى فى العراق، والنقد، بسبب افتقارها إلى الواقعية واحتمال أن يقود تنفيذها إلى كارثة فى العراق والمنطقة والمصالح الأمريكية فيها. وفتح هذا الجدل الأولى فجوات كبيرة أضعفت صدقية التقرير، بما فى ذلك الإشارة إلى البدء بسحب القوات الأمريكية فى الربع الأول من العام ٢٠٠٨، على رغم أن ذلك سيزيد من ضعف الحكومة العراقية، وقد يقود إلى انهيارها وتزايد نفوذ الميليشيات المسلحة الخارجة عن سيطرة الحكومة المركزية.

أما عراقيا، فقد لاقى التقرير ارتياحا شيعيا وتحفظاً سنيا واستياءً كرديا، حيث انتقد مسعود بارزانى رئيس إقليم كردستان العراق بشدة التقرير، واصفا إياه بأنه "غير واقعى" و"غير مناسب". وأكد بارزانى فى بيان له: "نحن لسنا ملزمين فى كل الأحوال بما جاء فى التقرير". وأضاف: "على الرغم من شكرنا وتقديرنا للرئيس الأمريكى جورج بوش والإدارة لإسقاطهم النظام السابق والجهود التى بذلوها فى بناء العراق الجديد، إلا أننا لا نزال نعتقد أن مجموعة الدراسات حول العراق أوصت بأمور غير واقعية وغير مناسبة". موقف برزانى نابع من الاقتراح الذى طرحته اللجنة والخاص بتأجيل تطبيق المادة الدستورية رقم ١٤٠ الخاصة بتطبيع الأوضاع فى كركوك، والتى تنص على إجراء استفتاء لتقرير مصير المدينة الغنية بالنفط. وفى هذا السياق، قال بارزانى: "إن أى تأجيل لتطبيق هذه المادة سيؤدى إلى تبعات خطيرة، ولن يوافق عليه سكان كردستان بكل حال من الأحوال". وقد أيد الرئيس العراقى جلال طالبانى موقف رئيس إقليم كردستان مسعود بارزانى حيال تقرير لجنة بيكر، لكنه أشار إلى "وجود نقاط محددة فى التقرير، مثل التوصية بنقل الملف الأمنى إلى السيطرة العراقية والحوار مع دول الجوار التى تتطابق مع سياسية الحكومة التى تطالب بذلك دائما". أما رئيس الوزراء العراقى نورى المالكى فقد اتسم موقفه إزاء التقرير بالحذر، حيث تجنب إعلان موقفه قبل اطلاعه على النسخة الكاملة من التقرير "لإعلان موقف الحكومة العراقية"، فيما رحبت جبهة التوافق العراقية بالتقرير معربة عن اعتقادها بأنه يمكن أن يسهم فى معالجة الأوضاع المتردية فى العراق. وفى هذا الإطار، قال رئيس الجبهة عدنان الدليمى: "التقرير سديد فى معظم فقراته ونعتقد بأنه سيسهم فى تحسين الأوضاع الأمنية نظرا لما تضمن من تشخيص للأخطاء الأمريكية التى ارتكبت وهو الأمر الذى جعل الرئيس الأمريكى جورج بوش يصف التقرير بالقاسى". وأكد الدليمى أن بعض ما جاء فى التقرير يتطابق مع ملاحظات جبهة التوافق وأهدافها المتعلقة بتحديد سقف

زمنى لرحيل قوات الاحتلال، وضمان مشاركة جميع القوى الفاعلة فى الساحة العراقية بالعملية السياسية.

وعلى الصعيد الإقليمى، لقى التقرير ارتياحا سوريا وحذرا إيرانيا. فقد وصفت دمشق التقرير بـ "الموضوعى"، خصوصا فى ما يتعلق بدور دول جوار العراق فى المساعدة على إرساء الاستقرار فى هذا البلد. وأكد مصدر فى وزارة الخارجية السورية أن "ما جاء حول ضرورة السلام الشامل هو موقف ايجابى يأخذ فى الاعتبار جذور المشاكل التى تؤدى إلى التوتر وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط". كما صرحت وزيرة المغتربين بثينة شعبان قائلة: "نحن مسرورون لأن التقرير ربط العراق بالوضع فى المنطقة.. رؤية سوريا أن الذى يحدث فى العراق لا يمكن عزله عن فلسطين ولبنان وبقية المنطقة". وأضافت: "نأمل أن يشكل تقرير بيكر مفصلا هاما وهو إشارة إلى تغيير فى سياسة الولايات المتحدة. وراءه طبعا دوافع أمريكية".

فى المقابل اتسم رد فعل إيران بالحذر، ويقول محللون أن طهران تنتظر لترى إن كان الرئيس الأمريكى جورج بوش سيتبنى هذه الفكرة، وما التنازلات التى تستطيع أن تكسبها، فإيران ليست فى عجلة من أمرها للرد بإيجابية أكثر فى هذه المرحلة بالرغم من أن البعض يقول أن طهران تريد إجراء محادثات إذا شعرت أنها ستحصل على ضمانات أمنية وتنازلات أخرى.. وفى هذا السياق، صرح منوشهر متقى وزير الخارجية الايرانى قائلا: "التقرير به بعض النقاط المهمة. يبدو أن بعض جوانب سياسة الإدارة الأمريكية فى العراق على الأقل اعتبرت خاطئة".

أما إسرائيل، فقد أبدت تحفظها على ربط التقرير بين تحسين الأوضاع فى العراق، والتوصل إلى تسوية سلمية بين إسرائيل والعرب، حيث قال رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت أن من الخطأ الربط بين الصراع العربى - الإسرائيلى وما يحدث فى الشرق الأوسط من اضطرابات، واستبعد أى محادثات فورية مع سوريا. ومضى يقول: "لست مقتنعا بأن هذا التقرير يلقى بكل المشكلات الأمريكية على كاهل إسرائيل".

العمل القادم: احتمال مهاجمة الإدارة المصابة لإيران: هل هو ضعيف أم قوى؟

THE NEXT ACT
Is a damaged Administration less likely to attack Iran, or more?

سيمور م. هيرش
by SEYMOUR M. HERS

نيويوركر ٢٠٠٦/١١/٢٧
The new Yorker, Issue of 2006-11-27

قبل شهر من انتخابات نوفمبر، اجتمع نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى فى مناقشة للأمن القومى، فى مبنى المكتب التنفيذى. الحديث أخذ منحى سياسيا: ماذا لو فاز الديمقراطيون بانتخابات كل من مجلس الشيوخ والكونجرس؟. كيف يمكن أن يؤثر ذلك على السياسة تجاه إيران، التى من المحتمل أن تكون على حافة أن تصبح دولة نووية؟. فى هذا السياق، وطبقا لشخص قريب من المناقشة، بدأ تشينى حديثه بالتذكير حول عمله كرجل خط، فى بداية الستينيات، فى شركة كهرباء فى وايمونج. إذ يقول تشينى: الأسلاك النحاسية كانت باهظة الثمن، وقد تلقى رجال الخط تعليمات بإرجاع كل القطع غير المستعملة ذات ثلاثة أقدام أو أكثر. لكن لا أحد رغب فى التعامل مع الوثيقة التى أصدرت، لذا وجد هو وزملائه حلا: وضع القطع الأصغر على السلك، وتجزئتها إلى قطع صغيرة ورمى البقايا فى نهاية يوم العمل. ويضيف نائب الرئيس: لو فاز الديمقراطيون فى انتخابات ٧ نوفمبر، فإن هذا النصر لن يوقف الإدارة عن متابعة الخيار العسكرى مع إيران. وربما يضع البيت الأبيض القطع الصغيرة على أية قيود تشريعية، وهكذا يمنع الكونجرس من إعاقة طريقه.

إن قلق البيت الأبيض لا يكمن فى احتمال أن يقطع الديمقراطيون الأموال عن الحرب فى العراق، وإنما بشأن إمكانية إصدار تشريع مستقبلى يمنعه مستقبلا

من تمويل العمليات وتوجيهها إلى إسقاط أو زعزعة الحكومة الإيرانية لمنعها من الحصول على "القنبلة". وكما أخبرني أحد كبار المسئولين السابقين في الاستخبارات فإنهم خائفون من أن الكونجرس يتجه نحو التصويت على تشريع يلزم بوقف ضرب إيران، كما حدث مع نيكاراجوا.

في نهاية عام ١٩٨٢، قدم النائب الديمقراطي أدوارد ب. بولاند، الجزء الأول من سلسلة "تعديلات بولاند"، التي قيدت قدرة إدارة ريجان على دعم رجال الكونترا، الذين كانوا يعملون على إسقاط حكومة ساندينستا اليسارية في نيكاراجوا. لقد قادت قيود بولاند مسئولي البيت الأبيض لتنظيم نشاطات جميع تبرعات غير شرعية لرجال الكونترا، متضمنة بيع أسلحة أمريكية، عبر إسرائيل، لإيران. والنتيجة كانت ظهور فضيحة إيران كونترا في منتصف الثمانينيات. إن قصة تشيني، حسب المصدر، كانت من أجل القول بأنه مهما فعل الكونجرس الديمقراطي في العام القادم من أجل تقييد سلطة الرئيس، فإن الإدارة سوف تجد الطريق للالتفاف حوله (رداً على طلب التعليق، قال مكتب نائب الرئيس أنه ليس عنده تسجيل للمناقشة).

وخلال المقابلات، عاد مسئولون سابقون وحاليون في الإدارة إلى سؤال واحد: هل سيملك تشيني نفس التأثير في العامين الأخيرين من رئاسة بوش مثلما كان يملك في العام الأول. إن تشيني واثق من التحول في العراق. في نهاية أكتوبر، قال لي: "أنا أعلم ما يعتقده الرئيس حول العراق. أنا أعلم ما أعتقده أنا. ونحن لا نبحث عن خطة للانسحاب. نحن نبحث عن النصر". هو واضح في قوله بأن الإدارة الأمريكية يمكن، في حالة الضرورة، أن تستعمل القوة ضد إيران. "إن الولايات المتحدة تحتفظ بكل الخيارات على المائدة في التعامل مع النظام غير المبالي". لقد أخبر جماعة ضغط إسرائيلية في بداية العام: "نحن متضامنون مع الأمم الأخرى في توجيه رسالة واضحة إلى هذا النظام: نحن لن نسمح لإيران بامتلاك سلاح نووي".

في ٨ نوفمبر، اليوم التالي على خسارة الجمهوريين لانتخابات الكونجرس ومجلس الشيوخ، أعلن بوش استقالة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد وتعيين روبرت جيتس مدير المخابرات المركزية السابق بدلا منه. هذا التحرك اعتبر على نحو واسع بأنه اعتراف من الإدارة بأنها تدفع ثمنا سياسيا للكارثة في العراق. جيتس كان عضواً في مجموعة دراسة مستقبل العراق برئاسة وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جيمس بيكر والعضو الديمقراطي السابق بالكونجرس لي هاميلتون الذين كلفا بدراسة وتقييم بدائل جديدة في العراق، وقد دعا علناً لأكثر من عام إلى بدء محادثات مباشرة بين الولايات المتحدة وإيران. ومن ثم فإن قرار الرئيس بوش بالتحول إلى جيتس يعد مؤشراً على "يأس" البيت الأبيض، كما قال لي المسئول السابق في المخابرات المركزية الذي عمل في البيت الأبيض بعد ١١ سبتمبر.

إن علاقة تشيني برامسفيلد كانت الأقرب في الإدارة الأمريكية، وقد اعتبر بعض النواب الجمهوريون تعيين جيتس على أنه مؤشر على أن نفوذ نائب الرئيس داخل الإدارة بدأ يواجه تحدى. وحسب قول مسئول سابق في المخابرات المركزية فإن السبب الوحيد الذي دفع جيتس إلى قبول المنصب. بعد رفضه عرضا سابقا للعمل كمدير جديد للاستخبارات الوطنية، هو أن "الرئيس الأب وبرنت سكوكروفت وجيمس بيكر، مساعدان سابقان للرئيس بوش الأب، تكتلوا، وكان على الرئيس في النهاية أن يقبل بإشراف دقيق".

ثمة قرارات حرجة سوف تتخذ في الأشهر القليلة القادمة، كما قال المسئول السابق في المخابرات المركزية. "لقد اتبع بوش نصيحة تشيني لمدة ستة أعوام، ومحور القصة سيكون: هل يواصل تفضيل تشيني على أبيه؟ نحن سنعرف قريباً". (رفض البيت الأبيض ووزارة الدفاع الأمريكية الرد على الطلبات المفصلة للتعليق على هذه المقالة ما عدا القول بأن هناك أخطاء غير محددة).

لقد أخبرني الجنرال ذو النجوم الأربع الذي عمل مباشرة مع إدارة بوش الأولى بأن تعيين جيتس يعني أن سكوكروفت، بيكر، وبوش الأب، وابنه "قالوا بأن الفوز بانتخابات ٢٠٠٨ هو الأكثر أهمية من الفرد. القضية بالنسبة لهم هي كيف نبقى على أجندة الجمهوريين. يريد الحرس القديم عزل تشيني وإعطاء ابنتهم، كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية "الفرصة للعمل". إن مجموعة سكوكروفت، بيكر، وبوش الأب، تعمل سوياً، وهي، كما يضيف الجنرال، "قاسية بما فيه الكفاية لمواجهة تشيني، رجل واحد لا يستطيع عمل ذلك".

لقد أخبرني ريتشارد أرميتاج، نائب وزير الخارجية في إدارة بوش الأولى، بأنه يعتقد أن فوز الديمقراطيين وما تبعه من استبعاد رامسفيلد، يعني أن الإدارة "تراجعت" من ناحية سرعة تخطيطها لحملة عسكرية ضد إيران. إن جيتس وصانعي القرار الآخرين أصبح أمامهم وقت الآن للدفع في سبيل التوصل إلى حل دبلوماسي مع إيران والتعامل مع قضايا أكثر إلحاحاً. و يقول أرميتاج: "العراق سئ كما يبدو، وأفغانستان أسوأ مما تبدو. قبل عام، كانت طالبان تجاربنا في وحدات من ٨ إلى ١٢، والآن هم في حجم شركة أو أكبر". ويضيف: إن قصف إيران وتوقع دعم الشعب

الإيرانى وإسقاط الحكومة كما كان يعتقد البعض فى البيت الأبيض أصبح مهمة أحمق.

وحسب قول جوزيف كرينكيون، خبير فى شئون الأمن القومى فى المركز الليبرالى للنقد الأمريكى، فإن "العراق كارثة يجب أن نتخلص منها، وإيران كارثة يجب أن نتفاداها". إن جيتس سوف يدفع فى اتجاه المحادثات مع إيران والاستماع لنصيحة هيئة الأركان المشتركة، لكن المحافظين الجدد مازالوا موجودين به، فى البيت الأبيض، ومازالوا يعتقدون أن الفوضى سوف تكون ثمنا بخسا للتخلص من التهديد. الخطر هو أن يصبح جيتس كولن باول جديد، وهو الوحيد الذى عارض هذه السياسة لكنها انتهت بالتمرير فى الكونجرس الذى أعلنه دعمه لها علنا.

وقالت مصادر أخرى قريبة من عائلة بوش أن المكائد التى كانت وراء استقالة رامسفيلد وتعيين جيتس مكانه معقدة، والنصر الظاهر للحرس القديم قد يكون خداعاً. وقد قال أحد كبار مسئولى الاستخبارات السابقين والذى عمل مرة مباشرة مع جيتس وبوش الأب، بأن بوش ومستشاريه فى البيت الأبيض فهموا من قبل منتصف شهر أكتوبر أن رامسفيلد يجب أن يستقيل، إذا كانت نتيجة انتخابات التجديد النصفى هزيمة مدوية. وقد شارك رامسفيلد فى مناقشات حول توقيت استقالته مع تشينى وجيتس والرئيس قبل الانتخابات. حسب قول المسئول السابق فى المخابرات.

وقد فقد النقاد الذين تساءلوا حول لماذا خرج رامسفيلد مبكراً، وهو ما أعطى الجمهوريين دفعة قوية، النقطة: "قبل الانتخابات بأسبوع قال الجمهوريون أن نصر الديمقراطيين سوف يمثل بذور التراجع الأمريكى، والآن يتجه بوش وتشينى إلى إحداث تغيير فى سياسات الأمن القومى؟".

وحسب قول مسئول المخابرات: "لقد عرف تشينى أن القادم هو طرد رامسفيلد بعد الانتخابات. تبدو كأنها حركة "أنتم على حق" تصالحية مع الديمقراطيين. نحن أحضرنا رجل جديد ونحن ننظر فى كل الخيارات. لا شئ يستثنى "لكن البادرة التصالحية لن تكون مصحوبة بتغيير هام فى السياسة، بدلاً من ذلك يعتبر البيت الأبيض جيتس شخصا يملك المصداقية لمساعدته على مواصلة المسيرة ضد إيران والعراق. جيتس أيضاً سيكون فاصل أمام الكونجرس. إذا احتاجت الإدارة إلى جعل القضية أن البرنامج النووى الإيرانى يمثل خطرا داهماً، سيكون جيتش أفضل دعائى من أى شخص آخر خصوصاً أنه ليس متورطا فى أخطاء استخباراتية حول العراق. وحسب قول المسئول السابق، إنه ليس الرجل الذى قال لنا أن هناك أسلحة دمار فى العراق، وسوف تؤخذ أقواله على محمل الجد من قبل الكونجرس.

وقد أخبرنى مسئول سابق فى إدارة بوش وعمل أيضاً مع جيتس بأن الأخير كان مدركا جيداً لصعوبات عمله الجديد. وأضاف أن جيتس لن يؤيد سياسة الإدارة ببساطة. "هو لا يريد أن يرى خمسة وثلاثين عاماً من الخدمة فى الحكومة تلقى من الشباك"، ورداً على سؤال حول هل جيتس سوف يواجه تشينى بنشاط، قال المسئول السابق بعد تردد: "لا أعرف".

قضية حيوية أخرى بانتظار جيتس وهى جهود توسيع وزارة الدفاع الأمريكية لإجراء مهمات "الاستخبارات السرية" فى الخارج. مثل هذا النشاط كان مهمة تقليدية لوكالة المخابرات المركزية، لكن ونتيجة للدفع المنظم من قبل رامسفيلد، تم زيادة الأعمال العسكرية السرية زيادة جوهرية. فى الشهور الستة الماضية، تعمل كل من إسرائيل وأمريكا سوياً لمساندة مجموعات المقاومة الكردية المعروفة بحزب الحياة الحرة فى كردستان. وقد أخبرنى مستشار حكومى له صلات وثيقة بقيادة البنتاجون المدنية، بأن هذه المجموعة تجرى غزوات سرية داخل الحدود الإيرانية، كجزء من محاولة لاستكشاف سبل جديدة للضغط على إيران. (أقام البنتاجون علاقات سرية مع القيادات الكردية والأذرية والبلوشية ودعم جهودهم لتقويض سلطة النظام فى شمال وجنوب إيران).

وقال المستشار الحكومى أن إسرائيل أعطت المجموعة الكردية "معدات وتدريبات"، كما منحت المجموعة "قائمة بالأهداف داخل إيران مهمة بالنسبة لأمريكا" (نفى المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية تورط إسرائيل).

هذه الأنشطة، إذا اعتبرت عسكرية أكثر من مخابراتية، لن تتطلب اجتماعات الكونجرس. وبالنسبة لعمليات المخابرات المشابهة، يمكن للرئيس، بحكم القانون، أن يصدر مرسوما يصف العملية بأنها كانت ضرورية. ويجب على الإدارة أن تطلع قيادات الكونجرس ومجلس الشيوخ عليها. قلة هذه الاستشارات أزعجت بعض الديمقراطيين فى الكونجرس.

لقد دفعت انتصارات الديمقراطيين إلى تصاعد النداءات للإدارة بإجراء محادثات مباشرة مع إيران، جزئياً للحصول على مساعدتها فى حل النزاعات فى العراق. لقد انفصل رئيس الوزراء البريطانى عن الرئيس بوش بعد الانتخابات وأعلن أنه يجب أن يعرض على إيران اختيارا استراتيجيا واضحا يمكن أن يتضمن "شراكة جديدة" مع الغرب. لكن العديدين فى

البيت الأبيض والبنتاجون يؤكدون على أن القسوة مع إيران هى الطريق الوحيد لإنقاذ العراق، وهو ما وصفه مستشار البنتاجون بأنه "حالة كلاسيكية من الفشل المتتابع".

هم يعتقدون أنه بالضغط على إيران يعوضون خسائرهم فى العراق. مثل مضاعفة رهانك. هى ربما تكون محاولة لإحياء دعوة نشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط من خلال تأسيس أول دولة نموذج.

لقد أيدت كونداليزا رايس الرأى القائل بأن هناك صلة بين إيران والعراق، وقالت الشهر الماضى أن إيران لا تحتاج لأن تفهم أنه لن يحسن بها إثارة حالة من عدم الاستقرار فى العراق.

وقال الرئيس فى أغسطس أن "إيران بدعم الجماعات المسلحة تأمل فى منع الديمقراطية من أن تترسخ فى العراق". وأخبرنى مستشار حكومى "إن أكثر الناس ينظرون إلى أن إضعاف إيران هو السبيل الوحيد لإنقاذ العراق".

وأضاف المستشار: بالنسبة لبعض مؤيدى العمل العسكرى فإن الهدف فى إيران ليس تغيير النظام، وإنما ضربة سوف توجه إشارة إلى أن أمريكا مازالت تستطيع إنجاز أهدافها. وحتى لو لم تدمر الشبكة النووية الإيرانية، هناك العديد ممن يعتقدون أن ٣٦ ساعة من التفجير هو السبيل الوحيد لتذكير الإيرانيين بالتكاليف المرتفعة جداً للمضى قدماً مع القنابل ودعم مقتدى الصدر والعناصر الموالية لإيران فى العراق. (الصدر، هو قائد الميليشيات الشيعية المرتبطة دينياً بإيران).

فى مقال لمجلة فورين بولسى أكد جوشوا مورافتشيك أحد أبرز المحافظين الجدد، أن الإدارة تمتلك خيارات محددة "بدون شك: سوف يحتاج الرئيس بوش لضرب المنشآت النووية الإيرانية قبل مغادرة منصبه"، وكتب: "سيواجه الرئيس انتقادات حادة للهجوم على إيران، كما أن المحافظين الجدد سيحتاجون لتمهيد الطريق الآن ليكونوا مستعدين للدفاع عن هذا العمل عندما يأتى".

ويعد ديفيد وورمسر الخبير الرئيسى فى شئون الشرق الأوسط فى مكتب ديك تشينى وهو من المحافظين الجدد، وكان من أشد الدعاة لغزو العراق وإسقاط صدام حسين. ومثل العديد فى واشنطن، يرى وورمسر أنه "حتى الآن لا يوجد ثمن تدفعه إيران لجهودها النووية واستمرارها فى التدخل فى العراق". لكن على خلاف مسئولى الإدارة الذين يدعون إلى ضربات محدودة، يريد وورمسر وآخرون فى مكتب تشينى "تغيير النظام"، وكما يقول المستشار: "هم يؤكدون أنه لا يمكن أن تكون هناك تسوية لحرب العراق بدون تغيير النظام فى إيران".

لقد تم إعداد خطط أكثر تعقيداً للهجوم العسكرى على إيران هذا الخريف من خلال تقييمات متخصصة من جانب المخابرات المركزية حول كيفية منع إيران من امتلاك قنبلة نووية. لم تجد المخابرات المركزية أى دليل واضح قاطع إلى الآن حول وجود برنامج نووى عسكرى سرى ينفذ بالتوازى مع عمليات مدنية تكشفها إيران إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (رفضت سى آى إيه التعليق على هذا النبأ).

لقد اعتمدت تحليلات سى آى إيه، التى وزعت على الوكالات الأخرى للتعليق، على معلومات مخابراتية فنية جمعت بواسطة الأقمار الصناعية، وعلى الوسائل التجريبية الأخرى، مثل مقاييس النشاط الإشعاعى من المياه ودخان المصانع ومحطات الكهرباء. وتم جمع معلومات إضافية أخرى. وأخبرتنى مصادر مخابراتية: تم وضع وسائل كشف النشاط الإشعاعى فائق التكنولوجيا، من خلال عملاء أمريكيين وإيرانيين سريين بالقرب من منشآت نووية مشكوك فيها داخل إيران فى العام الماضى أو أكثر، لكن لم توجد كميات هامة من النشاط الإشعاعى.

وقد أكد أحد مسئولى الاستخبارات الحاليين وجود تحليلات سى آى إيه، وأخبرنى أن البيت الأبيض كان رافضاً لها. رفض البيت الأبيض لمعلومات سى آى أيه عن إيران انتشر على نحو واسع فى مجتمع المخابرات.

وقد قال المسئول الحالى فى المخابرات أن تشينى ومساعديه احتفظوا بالتقييم، هم لا يبحثون عن دخان بندقية، ويضيف المسئول: بالإشارة إلى الاستخبارات المعنية حول التخطيط النووى الإيرانى، هم يبحثون عن درجة من الراحة يعتقدون فيها أنهم فى حاجة لإنجاز المهمة. كما رفضت وكالة المخابرات التابعة للبنتاجون تحليلات الـ سى آى أيه أيضاً، وقال مسئول المخابرات الحالى أن وكالة مخابرات البنتاجون ترفض استنتاجات سى آى إيه وتعارض نظريتها. وأضاف: يستطيع كل من بوش وتشينى محاولة منع تحليلات الـ سى آى أيه من الاندماج فى تقييم استخبارات وطنى قادم عن الأنشطة النووية الإيرانية، لكنهم لا يستطيعان إيقاف الوكالة عن استثنائه من التعليق داخل مجتمع المخابرات. لقد حذرت سى أى أيه البيت الأبيض بأنه من الخطأ استنتاج أن الفشل فى اكتشاف برنامج أسلحة نووية سرية فى أيران يعنى أن الإيرانيين عملوا جيداً لإخفائه. لقد لاحظ أحد كبار مسئولى الاستخبارات سابقاً أنه فى ذروة الحرب الباردة التى كان السوفيت فيها ماهرون فى المكر والتضليل على

السواء، رغم ذلك كان مجتمع المخابرات الأمريكية قادراً بسهولة على كشف تفاصيل قذائفهم بعيدة المدى وبرامج الأسلحة النووية، لكن البعض فى البيت الأبيض، بما فيهم مكتب تشينى، تبنى فقط الافتراض الآتى: نقص الأدلة يعنى أنهم يمتلكونه.

لقد وقعت إيران على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والتى تمنحها الحق فى إجراء بحث نووى للأغراض السلمية. ورغم عرض حوافز اقتصادية وتكنولوجية على إيران، وتهديدها من ناحية أخرى بالعمل العسكرى، فإن إيران تحدت مطلب الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومجلس الأمن فى وقت سابق من هذا العام بأن تتوقف عن تخصيب اليورانيوم، العملية التى تستطيع إنتاج مادة لمحطات الطاقة النووية بالإضافة إلى الأسلحة. كما أنها كانت عاجزة أو غير راغبة فى تفسير أسباب وجود آثار للبلوتونيوم المخصب الذى تم اكتشافه أثناء تفتيش أعضاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية التى اشتكت من قلة "الشفافية"، ورغم ذلك، ومثل سى آى أيه، لم تجد أية أدلة دامغة حول وجود برنامج عسكرى سرى.

فى الأسبوع الماضى، أعلن الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد أن إيران أحرزت تقدماً آخر فى برنامج بحوث التخصيب وقال: "نعلم أن بعض الدول قد لا يسعدها ذلك"، وأكد أن إيران تلتزم بالاتفاقيات الدولية. لكنه قال: "إن الوقت الآن بالكامل إلى جانب الشعب الإيرانى". وقد أخبرنى دبلوماسى فى فيينا، حيث مقر الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بأن الوكالة كانت تشك فى الادعاء لأسباب فنية، لكن نغمة أحمدى نجاد المفعمة بالتحدى حالت دون تقليص الشكوك حول طموحات إيران النووية".

وحسب قول دبلوماسى أوروبى رفيع المستوى: "ليس هناك دليل حول وجود برنامج سرى واسع النطاق فى إيران. لكن الإيرانيين ما كانوا سيطلقون أنفسهم فى مواجهة خطرة جداً مع الغرب على أساس برنامج أسلحة لن يتابعوه. إن برنامجهم للتخصيب يعطى انطباعا فقط أنهم يريدون أسلحة نووية. وسيكون من غير المعقول، إذا لم يخدعوا إلى هذه الدرجة. أنتم لستم بحاجة إلى برنامج سرى لكى تقلقوا بشأن طموحات إيران النووية. نحن لدينا معلومات كافية لعدم القلق. إنها ليست صفقة بدونكم لكنها قريبة من ذلك".

هناك، على أية حال، أسباب محتملة أخرى لعناد إيران، فالبرنامج النووى سواء سلمى أو دون ذلك هو من دواعى الفخر والاعتزاز الوطنى، كما أن الرئيس أحمدى نجاد يستخدمه لجذب شعبية كبيرة (خلق صدام حسين تشويشا لسنوات، داخل وخارج بلاده، حول هل العراق كان يمتلك أسلحة دمار شامل أم لا، جزئياً لتسليط الضوء عليه بقوة). وطبقاً لأحد مسئولى الاستخبارات السابقين، فإن تحليلات سى آى أيه تفترض أن إيران ربما ترى بعض الفوائد فى تعرضها لضربة عسكرية محدودة، أهمها لو لم تفلح فى تدمير منشآتها النووية بشكل كامل. فمثل هذا الهجوم قد يعزز موقعها داخل العالم الإسلامى. لقد تعلموا ذلك فى التجربة العراقية، وتعلموه ثانياً فى جنوب لبنان، حسب قول المسئول السابق. فى كلتا الحالتين، واجهت القوة العسكرية الأكبر صعوبات فى تحقيق أهدافها العسكرية أو السياسية: فى لبنان لم تؤد الحرب الإسرائيلية ضد حزب الله إلى تدمير ترسانته الكاملة من الصواريخ، بل وزادت من شعبية زعيمه حسن نصر الله.

ويضيف المسئول السابق أن تحليلات سى آى إيه صعدت من إمكانية أن تكون الضربة الأمريكية لإيران نقطة انطلاق لتوحيد السنة والشيعة. "إن أى هجوم أمريكى على إيران سوف يستخدم ورقة لتصفية أية اختلافات فى العالم العربى، وسوف نجد السوريين والإيرانيين، حماس وحزب الله يقاتلون ضدنا، والسعوديين والمصريين يستجوبون حول علاقاتهم بالغرب، إن ذلك سيكون التحليل الأسوأ للمرة الأولى منذ عصر الخلافة، حيث كانت هناك قضية مشتركة فى الشرق الأوسط (حكمت الخلافة الإسلامية الشرق الأوسط لأكثر من ستمائة عام حتى القرن الثالث عشر).

طبقا لمستشار فى البنتاجون، فإن وجهة نظر سى آى ايه هى: "بدون معلومات استخباراتية أكثر، فإن أى هجوم عسكرى لن يوقف برنامج إيران النووى. كما أن حملات الدمار والتخريب يمكن أن تصب فى أيدى إيران وتعمق معاداة المسلمين لأمريكا".

وقال مستشار البنتاجون أنه هو وزملائه فى الجيش يعتقدون أن إيران عازمة على تطوير قدرات نووية، لكنه أضاف أن الخيارات المتاحة لدى إدارة بوش ليست معدومة بسبب قلة المعلومات ولأننا قمنا بكى الذئب من قبل.

ولأن تحليل الـ سى آى ايه تم إعداده من قبل الإدارة أواخر الصيف، فقد أخبرنى بعض المسئولين والمستشارين العسكريين السابقين والحاليين أن عناصر جديدة ظهرت فجأة. فقد زعمت المعلومات الآتية من العملاء الإسرائيليين داخل إيران أن إيران طورت واختبرت أداة إشعال القنبلة النووية. إن أهمية الاستخبارات البشرية مازالت محل جدل. فالمشكلة أن

لا أحد يمكنه أن يتحقق منها حسب ما أخبرني أحد كبار الاستخباراتيين.

ونحن لا نعرف من هو المصدر الإسرائيلي "فالمعلومة تقول أن الإيرانيين اختبروا أداة الإشعال"، من خلال نموذج محاكاة دون أى تفجير نووى للمواد المستخدمة فى صناعة الأسلحة. ولكن لا توجد رسوم بيانية أو أية حقائق أخرى: أين نفذت التجارب؟، كم من المرات فعلت ذلك؟، وما هو حجم الذخيرة: رأس حرب أم جهاز تبريد؟ ليس عندهم معلومات بشأن ذلك. ويضيف: استخدم التقرير من قبل صقور البيت الأبيض لتأكيد مزاعم البيت الأبيض بأن الإيرانيين على الطريق الصحيح. والاختبارات لن تترك أى مسار مشع، الذى يفسر لماذا لا نستطيع العثور عليه.

وقد أخبرنى مستشار البنتاجون أنه وبعض المتخصصين الاستخباراتيين يعتقدون أن المخابرات الإسرائيلية يجب أن تؤخذ على محمل الجد بشكل كبير: "نحن نعيش فى عصر عندما لا تستطيع أجهزة الاستخبارات التكنولوجية الوطنية والمعلومات الآتية من أجهزة الأقمار الصناعية مدنا بما نحتاجه، فإن الاستخبارات البشرية رغم أنها قد لا تكون دليلا ثابتا بهذا الحجم، لكنها فى أغلب الأحيان تعد أفضل ما نستطيع الحصول عليه".

إن الاستخبارات البشرية يمكن أن تكون صعبة التقييم. بعض من المعلومات الاستخباراتية السياسية والخاطئة حول امتلاك العراق أسلحة دمار شامل جاءت عن طريق عميل مشارك اسمه كورفيبال، الذى مد وكالة الـ سى آى ايه بالمعلومات عن طريق المخابرات الألمانية.

لكن مستشار البنتاجون يؤكد أنه فى حالتنا الأخيرة، تبدو معلومات المخابرات الإسرائيلية صحيحة. وقال ان المعلومات حول جهاز الإشعال كانت قد تدعمت بشكل آخر من البيانات السرية جدا. وتعد وكالة المخابرات العسكرية هى نقطة المعالجة والنشر المركزية لهذه المعلومات، التى تتضمن أجهزة رادار، بيانات كهروبصرية ونووية وراديو. وقال المستشار أن البيانات السرية عالية المستوى أكدت أن هناك أنشطة ليست متفقة مع البرنامج الذى أعلنته إيران للوكالة الدولية للطاقة الذرية، بل إنها تشير إلى تطور أكبر وأكثر تقدما. ويضيف المستشار: "الإشارات قد لا يكون لها معنى، إلا إذا كانوا مستمرين فى بعض نواحى برنامج الأسلحة النووية أكثر مما نعلم".

فى بداية عام ٢٠٠٤، نقل جون بولتون الذى كان يعمل آنذاك وكيلا لوزيرة الخارجية لمراقبة الأسلحة (وهو الآن مندوب الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة) إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية شبهات تؤكد أن إيران تجرى بحثا حول المفجر المؤقت بشكل معقد من المفجرات التقليدية من النوع الذى تحتاجه لإشعال رأس حرب نووى فى بارسين، التى تقع على بعد عشرين ميل جنوب شرقى طهران وتعمل كمنظمة مركزية للصناعات الدفاعية الإيرانية. وتضع هناك مجموعة مرتبة وواسعة من المادة الكيماوية، بالإضافة إلى قذائف ضد الدبابات وصواريخ أرض جو، وقد أظهرت صور الأقمار الصناعية مخبأ مناسبا لاختبار التفجيرات الكبيرة جداً.

وقال لى دبلوماسى رفيع المستوى فى فيينا أنه، استجابة إلى المعلومات الاستخباراتية، ذهب مفتشوا الأمم المتحدة إلى بارسين فى نوفمبر ٢٠٠٥، بعد شهور من المفاوضات، وقد تم السماح لفريق التفتيش بالتجول فى مواقع معينة فى القاعدة، ثم سمح بعد ذلك بالوصول إلى بعض البيانات هناك، وحسب قول الدبلوماسى: "نحن لم نجد أى دليل حول مواد نووية.. وقد نظر المفتشون طويلا فى حفرة اختبار تفجيرات تحت الأرض مثل التى كانت لدى جنوب أفريقيا عندما كانت تطور أسلحة نووية منذ ثلاث عقود ماضية. الحفرة كانت يمكن أن تستخدم لنوع من البحث الحركى الضرورى لاختبار المفجر النووى. لكن، مثل العديد من الوسائل العسكرية المزدوجة الاستعمال، فإنها أيضا يمكن أن تستخدم لأشياء أخرى، مثل اختبار الوقود للصواريخ الذى يحدث بشكل دورى فى بارسين". وأضاف الدبلوماسى: "لقد أوضح الإيرانيون أن بإمكانهم تخصيب اليورانيوم. كما أن اختبار المفجر بدون آثار نووية عملية متطورة جدا، تعرف كذلك بالاختبارات الايدروديناميكى، وبإمكانية البلدان التى تمتلك وسائل اختبار نووية متقدمة بالإضافة إلى خبرة علمية إجراءها. وأنا متشكك جدا بشأن إمكانية قيام إيران بذلك".

فى وقت سابق من هذا الشهر، زادت الادعاءات حول بارسين عندما نشرت صحيفة "يديعوت احرونوت" أكبر الصحف الإسرائيلية تقريرا جديدا يتضمن صورا للأقمار الصناعية التى كشفت بناءً هائلا فى بارسين تفترض أنه مخصص لتوسيع الأنفاق والغرف تحت الأرض. وقد انتقدت الصحيفة كلا من عمليات مفتشى الوكالة ومديرها الدكتور محمد البرادعى، لإصراره على "استخدام تعبير محايد جدا لنتائجه واستنتاجاته".

وقد أخبرنى باتريك كلاوسن، أحد الخبراء فى الشئون الإيرانية، نائب مدير البحوث فى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وأحد منظرى

المحافظين الجدد، بأن اللحظة الأكبر من التوتر لم تأت بعد. وقال كلاوسن أن هناك دلائل بأن إيران أبطأت بسبب مشاكل فنية عملية بناء وعمل أجهزة طرد مركزى صغيرة وهى ضرورية للإنتاج التجريبى لليورانيوم المخصب، وهى الآن تحت إشراف الوكالة. ويتساءل كلاوسن: لما كانوا بهذا البطء فى تشغيل الجهاز الثانى؟، ولماذا لم ينفذوا الجهاز الأول مثلما قالوا؟، هل لدينا وقتا أكثر؟. ويقول: لماذا التحدث حول الحرب؟. "نحن لا نتحدث عن دخول حرب مع كوريا الشمالية أو فنزويلا. ليس بالضرورة القول أن إيران بدأت برنامجها العسكرى، والمعقول فقط القول أن إيران ليس عندها برنامج أسلحة نووية حتى الآن. نحن يمكن أن نبطئهم، نجبرهم على إعادة اختراع العجلة، بدون قصف، خصوصا إذا تحسنت الظروف الدولية".

وأضاف كلاوسن أن وزيرة الخارجية رايس "وضعت سمعتها على الدبلوماسية، وهى لا تخاطر بمنصبها بدون دليل". فريقها يقول: لماذا التسرع، الرئيس يريد حل القضية الإيرانية قبل انتهاء فترته، لكنه يجب أن يقول "يا إلهى، أتمنى ان أستطيع حلها".

وفى وقت سابق من هذا العام، كونت حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت فرقة عمل لجمع المعلومات الاستخباراتية عن إيران يرأسها اللواء اليعازر شكيدى قائد القوات الجوية الإسرائيلية، وتقدم تقاريرها مباشرة إلى رئيس الوزراء. فى أواخر أكتوبر الماضى، قام أولمرت بتعيين افرايم سينيه عضو حزب العمل فى الكنيست ليكون نائبا لوزير الدفاع ويدعو سنيه الذى عمل فى المنصب نفسه فى عهد إيهود باراك إلى ضرورة اتخاذ إجراء لمنع إيران من الحصول على القنبلة. وفى هذا الشهر أجرى سينيه مقابلة مع صحيفة "جيروزاليم بوست" شكك فيها فى فعالية الدبلوماسية أو العقوبات الدولية فى كبح إيران. "الخطر ليس فى قرار محمود أحمد نجاد بشن هجوم، لكن فى عيش إسرائيل فى مظلة من الخوف من تعهد الرئيس بدمارها. بعض الإسرائيليين يمكن أن يفضلوا عدم العيش هنا، أكثر اليهود يفضلون ألا يجيئوا مع العائلات، والإسرائيلى الذى يستطيع العيش فى الخارج سيفعل. آنا خائف من أن أحمدى نجاد سيكون قادرا على قتل الحلم الصهيونى بدون ضغط الزر. وهذا يفسر لماذا يجب علينا أن نمنع هذا النظام من الحصول على القنبلة".

رسالة مماثلة أطلقها بنيامين نتنياهو، زعيم الليكود، فى خطاب فى لوس أنجيلوس الأسبوع الماضى" إنه عودة لـ ١٩٣٨، فإيران هى ألمانيا. وإيران تسابق من أجل تسليح نفسها بقنبلة نووية". مضيفا أنه مازال هناك وقت لإيقاف الإيرانيين.

وقد أخبرنى مستشار البنتاجون أنه "رغم أن هناك ضغطا من الإسرائيليين فإنهم لن يفعلوا شيئا بدون الحصول على ضوء أخضر منا". هذه الثقة، كما يضيف، تأتى من مكتب تشينى الذى يقول بنفسه: "نحن لن نتركك مهددين، لكنكم لن تذهبوا بدوننا". ويوافقه مسئول أوروبى رفيع المستوى الذى يقول: "بالنسبة لإسرائيل، هى مسألة حياة أو موت. إن أمريكا لا ترغب فى دخول إيران، لكن إذا شعرت إسرائيل بأنها محاصرة أكثر فأكثر، ربما لا يكون هناك اختيار آخر".

إن إيران النووية لا تهدد إسرائيل فقط. فهى يمكن أن تتسبب فى سباق تسلح استراتيجى فى كافة أنحاء الشرق الأوسط ، كالمملكة العربية السعودية، الأردن، ومصر ، وكلها تحت قيادة الحكومات السنية، وسترغم على اتخاذ خطوات للدفاع عن نفسها. وإذا اتجهت إدارة بوش إلى شن عمل عسكرى ضد إيران، فستحظى بدعم من الديمقراطيين بالإضافة إلى الجمهوريين. وقد حذر أعضاء فى مجلس الشيوخ: هيلارى كلينتون نائب نيويورك، وباى ايفان نائب انديانا، فى وقت سابق من هذا العام، بأن إيران لا يمكن السماح لها بامتلاك قنبلة، حيث قالت هيلارى وهما مرشحان محتملان لانتخابات الرئاسة فى عام ٢٠٠٨: "نحن لا نستطيع استبعاد أى خيار من المنضدة". وقد تبنى رئيس لجنة الأمن القومى الديمقراطى هاورد دين نفس الرؤية.

فى مايو الماضى، حظى أولمرت باستقبال حافل عندما خطب فى جلسة مشتركة للكونجرس، وأعلن أن "إيران النووية يعنى دولة إرهابية يمكن أن تحقق المهمة الأساسية التى يعيش ويموت من أجلها الإرهابيون - الدمار الشامل للحياة البشرية البريئة - هذا التحدى، الذى اعتقد أنه اختبار عصرنا، لا يستطيع الغرب تحمل فشله".

وعلى الرغم من مثل هذه الخطابات، قال ليزلى جلب، مسئول سابق فى وزارة الخارجية ورئيس فخرى لمجلس العلاقات الخارجية، أنه يعتقد أنه "عندما تأتى اللحظة فمن الصعب على الإسرائيليين تقبل فكرة وجود إيران نووية". ويضيف جلب أن الجيش ووزارة الخارجية سيقفان سويا ضد شن هجوم عسكرى مكثف. ويأمل جلب فى إمكانية أن يضيف تعيين جيتس وزنا للضغط الأمريكى على القضية "للحصول على بعض مستوى ضبط النفس الإيرانى داخل العراق". "خلال العام المقبل أو

٤٠

الاثنين، يحتمل كثيرا أن نتفاوض مع إيران بدلا من قصفها".

ومازالت إدارة بوش ملتزمة بالحل الدبلوماسي للطريق النووي الإيراني المسدود. وتعمل مع الصين وروسيا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا لبدء المفاوضات. وحتى الآن، أخفق ذلك الجهد، حيث فشلت آخر جولة من المباحثات في وقت مبكر من نوفمبر، على خلفية تصاعد الخلافات مع روسيا والصين حول ضرورة فرض عقوبات قاسية من الأمم المتحدة على النظام الإيراني. ويصر الرئيس بوش على أن إيران يجب أن توقف كل برامج تخصيب اليورانيوم قبل إجراء أية محادثات مباشرة تتضمن الولايات المتحدة.

وقد أخبرني دبلوماسي أوروبي رفيع المستوى بأن الرئيس الفرنسي جاك شيراك والرئيس بوش اجتمعا في نيويورك في ١٩ سبتمبر، قبل بدأ الدورة الجديدة للأمم المتحدة، واتفقا على ما أسماه الفرنسيون "الضربة الكبرى" لكسر الجمود مع إيران. وقد قدم السيناريو إلى علي لاريجاني، رئيس المفاوضين الإيرانيين في الملف النووي. ويضيف الدبلوماسي أن المفاوضين الغربيين يمكن أن يجلسوا للتفاوض مع إيران. "نحن نقول يمكن أن نبدأ المفاوضات بدون شروط مسبقة، والإيرانيون يردون نحن سنعلق". ويمكن أن يبد جانبنا رضاءً ملحوظا والإيرانيون يوافقون على تفتيش الوكالة على وسائل التخصيب. بعد ذلك يعلن الغرب، بالمقابل، أنه يمكن أن يعلق عقوبات الأمم المتحدة. الولايات المتحدة لن تكون على المائدة عندما تبدأ المحادثات، لكنها يمكن أن تنضم لاحقا. وقد أخذ لاريجاني العرض إلى طهران، والجواب كما نقله لاريجاني كان: لا. وأضاف الدبلوماسي: "نحن كنا نحاول المساومة، على كل الجوانب، لكن أحمدي نجاد لم يرد إنقاذ ماء الوجه". وتابع الدبلوماسي: "لقد ذهب السيناريو الجميل هباء".

في الأسبوع الماضي، ثمة توقعات بأن تقدم مجموعة دراسة مستقبل العراق توصيات يمكن أن تحظى بموافقة حزبية، وتوصي الإدارة بالخروج من المستنقع العراقي (المقال منشور قبل صدور تقرير مجموعة دراسة مستقبل العراق في ٦ ديسمبر الحالي). وقد أخبرتني مصادر على صلة مباشرة بالمجموعة بأن الأخيرة ابتداءً من منتصف نوفمبر استبعدت الدعوة إلى انسحاب أمريكي فوري وكامل من العراق، لكنها أوصت بالتركيز على تحسين التدريب للقوات العراقية، وعلى إعادة نشر القوات الأمريكية. في التوصية الأهم، يتوقع أن يحث كل من بيكر ولي هاميلتون الرئيس بوش ليعمل ما يملك من أجل دعوة سوريا وإيران إلى مؤتمر إقليمي للمساعدة على استقرار العراق.

ليس واضحا ما إذا كانت الإدارة ستوافق. في أغسطس، وطبقا لقول مسئول الاستخبارات فقد طلب رامسفيلد من رؤساء هيئة الأركان المشتركة وضع خطط بديلة لمواجهة المقترحات الجديدة. سواء جاءت من الأغلبية الديمقراطية الجديدة أو من مجموعة دراسة العراق. إن البديل الأخير هو تحريك القوات الأمريكية خارج المدن ونشرها على طول الحدود السورية والإيرانية. وقال المسئول السابق: سوف يستأجر مدنيون لتدريب الشرطة العراقية، بهدف فصل الشرطة المحلية عن الجيش العراقي. ويعتقد البيت الأبيض أنه "إذا بقت القوات الأمريكية في العراق طويلا بما فيه الكفاية - بالقوات الكافية- فإن الرجال السيئين سينتهون بقتل بعضهم البعض، وسوف يجئ المواطنون العراقيون، المستاءون من النزاعات الداخلية، بالحل. وسوف يستغرق وقت طويل من أجل تحريك هذه القوات وتدريب الشرطة. إنه تسلسل زمني إلى اللانهاية".

في مقابلة لاحقة، قال أحد كبار مسئولي إدارة بوش السابقين، أنه كان قد أخبر بأن البنتاجون يعمل على وضع خطة للعراق تدعو إلى الانسحاب العسكري من المدن الكبرى إلى قواعد محصنة قرب الحدود. الفرضية المعمول بها كانت: "بانسحاب القوات الأمريكية من المناطق المأهولة بالسكان سوف ينطفأ النزاع الطائفي". ويقول البيت الأبيض "لكنها ربما تأخذ الطريق الخاطئ".

ثمة مشكلة واحدة في اقتراح دعوة الولايات المتحدة لإيران بالتوصل إلى تسوية للنزاع في العراق، وهي أنه ليس واضحاً أن إيران يمكن أن تهتم، خصوصاً إذا كان الهدف أن تساعد إدارة بوش لتخلص نفسها من موقف سئ.

وكما أخبرني مسئول سابق في إدارة الشرق الأوسط، فإن "إيران تبدو كقوة مهيمنة في الشرق الأوسط، ومع البرنامج النووي، والقدرة على التأثير عبر الإقليم، فإنها أساسا تسير الأمور. لماذا يجب أن يتعاونوا معنا في العراق؟. إنه يعيد تقييم الاجتماع الأخير مع محمود أحمدي نجاد الذي تحدى حق بوش في القول لإيران بأنها لا تستطيع تخصيب اليورانيوم. ويتساءل الرئيس الإيراني: "لماذا لا توقف أمريكا تخصيب اليورانيوم؟". لقد ضحك وأضاف: "سوف نخصبه إليكم ثم نبيعه لكم مع خصم ٥٠ في المائة".

افتتاحيات الصحف الإيرانية

افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية في شهر آبان ١٣٨٥هـ.ش. الموافق أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٦م

قضيتان داخليتان شغلتا معظم اهتمامات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهر آبان ١٣٨٥هـ.ش. الموافق أكتوبر/ نوفمبر ٢٠٠٦م، وهما الاستعداد لانتخابات مجلس الخبراء والمجالس المحلية، وقضية سياسات الحكومة ورئيسها خاصة في المجال الاقتصادي.

كانت القضية الاقتصادية على رأس الموضوعات التي انتقدت بها الصحف ذات التوجه الإصلاحي الحكومة هذا الشهر، مثل صحيفة التضامن (همبستكي) في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٨و١٠/٣٠ و١و٤و٧و٢٠٠٦/١١/١٣م، وصحيفة الشمس (آفتاب) في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢و٤و٥و١١و١٩و٢٠و١١/٢١، وصحيفة الاعتماد الوطني في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٢و٢٨و١٠/٢٩ و٢و٥و٧و١١و١٦و١٩و١١/٢٠، وصحيفة اطلاعات في افتتاحية عددها بتاريخ ١٠/٣١، حيث أكدت هذه الصحف أن الحكومة قامت بعدد من الإجراءات بدون دراسة كافية، خاصة في إطار تنظيم السوق ووقف التضخم ووقف انخفاض سعر صرف العملة الإيرانية، لكن هذه الإجراءات لم تساعد على تقوية البنية الاقتصادية، خاصة مع عملية الانفتاح الاقتصادي التي أدت إلى الاستعانة بدخل النفط في تنفيذ المشروعات وتلبية الاحتياجات الاقتصادية والجماهيرية، ونزلت بالطبقة الثانية إلى المستوى الأدنى اقتصاديا، وقللت فاعلية قدرتها الشرائية، كما انتقدت هذه الصحف التغييرات التي تتم بين المسئولين الحكوميين دون استشارة مجلس الشورى الإسلامي أو الخبراء المتخصصين، كما حدث لرئيس هيئة التخطيط والموازنة، ووزيري الرخاء والتعاون، فضلا عن عدد من وكلاء الوزارات ومديري الإدارات.

في حين تؤكد الصحف ذات التوجه الأصولي مثل صحيفة رسالت في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ١٠/٢٢و١و٦و ٨و١١/١٦، وصحيفة جمهوري اسلامي في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ١٢و١٥و١١/٢٠، وصحيفة ايران في افتتاحية عددها بتاريخ ١١/٢١، وصحيفة كيهان في افتتاحية عددها بتاريخ ١١/٥، أن الاقتصاد بمقتضى التحول الثقافي يحتاج إلى إعادة نظر في توجهاته وأسسه، وكان على الحكومة أن تعيد بناء الفكر الاقتصادي الإيراني وأولوياته، وإعادة بناء البنية التحية للخدمات الاقتصادية والجماهيرية، في إطار أدبيات المجتمع المدني ومفاهيم العدالة الاجتماعية، كما أن مشاركة الرأسمالية الوطنية والأجنبية في الاستثمار والخصخصة سوف تحقق الثقة والمشاركة الشعبية، وقد

قامت الحكومة باستكمال الإصلاح الاقتصادى وفق الرؤية الأولى للثورة، فبدأت خطوات فعالة فى هذا الصدد أهمها اللامركزية الاقتصادية، وزيادة حجم التعاونيات، وزيادة استثمارات القطاع الخاص، ودعم تجارة الترانزيت، وأن العمل الميدانى على مستوى المحافظات كفيل بتحقيق هذا الأمر، مشيرة إلى أن برنامج الحكومة الاقتصادى متوازن تماما، حيث يسعى إلى خفض معدل التضخم مع زيادة القدرة الشرائية للمواطنين ودعم الإنتاج، وكذلك ترشيد الدعم لمصلحة الطبقة المستضعفة، وخفض نفقات الحكومة، ومحاربة الفساد الاقتصادى والتهرب الضريبي. ومنع النشاط الاقتصادى لموظفى الدولة، وخاصة المسئولين مع عدم تعاملهم مع الأجهزة الحكومية، وتطوير نظام توزيع السلع والخدمات، وإيجاد الاستقرار الاقتصادى من خلال سياسات نقدية وتجارية مناسبة، مع التوسع فى نظام القرض الحسن. فضلا عن إصلاح الموازنة العامة على أساس النشاط وليس بالنظر للسنوات السابقة، وتنظيم سوق المال، ودعم سوق الأوراق المالية، والشركات التعاونية والمساهمة، وإزالة عوائق الإنتاج المحلى وتحسينه للمنافسة العالمية، والسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى إنتاج السلع الأساسية ودعم الإنتاج المحلي، خاصة الصناعات الصغيرة واليدوية، والاعتماد على المنتجات المحلية فى الأجهزة الحكومية، وتوفير الحماية والدعم للإستثمار والتوسع التقنى والدراسات ومراكز الإبداع والاختراع، وتحسين العلاقات التجارية مع مختلف الدول ودعم الصادرات، ودعم السياحة، والتوسع فى تصدير الخدمات الفنية والهندسية، فضلا عن توسيع مجال الطاقة، ودعم صناعة البتروكيماويات والتعدين والطاقة والصناعات التبادلية، وتقليل الاعتماد على الدخل النفطى وتوجيهه لخدمة المشروعات الاستثمارية، مع دعم اكتشاف واستخراج وإنتاج وتصفية وتبديل وبيع وتوزيع واستهلاك مصادر الطاقة ومتعلقاتها.

فيما يتعلق بمسألة انتخابات مجلس الخبراء والمجالس المحلية حاولت الصحف رسم المشهد السياسى الإيرانى قبل الانتخابات بما ينبئ عن تغيير فى شكل الخريطة السياسية، سواء بالنسبة للمحافظيّن أو الإصلاحيين، حيث تتفكك التكتلات الموجودة، وتظهر تكتلات جديدة ذات توجهات جديدة واستراتيجيات وسياسات جديدة، لتستكمل الصراع السياسى حول توجيه المرحلة القادمة، وقد أكدت الصحف ذات التوجه الأصولى مثل صحيفة رسالت فى افتتاحيتى عدديها بتاريخ ٣٠و١٠/٣١، وصحيفة الكوكب (كيهان) فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ١٠/٣١و٢٠و١١/٢١. أن المحافظين فى إيران قد أحرزوا نجاحا شعبيا واضحا مكنهم من تثبيت أقدامهم على الساحة السياسية فى إيران، وأصبح صوتهم أعلى من صوت الإصلاحيين.

أما الصحف ذات التوجه الإصلاحى مثل صحيفة الشمس فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ١٣و١٥و١١/١٦، وصحيفة الاعتماد الوطنى فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ١و٩و١٢و١٥و١٨و١١/٢١. فقد أكدت على أن الإصلاحيين لم يستسلموا بعد. فهم يعودون لشحن أسلحتهم استعداداً لخوض معركة انتخابات المجالس المحلية بفكر جديد يسعى لاستمالة الغالبية العظمى من الشباب والطبقة المتوسطة. فضلاً عن نخبة المثقفين التى تريد أن يكون لها دور فى توجيه الأحداث خلال المرحلة القادمة. فضلا عن محاولة استمالة بعض رموز السياسة من علماء الدين فى الحوزة العلمية فى قم، إضافة إلى استنهاض رموز أخرى اعتزلت العمل السياسى لسبب أو آخر، بما يعنى تعديل الخط الذى يسير عليه الإصلاحيون الآن والقبول بالحلول الوسط.

اهتمت الصحف الإيرانية بانتخابات الكونجرس والولايات الأمريكية حيث أكدت الصحف على اختلاف توجهاتها مثل صحيفة الشمس فى افتتاحية عدد ١١/١٤، واطلاعات فى افتتاحيات أعداد ٢٢و١٠/٢٩ و٨و٩و١١و١١/١٣، وصحيفة جمهورى اسلامى فى افتتاحيات أعداد ١و٤و٥و١١/١١، وصحيفة رسالت فى افتتاحيات أعداد ١٠/٢٨و٩و١١/١٨، وصحيفة كيهان فى افتتاحيات أعداد ٢و٩و١١/١١، وصحيفة التضامن فى افتتاحيتى عددى ١١و١١/١٢، أن انتصار الديمقراطيين الأمريكيين الساحق فى انتخابات الكونجرس وحكام الولايات الأخيرة يعتبر إيجابيا، بل اعتبرته انتصارا للجمهورية الإسلامية، لأنه قد عبر بوضوح عن رفض الشعب الأمريكى لسياسات اليمين الجمهورى وحكومته، وعلى رأسها الرئيس جورج بوش، خاصة فى السياسة الخارجية، سواءً فى العراق، أو فى أفغانستان، أو تجاه البرنامج النووى الإيراني، أو الصراع العربى الإسرائيلي، أو كوريا الشمالية، وتساءلت الصحف حول إمكانية تغيير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المشكلتين الرئيسيتين العراق وإيران، ومدى تأثير الحركة الإيرانية على حجم هذا التغير، وأكدت الصحف ذات التوجه الإصلاحى على

ضرورة أن تسعى إيران إلى الاستفادة من سيطرة الديمقراطيين لتحقيق تغير فى التوجه والسلوك الأمريكى تجاه إيران، وحل المشاكل مع الولايات المتحدة من خلال التفاوض خاصة حول الملف النووى الإيراني، والتناغم بين الأمريكيين والأوربيين فى هذا الصدد، والاستفادة من هذه الضربة التى أصابت الرئيس الأمريكى فى اتجاه آخر، وكذلك لتثبيت نفسها فى المنطقة كقطب فاعل، أو المضى قدما فى مشروعها النووى إزاء تقييد خطوات الرئيس الأمريكى فى هذه الظروف، أو استغلال الصراع بين الرئيس الأمريكى والكونجرس لصالحها. وهكذا تسعى الصحف الإصلاحية إلى انتهاز الفرصة والترويج لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، أو إعادة العلاقات معها، فى حين تبدو الصحف ذات التوجه الأصولى غير متفائلة تجاه التحولات الجارية فى الولايات المتحدة، ويرون أن من يطالب بعودة العلاقات السياسية بين البلدين لا يعرف أبجدية السياسة، وأنه لا يدرك ألا يوجد اختلاف كبير بين فكر الجمهوريين والديمقراطيين الأمريكيين فى موقفهم تجاه إيران، وأن الفرق الوحيد يكمن فى أسلوب التعاطى وأدواته. فضلاً عن أن الديمقراطيين لهم علاقات وطيدة مع إسرائيل، وهو ما سوف يؤثر على موقفهم من الملف النووى الإيراني، وحساسيتهم تجاه انتهاك حقوق الإنسان فى إيران، وخاصة حقوق الأقليات، بل إن هناك من الأسباب ما يقوى هاجسا بأن تسعى أمريكا إلى الضغط على إيران من أجل تحقيق مزيد من التنمية الديمقراطية من قبل الأغلبية الديمقراطية. وتنبرى الصحف الأصولية لدعم وجهة نظرهم من تعمد الولايات المتحدة تدمير الإسلام والمسلمين، ولن تؤدى إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة إلى تغيير هذا الوضع أبدا، لأنها لن تحل عقدة واحدة من مشاكل إيران بل ستزيد عليها. وأنه لا يوجد ما يستوجب الخوف من الولايات المتحدة خاصة بعد أن استكملت إيران أسباب حماية أمنها. ولعل الإيجابية الوحيدة التى تتطلع إليها الحكومة الإيرانية لنجاح الديمقراطيين هو التحول الأمريكى الذى يمكن أن يحدث تجاه العراق، وهو ما يمكن أن يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تطلب مساعدة إيران لحل الأزمة العراقية بشكل يحفظ لها ماء وجهها، مما يعطى الفرصة لحدوث نوع من التقارب يسمح بحل مشكلات أخرى بين البلدين بالوسائل السلمية. حيث يميل الديمقراطيين إلى الابتعاد عن الحروب لحل المشكلات الدولية، وتفضيل المباحثات كسبيل أمثل لحلها، من خلال الاستفادة من التجربة الأمريكية فى أفغانستان والعراق، والعمل بحذر شديد فى نقاط التوتر فى العالم. كما أنهم سيقومون بمراجعة دقيقة للسياسة الإعلامية، ومن ثم يقل الضغط الإعلامى الأمريكى على إيران.

وعلى صعيد أحداث العراق أشارت الصحف الإيرانية مثل صحيفة كيهان فى افتتاحيتى عدديها ١٠/٣٠ و١١/٧، وصحيفة التضامن فى افتتاحية عدد ١١/٢، وصحيفة الشمس فى افتتاحية عدد ١١/٦، وصحيفة اطلاعات فى افتتاحية عدد١١/٧، وصحيفة جمهورى اسلامى فى افتتاحيتى عددى ١٠/٣١و١١/٧، وصحيفة رسالت فى افتتاحية عدد ١١/٧، إلى نوع المساعدة التى يمكن أن تقدمها إيران للولايات المتحدة فى العراق، وذكرت أن هناك عددا من القوميات المذهبية والعرقية فى العراق التى لها صلة طيبة بإيران، ويمكن لإيران أن تستثمر هذه الصلات فى التوسط لوقف التوتر السياسى والعنف، كما تستطيع إيران أن تتعامل مع المتطرفين الشيعة وتعمل على اقترابهم من الحكومة المركزية، ولاشك أن اقتراب الجماعات من بعضها يساعد على تقليل مجال الأعمال العنيفة فى العراق، كما أبدت ارتياحها لحكم إعدام الرئيس السابق صدام حسين، مشيرة إلى أن إيران تستطيع من خلال علاقاتها الطيبة بسوريا أن تتعاونا فى إنهاء العنف فى العراق، من خلال الرقابة الشديدة على الحدود مع العراق وكشف الجماعات الوفية لحزب البعث والرئيس السابق صدام حسين. وتؤكد الصحف الإيرانية أن من واجب إيران أن تقف إلى جانب العراق فى هذه الظروف وتمنع من تدهور الأوضاع، وهو ما يجعل التعاون الإيرانى هدفاً مقدساً وواجباً ضرورياً على إيران أن تسعى لتحقيقه مع التنبه إلى أن الولايات المتحدة ستحاول جر إيران إلى هذا المستنقع، كما لا ينبغى أن تصبح هدفا للقاعدة، وهى ليست هدفا لها حاليا، وهو ما يمكن أن يكون على لائحة الأهداف الأمريكية من التباحث مع إيران. وتؤكد الصحف الإيرانية أن سقوط صدام قد ساعد على ارتفاع نجم الشيعة فى العراق والمنطقة، وأن الولايات المتحدة قد شعرت بقلق شديد تجاه النفوذ المتنامى للشيعة، مما يجعلها تحاول حصار إيران لتقليل دور الشيعة وخفض نفوذهم،

قضية العدد

فوز الديمقراطيين والعلاقات مع إيران

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

يعتقد الإيرانيون أن انتصار الديمقراطيين الأمريكيين الساحق فى انتخابات الكونجرس وحكام الولايات الأخيرة يعتبر إيجابيا، بل يعتبره آية الله خامنئى زعيم الثورة الإسلامية فى إيران انتصارا للجمهورية الإسلامية، لأنه قد عبر بوضوح عن رفض الشعب الأمريكى لسياسات اليمين الجمهورى وحكومته وعلى رأسها الرئيس جورج بوش، خاصة فى السياسة الخارجية، سواءً فى العراق، أو فى أفغانستان، أو تجاه البرنامج النووى الإيراني، أو الصراع العربى - الإسرائيلي، أو كوريا الشمالية، وقد قفز السؤال لدى المحللين السياسيين حول إمكانية تغيير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المشكلتين الرئيسيتين العراق وإيران، ومدى تأثير الحركة الإيرانية على حجم هذا التغير.

هل تسعى إيران إلى الاستفادة من سيطرة الديمقراطيين لتحقيق تغير فى التوجه والسلوك الأمريكى تجاه إيران، وحل المشاكل مع الولايات المتحدة من خلال التفاوض خاصة حول الملف النووى الإيراني، والتناغم بين الأمريكيين والأوروبيين فى هذا الصدد؟، أم أنها ترى الاستفادة من هذه الضربة التى أصابت الرئيس الأمريكى فى اتجاه آخر؟، ربما تثبيت نفسها فى المنطقة كقطب فاعل، أو المضى قدما فى مشروعها النووى إزاء تقييد خطوات الرئيس الأمريكى فى هذه الظروف، أو استغلال الصراع بين الرئيس الأمريكى والكونجرس لصالحها؟

على صعيد الساحة السياسية فى إيران تسعى المعارضة الإصلاحية إلى انتهاز الفرصة والترويج لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، أو إعادة العلاقات معها، فى حين يبدو الأصوليون غير متفائلين تجاه التحولات الجارية فى الولايات المتحدة، ويرون أن من يطالب بعودة العلاقات السياسية بين البلدين لا يعرف أبجدية السياسة، وأنه لا يدرك ألا يوجد اختلاف كبير بين فكر الجمهوريين والديمقراطيين الأمريكيين فى موقفهم تجاه إيران، وأن الفرق الوحيد يكمن فى أسلوب التعاطى وأدواته، فضلا عن أن الديمقراطيين لهم علاقات وطيدة مع إسرائيل، وهو ما سوف يؤثر على موقفهم من الملف النووى الإيراني، وحساسيتهم تجاه انتهاك حقوق الإنسان فى إيران، وخاصة حقوق الأقليات، بل إن هناك من الأسباب ما يقوى هاجسا بأن تسعى الولايات المتحدة إلى الضغط على إيران من أجل تحقيق مزيد من التنمية الديمقراطية من قبل الأغلبية الديمقراطية.

وينبرى الأصوليون لدعم وجهة نظرهم من خلال أجهزة الإعلام، يقول الكاتب سعد الله زارعى إن أولئك الذين يرون ضرورة إعادة النظر فى سياستنا ومبادئنا ودبلوماسيتنا يعتقدون أننا سذج وأننا سنكرر الأخطاء الماضية، إن كل مشاكلنا تأتى من تعمد الولايات المتحدة تدمير الإسلام والمسلمين، ولن تؤدى إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة إلى تغيير هذا الوضع أبدا لأنها لن تحل عقدة واحدة من مشاكلنا بل ستزيد عليها. ويؤكد المتشددون الإيرانيون على أنه لا يوجد ما يستوجب الخوف من الولايات المتحدة خاصة بعد أن استكملت إيران أسباب حماية أمنها.

ولعل الإيجابية الوحيدة التى تتطلع إليها الحكومة الإيرانية لنجاح الديمقراطيين هو التحول الأمريكى الذى يمكن أن يحدث تجاه العراق، وهو ما يمكن أن يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تطلب مساعدة إيران لحل الأزمة العراقية بشكل يحفظ لها ماء وجهها، مما

يعطى الفرصة لحدوث نوع من التقارب يسمح بحل مشكلات أخرى بين البلدين بالوسائل السلمية، حيث يميل الديمقراطيين إلى الابتعاد عن الحروب لحل المشكلات الدولية، وتفضيل المباحثات كسبيل أمثل لحلها، من خلال الاستفادة من التجربة الأمريكية فى أفغانستان والعراق، والعمل بحذر شديد فى نقاط التوتر فى العالم. كما أنهم سيقومون بمراجعة دقيقة للسياسة الإعلامية، ومن ثم يقل الضغط الإعلامى الأمريكى على إيران.

وكانت صحيفة واشنطن بوست قد نشرت أن جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق ورئيس لجنة دراسة مستقبل العراق قد التقى بمحمد جواد ظريف مندوب إيران الدائم لدى المنظمة الدولية فى نيويورك. وقد أكدت المصادر الإعلامية الإيرانية ذلك، وذكرت أن بيكر قال لجواد ظريف: إن لجنة التحقيق الأمريكية فى العراق تريد أن تعرف مقترحات إيران حول سبل إنهاء العنف فى العراق، ومدى استعداد إيران للتعاون فى هذا الصدد. وقد رد عليه السفير الإيرانى بأن إيران لا تنكر أن لديها نفوذ وقدرة سياسية فى العراق، وأن هذا النفوذ ناتج عن وجود العتبات الشيعية المقدسة فى العراق، وتقدير العراقيين وخاصة الشيعة واحترامهم للمواقف الإيرانية، وهو ما دعم هذا النفوذ وعمقه، وقد أصبح لهذا النفوذ اليوم أهمية دولية، خاصة مع التقارب الكبير بين الحكومتين العراقية والإيرانية، وربما أدرك جواد ظريف أن الهدف من كلام جيمس بيكر هو أن تحصل الولايات المتحدة على مساعدة إيران مقابل تخفيف الضغط على الملف النووى الإيراني، فألمح إلى أن إيران قد اقترحت عدة مرات أن يستفيد الغرب من هذا النفوذ لتقليل العنف فى المنطقة وخاصة العراق بدلا من الصدام مع إيران، لكن الولايات المتحدة رفضت العرض الإيراني، بل إنها لم تعط تأكيدات لضمان الأمن من أجل بقاء النظام الحاكم فى إيران. وقد ألمح غلام حسين إلهام المتحدث الرسمى لإيران إلى إمكانية قيام مباحثات بين الولايات المتحدة وإيران حول العراق، مطالباً الولايات المتحدة بتعديل سياستها فى المنطقة. كما أشار على لاريجانى أمين المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى إلى مساعدة إيران لقوات التحالف فى أفغانستان، واستعداد إيران للاستجابة للطلب البريطانى فى هذا الشأن، مما يشير إلى إمكانية تكرار ذلك فى العراق.

ويعتقد المحللون الإيرانيون أن تعيين وزير دفاع أمريكى جديد يتبنى فكرة الاستفادة من إيران فى إقرار الأمن والاستقرار فى العراق سوف يؤدى إلى تقدم فى مجال التعاون بين البلدين، حيث تشعر الولايات المتحدة أن العراق تحولت إلى مستنقع وأنه ينبغى الخروج منه، مع إشارة الرئيس بوش إلى أن العراق لن يصبح فيتنام أخرى، إضافة إلى أن حليفين دائمين لواشنطن وهما بريطانيا واستراليا يلحان عليها الاستفادة بالمساعدة الإيرانية، فضلا عن أن العراقيين أنفسهم يدعون إيران إلى التباحث مع واشنطن حول مستقبل العراق.

وقد أشارت الصحف الإيرانية إلى نوع المساعدة التى يمكن أن تقدمها إيران للولايات المتحدة فى العراق، وذكرت أن هناك عددا من القوميات المذهبية والعرقية فى العراق التى لها صلة طيبة بإيران، ويمكن لإيران أن تستثمر هذه الصلات فى التوسط لوقف التوتر السياسى والعنف، كما تستطيع إيران أن تتعامل مع المتطرفين الشيعة وتعمل على اقترابهم من الحكومة المركزية، ولاشك أن اقتراب الجماعات من بعضها يساعد على تقليل مجال الأعمال العنيفة فى العراق، كما تستطيع إيران من خلال علاقاتها الطيبة بسوريا أن تتعاونا فى إنهاء العنف فى العراق، من خلال الرقابة الشديدة على الحدود مع العراق وكشف الجماعات الوفية لحزب البعث والرئيس السابق صدام حسين. وتؤكد الصحف الإيرانية أن من واجب إيران أن تقف إلى جانب العراق فى هذه الظروف وتمنع من تدهور الأوضاع، وتسبب الإرهاب الذى هو بالقطع إرهاب يأتى من الخارج فى ارتفاع عدد القتلى من الشيعة فى الصدامات اليومية، وأن التباحث مع الولايات المتحدة ليس مساعدة للأمريكيين بل هو مساعدة الشيعة العراقيين، وإخراج العراق من محنته، لأن الهدف الإيرانى واضح وهو السعى لإقرار عراق إسلامى وحر، مع حصول كافة الطوائف العرقية والمذهبية على حقوقها المشروعة، وقيام حكومة قوية تمثل الشعب وتقوم على خدمته، ولا تقوم على خدمة الولايات المتحدة وحلفائها، وهو ما يجعل التعاون الإيرانى هدفا مقدسا وواجبا ضروريا على إيران أن تسعى لتحقيقه مع التنبه إلى أن الولايات المتحدة ستحاول جر إيران إلى هذا المستنقع، كما لا ينبغى أن تصبح هدفا للقاعدة، وهى ليست هدفا لها حاليا، وهو ما يمكن أن يكون على

لائحة الأهداف الأمريكية من التباحث مع إيران.

وتؤكد الصحف الإيرانية أن سقوط صدام قد ساعد على ارتفاع نجم الشيعة فى العراق والمنطقة، ورغم أن الغرب والولايات المتحدة الأمريكية قد ساعدا فى ذلك من أجل توازن القوى فى المنطقة، وإيجاد صراع بين السنة والشيعة على زعامة المنطقة، إلا أن الولايات المتحدة قد شعرت بقلق شديد تجاه النفوذ المتنامى للشيعة، مما يجعلها أمام خيارين إما التعاون مع الشيعة عبر إيران من أجل تحقيق أهدافها، وإما حصار إيران لتقليل دور الشيعة وخفض نفوذهم، وقد ظهر دور إيران بوضوح فى العراق منذ عام ٢٠٠٣، حيث كانت أول دولة تجرى مباحثات رسمية مع مجلس الحكم العراقي، وتقدم له دعما ماليا واعتمادات واقتراحات بالمساهمة فى تعمير البلاد بدءا بنظام الكهرباء والطاقة، كما قام إبراهيم جعفرى رئيس الوزراء العراقى السابق فى أبريل ٢٠٠٥ بزيارة إيران على رأس وفد رفيع المستوى استهدفت التعاون الأمني، والحصول على مساعدة تقدر بمليار دولار، فضلا عن اتفاقيات لتصدير الكهرباء إلى العراق، وتكرير النفط الخام العراقى فى إيران. فإذا أضفنا التأثير غير الرسمى الإيرانى فى العراق خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث أقامت إيران شبكة من الحلفاء العراقيين من الإعلاميين والعسكريين والجماعات المختلفة والسياسيين فى مختلف الأحزاب الشيعية العراقية. فضلا عن القادة والزعماء فى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة ممن كانوا لاجئين سابقين فى إيران فى عهد صدام حسين، وجيش بدر الذى تدرب على يد حراس الثورة الإسلامية، وتحسن العلاقات مع مقتدى الصدر وتياره، وقيام آية الله تسخيرى أمين المجمع العالمى لآل البيت بدعم نفوذ المجمع فى العراق خلال عام ٢٠٠٤، بما قام به من مساعدات علاجية للعراقيين، ودعم المرافق الصحية، فضلا عن العلاقات الثقافية والتجارية بما يقدر بعشرات الملايين من الدولارات، وساعد تردد الإيرانيين بكثرة على العراق وقيامهم بالزيارة للعتبات المقدسة وإنفاقهم الكبير خلال هذه الزيارة، إلى إيجاد صلات شعبية يستثمرها القادة الإيرانيون. ولقد تأكدت الولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تستطيع أن تحدث شرخا فى العلاقات الشيعية أو بين الزعماء الشيعة فى العراق وإيران، أو بين الطوائف والمؤسسات الشيعية.

وتبقى نقطة جوهرية تتعلق بصلات الديمقراطيين الأمريكيين بمجموعة أصحاب المصالح، الذين يؤثرون بشكل كبير فى السياسة الخارجية الأمريكية، حيث ستكون نظرتهم إلى موقع إيران من المصالح الأمريكية خاصة فى منطقة الشرق الأوسط، بل وداخل إيران نفسها، وكيفية الحصول على هذه المصالح بنفقات أقل، ميزان التحول الأمريكى تجاه إيران.

انتخابات مجلس الخبراء (ملف خاص)

شهدت الساحة الداخلية الإيرانية فى الفترة الأخيرة تفاعلات سياسية مكثفة، استعدادا لانتخابات الجولة الرابعة لمجلس خبراء القيادة، وهو الهيئة المنوط بها تعيين وعزل المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، ويتكون من ٨٦ عضوا ينتخبون كل ثمانية أعوام من خلال الاقتراع العام، والتى أجريت فى ١٥ ديسمبر الحالى بالتزامن مع انتخابات مجالس الشورى المحلية (البلديات)، والانتخابات التكميلية لمجلس الشورى الإسلامى (البرلمان) فى دوائر طهران والأهواز وبم.

هذا الاستعداد المكثف للقوى السياسية الإيرانية، بأطيافها المختلفة الإصلاحية والمحافظة، يمثل أحد أهم التداعيات التى أفرزها الفوز الكاسح الذى حققه مرشح الجناح الأصولى من التيار المحافظ الدكتور محمود أحمدى نجاد فى انتخابات الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية التى أجريت فى يونيو ٢٠٠٥، وهو الفوز الذى أحدث تحولا فى ميزان القوى داخل إيران. حيث يسعى الأصوليون إلى تحقيق هدفين: أولهما، استكمال سيطرتهم على مجمل مؤسسات صنع القرار فى الدولة من خلال ضمان تحقيق أغلبية مريحة فى مجلس الخبراء. وثانيهما، أن تكون لهم الكلمة الفصل فى تحديد هوية المرشد القادم للجمهورية الإسلامية. فيما يبغى الإصلاحيون تحقيق هدفين أيضا: أولهما، العودة مجددا إلى السلطة من خلال تحقيق نتيجة مميزة فى انتخابات الخبراء، وإعادة السيطرة على مجالس الشورى المحلية (البلديات) بعد أن فقدوها فى انتخابات فبراير ٢٠٠٣ . وثانيهما، قطع الطريق على الأصوليين لاستكمال سيطرتهم على مؤسسات صنع القرار.

وتكتسب انتخابات الجولة الرابعة لمجلس الخبراء أهمية خاصة تفوق، فى بعض الأحيان، أهمية الاستحقاقات الانتخابية الأخرى، وربما يكون لها دور فى تحديد هوية المرشد القادم لإيران، خصوصا فى ظل التهديدات الخارجية الموجهة لنظام الجمهورية الإسلامية الذى يعتبر المرشد الأعلى للجمهورية على خامنئى أهم رموزه. ولذا تفرد "مختارات إيرانية" ملفا خاصا لانتخابات الجولة الرابعة لمجلس الخبراء، يتناول تعريف المجلس، ووظيفته، والأسس الفقهية والدستورية التى يقوم عليها، والتفاعلات الجارية بين القوى السياسية الإيرانية وخصوصا التغير فى أنماط التحالفات والائتلافات فيما بينها سعيا للحصول على أكبر قدر من مقاعد المجلس الرابع.

١- الزعامة والخبراء

محمد جواد يارى ■ كيهان(الدنيا) ٢٠٠٦/١٠/١

تتأسس قضية الإمامة وولاية الفقيه فى الفكر السياسى الإسلامى على فرضية مفادها أن الحاكمية هى تبلور القيم السياسية الوطنية لكل من العقيدة والفكر بحيث يمكن أن تشق طريقها نحو التطور من خلال عملية تحول فكرى وعقائدي.وفى هذه العملية يتم الدفاع عن الإمامة وولاية الفقيه بوصفهما عنصرا إلهيا عن طريق الوفاق وتبادل الأفكار (البرلمان) واحترام فكر الآخر والرقابة المتبادلة. وهذا يعنى أن الحاكمية من وجهة النظر الإسلامية لم تنشأ من موقف طبقى أو من استبداد فردى أو طائفى وعلى هذا الأساس فإن ولاية الأمر والإمامة والزعامة المنتخبة من قبل الشعب بالانتخاب غير المباشر هى

التى تتولى مسئوليات الزعامة فالنظام الإسلامى لا يفصل بين الجانب الإلهى والجانب الشعبى للحكم لأن الشعب يقبل حاكمية قانون الله بإرادته ولذلك فإن الفكر السياسى الإسلامى يعد هذا النوع من الحكم مظهرا للإرادة الإلهية وفى الوقت نفسه تبلورا لإرادة الشعب.

وفى الفكر السياسى الإسلامى رغم أن هذه السلطة المطلقة فى العالم راجعة إلى الله إلا أن الحرية قد وهبت للإنسان مرتبطة بالمسئولية ولا يمكن لأى شخص أن يسلب الإنسان هذا الحق أو أن يستغله لخدمة فرد أو جماعة ويمكن للمجتمعات البشرية تطبيق هذا الحق عن طريق الميثاق الوطنى الذى يتفق عليه أفرادها. ورغم أن كون الحاكمية ذات بعدين وأنه لا يمكن فصل أى منهما عن الآخر، أى البعد الإلهى (الإمامة وولاية الفقيه) والبعد الشعبى (الرأى العام)، رغم أن ذلك يعتبر طرحا جديدا فى العالم المعاصر، إلا أنه من الوجهة العملية يمكن أن يكون نموذجا كاملا للصلة بين الإنسان والمجتمع وبين الله فيكون المجتمع السياسى الذى توجد فيه كل الاعتبارات الإلهية وإرادة الشعب فى الوقت نفسه.

إن ما يسمى بولاية الفقيه المطلقة ليس حكما استبدايا فرديا، بل إن كلمة مطلقة تعنى شامل أو عام وجميع النظم السياسية الحاكمة الحالية فى العالم تتمتع بالشمولية وعدم التجزئة وكما يقول علماء السياسة ليست هناك أزمة نفوذ فسلطة الحكومة نافذة وسارية فى كل مكان بالبلد.

أسلوب انتخاب الزعيم

هناك بعض الشبهات فيما يتعلق بأسلوب اختيار الزعيم فى الجمهورية الإسلامية وهى غير ذات سند علمى وسوف نتعرض لها وخاصة أن ولاية الفقيه هى العنصر الأساسى فى خطاب التوجه الإسلامى وحوله تدور كافة دلائل التنمية السياسية. ولذلك يجب أن يكون هذا العنصر الأساسى منطقيا ومبررا لكى يمكن الحديث عن العناصر الأخرى لأنه فى تحليل الخطاب، يجب لإثبات تفوق أى خطاب تقويض بناء كل خطاب منافس ولذا يجب العمل على تقوية العنصر المركزى للتوجه الإسلامى حتى يمكن أن يكون هناك ما يقال فى مقابل خطاب الليبرالية الديمقراطية الذى يمكن أن تعد الحرية عنصره المركزي.

فى نظام الجمهورية الإسلامية القائم على الفكر السياسى الإسلامى والديمقراطية لا يحق لأحد أن يدعى لنفسه الزعامة والحكم إلا إذا انتخب لهذا المسئولية انتخابا مباشرا أو غير مباشر ومن هنا فإن الشعب يحق له عزل الزعيم الموجود وتولية آخر بدلا منه إذا وجد أنه يفتقد الشروط اللازمة أو أنه ليس الشخص المناسب لهذا المنصب. فانتخاب الزعيم من أهم تجليات دور الشعب وقد نصت المادة ٧١ من الدستور على أن يكون انتخاب الزعيم على صورتين الأولى هى الانتخاب المباشر والثانية هى الانتخاب غير المباشر عن طريق مجلس الخبراء ويتم تطبيق الصورة الأولى عندما يكون الزعيم متمتعا بقبول الغالبية الحاسمة للشعب بشكل بارز وواضح وكان الإمام الخمينى مصداق هذا على نحو لا يقبل أى شك. ولكن الأسلوب الثانى أى الانتخاب غير المباشر وفيه يتم أولا انتخاب الخبراء عن طريق الاقتراع الشعبى ويكون هؤلاء الخبراء من الفقهاء الذين يتمتعون بالشروط اللازمة المتمثلة فى العلم والقبول الجماهيرى ثم يقوم هؤلاء الخبراء بانتخاب الزعيم. وفى هذا المجال يقوم الخبراء بإجراء المشاورات والمناقشات حول الفقهاء الذين تتحقق فيهم الشروط اللازمة ويكون معيارهم الأول هو الرؤية الفقهية والسياسية وفى حالة تساوى المرشحين فى هذا المعيار يتم تحكيم معايير أخرى مثل القبول الشعبى العام والشجاعة والعدالة والقدرة الادارية وقد جاء تفصيل هذه الشروط فى المادة ١٠٩ من الدستور.

يقوم اختيار الزعيم فى الجمهورة الإسلامية على الخبراء المنتخبين من قبل الشعب وبالطبع يعد اختيار الولى الفقيه من جانب الشعب اختياراً غير مباشر شرطاً وجودياً وليس شرطاً وجوبياً بمعنى أنه إذا كانت شرعية سلطة الفقيه نابعة من الشرع إلا أن تحققها الخارجي يقوم على انتخاب وتأييد الشعب. وبتعبير أوضح يرتبط إقرار السلطة وولاية الفقيه بأمرين: أمر ثبوتى هو النص وأمر إثباتى هو قبول الجماهير. والحاكم الإسلامى يجب أن يتمتع بخاصيتين هما الشرعية والقبول حتى يتمكن من حكم الشعب المسلم. وشرعية ولاية الفقيه وسلطته تنبع من ولاية التشريع الإلهى ولا يمكن لأى نوع من الولاية أن يكون شرعيا سوى بالانتساب إلى الإذن الإلهي.

يتولى مجلس الخبراء واجب تعريف الزعيم والإشراف على الأعمال بهدف استمرار تمتع الزعيم بالشروط اللازمة وهذا المجلس نفسه منتخب من قبل الشعب ولهذا فإن من الطبيعى أن تتوفر فى كل من الناخبين والمنتخبين الشروط المذكورة صراحة فى القانون وهى بالنسبة للأعضاء المنتخبين:

١- أن يكون العضو مشهورا بالتدين والثقة واللياقة الأخلاقية.

٢- أن يكون العضو على دراية تامة بأسس الاجتهاد مع وجود خبرات دراسية فى الحوزات العلمية الكبرى.

٣- أن يكون للعضو رؤية سياسية واجتماعية وإدراك للقضايا المعاصرة.
٤- أن يكون العضو مؤمناً بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
وبالنسبة للناخبين يجب أن تتوفر الشروط التالية:
١- أن يكون إيرانى الجنسية
٢- ألا يقل سنه عن ١٥ عاما.

والمحرومون من حق الانتخاب هم فئتان: فئة المحرومين من الحقوق الاجتماعية وفئة صغار السن وغير ذوى القوى العقلية الكاملة. ويتم انتخاب أعضاء مجلس الخبراء لمدة ثمانى سنوات عن طريق الاقتراع السرى المباشر.

مزايا النظام السياسى القائم على ولاية الفقيه:

١- إيجاد الانسجام والتوازن

فى النظم الديمقراطية يعد الفصل بين السلطات من أهم أسس الديمقراطية ولكننا على المستوى العملى لا نجد أى نظام يتحقق فيه الاستقلال الكامل للسلطات ودائما ما نجد السلطة مركزة فى إحدى السلطات التى تستطيع الضغط على السلطات الأخرى أو تسئ استغلالها كلما أرادت ولذلك نجد نوعاً من التنافر الداخلى فى النظم الديمقراطية. ولكن فى نظامنا لا نجد هذا التنافر رغم وجود مبدأ الفصل بين السلطات فولاية الفقيه تعمل كعامل تنسيق وتحقق الانسجام بين السلطات المختلفة وتمنع ظهور الأزمات بين السلطات بوصفها محورا لتحقيق النظام. فمن جهة يمكن أن يؤدى تعدد الأحزاب والمنافسة بينها إلى احتمال ظهور الخلافات والتناقضات وفى هذه الحالة يمكن أن يكون الولى الفقيه عاملا لتحقيق الوحدة والفصل بين كافة الأحزاب والجمعيات السياسية كما يمكن أن ييسر العمل السياسى ويمنع وقوع ظلم الأغلبية على الأقلية. وعلى هذا لا يتعارض نظام الولى الفقيه مع المجتمع المدنى والمؤسسات السياسية.

٢- ضمان التنفيذ الداخلي

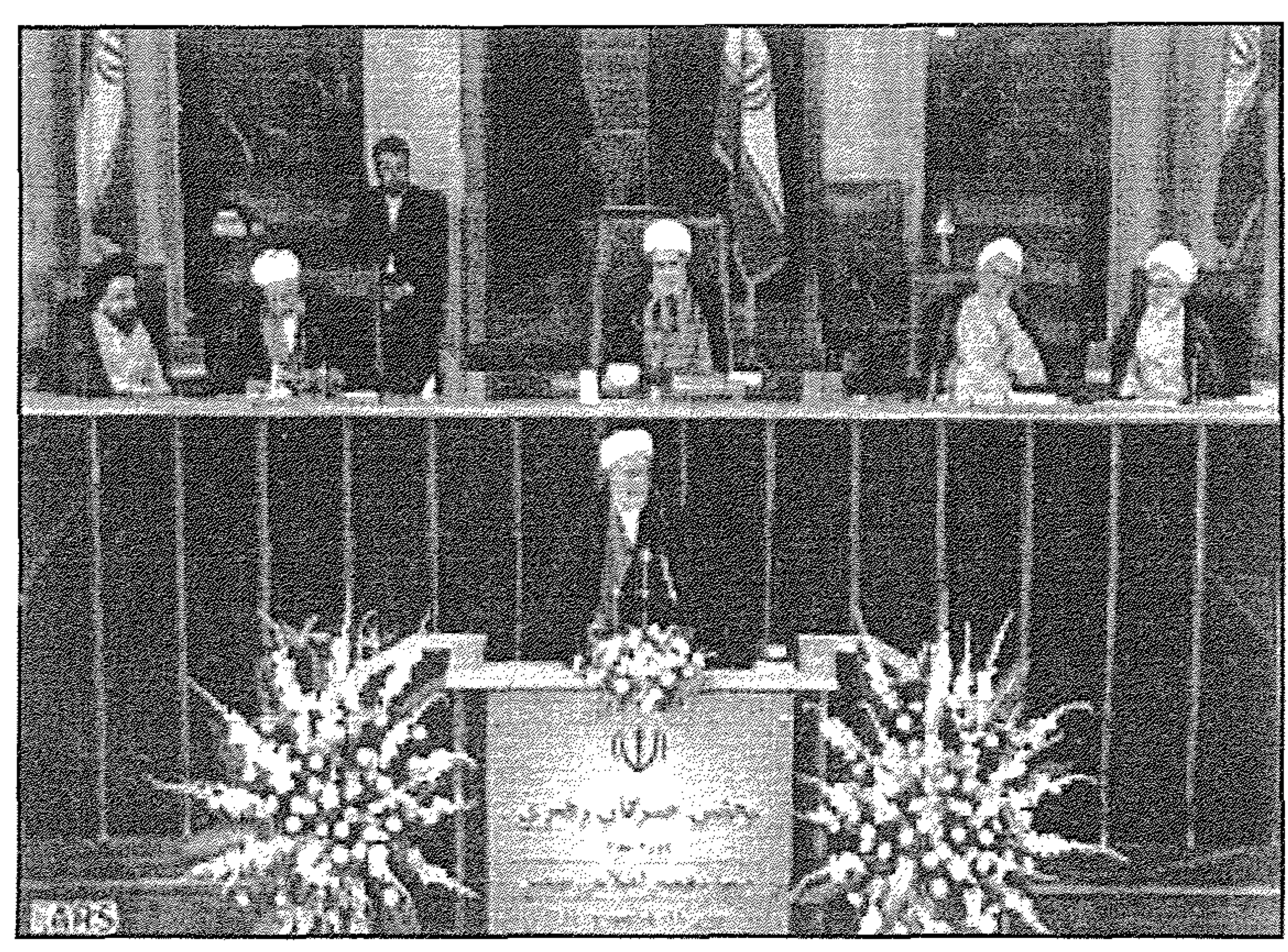
يعد هذا النظام من مزايا النظام السياسى للجمهورية الإسلامية فى إيران بالنسبة للزعيم وبالنسبة للشعب أيضا. وهذا الضمان التنفيذى الداخلى ينبع من الشعور بالواجب الشرعى نحو إطاعة قرارات الحكومة والنظام السياسى بينما فى معظم النظم يتم فرض القوانين على الشعوب قسرا. كما أن الزعيم يتمتع بأعلى مراتب التقوى والجدارة بوصفه خليفة للإمام المعصوم بحيث يعزل تلقائيا ودون حاجة لأى محاكمة إذا ارتكب أقل معصية أو إذا تعرضت عدالته لأى خدش وللخبراء الحق فى إعلان عدم صلاحية الزعيم فقط وليس عزله. ولا وجود لهذه الجدارة الأخلاقية فى أى نظام سياسى فى العالم وهو أمر واضح تماما فى العالم المعاصر. ومن جهة أخرى فإن تجربة النظام السياسى القائم على ولاية الفقيه لأول مرة بعد عصر الغيبة مع التمتع بمثل هذه السلطة فى إيران إنما تؤكد حقيقة تمتع الفقهاء حائزى الشروط اللازمة بالكفاءة والوعى فى إدارة النظام السياسى إلى جانب تمتعهم بالجدارة الأخلاقية وهو ما يعد ميزة ذهبية أخرى لهذا النظام السياسي. فتجربة الجمهورية الإسلامية فى إيران تدل على المجتمع المدنى لا يتعرض لأى تهديد فى ظل هذا النظام بل يزداد قوة.

٣- تحقق الديمقراطية الحقيقية

يعد نظام الولاية نوعاً خاصاً من الديمقراطية وسلطة الشعب فهو ينطوى على مزايا الديمقراطية ويفتقر إلى عيوبها. ففى النظم الديمقراطية يتمتع المواطنون بحق إبداء الرأى ويختارون القانون والأشخاص القائمين على تنفيذه وهو ما يتوفر فى نظام ولاية الفقيه. وأهم نقاط الضعف فى النظم الديمقراطية هى أن القوانين نابعة من الفكر البشرى الذى أحيانا ما يجيز أموراً تتعارض مع العقل السليم ولكن منشأ القوانين فى النظام الإسلامى ونظام الولاية هو الوحى الإلهى وبالتالى فإن الحاكم الإسلامى يدير البلاد دون عيوب وفى بعض الأحيان يكون الحاكم نفسه معصوما مثل الأئمة الأطهار وفى أحيان أخرى يكون عادلا مثل نوابهم. وفى النظم الديمقراطية يتمتع الأفراد بحرية كاذبة لأنها يتحرر من الأحكام والقيود الإلهية. بينما فى النظام الإسلامى تتلازم حرية الإنسان مع مسئوليته تجاه الله فالمسلم حر بالنسبة لغير الله وقد اكتسب حريته من عبوديته لله. ففى نظام ولاية الفقيه تتوفر الحرية الإنسانية وحقوق الإنسان وحق الانتخاب وغيرها من العناصر وفى الوقت نفسه يتحقق السمو الإنساني.

الصلاحيات والشروط الدقيقة:

تعد الشروط الموضوعة لتولى منصب الزعيم أكثر دقة وتناسباً مع مسئوليته الخطيرة بينما فى معظم الدول يمكن لأى فرد تولى السلطة بمجرد الحصول على أغلبية أصوات الناخبين دون النظر إلى صلاحيته العلمية والعملية، فلم ينص أى دستور آخر على شروط مثل العدالة والرؤية السياسية والاجتماعية والتقوى والكفاءة الإدارية وغيرها مما ينص عليه الدستور الإيراني. وفى كثير من البلاد يتمتع الملك أو الرئيس بصلاحية حل البرلمان ولكن الدستور الإيرانى لا يضع سلطة حل البرلمان فى يد الزعيم والمبدأ هو أن تعبير ولاية الفقيه المطلقة لا



يعنى إطلاق العنان للزعيم لاتخاذ أى نوع من القرارات بل إنه لا يعادل الحاكم فى نظرية الحكم المطلق. وبتعبير آخر الزعيم مساو لجميع المواطنين فى المسئولية تجاه القانون. ومن جهة أخرى لا يتم اختيار الزعيم فى إيران بالانتخاب المباشر مثل الرئيس الأمريكى أو الألمانى وإنما يتولى مجلس الخبراء مهمة انتخاب الزعيم وهذا المجلس يتمتع أعضاؤه بالشروط اللازمة مثل العلم والاجتهاد وغيرها ويشرف على عمل الزعيم ويعد أقل تجاوز من الزعيم موجبا لعزله خلافاً للدول الأخرى حيث يعد قيد "الفقيه" إطارا للولاية المطلقة ويجب على الزعيم العمل فى هذا الإطار الذى يتمثل فى القوانين الشرعية المقدسة ولا يمكنه اتخاذ أية خطوة بناءً على رأيه الشخصي. ومن هنا يتضح أن مجال صلاحيات رؤساء الجمهورية فى العديد من البلاد هو مجال واسع للغاية ومطلق ويمكنهم اتخاذ قرارات موسعة وفقا للمصلحة والمواقف الضرورية. ومن جهة أخرى يجب عند التقدم للترشيح لمنصب رئيس الجمهورية توفر الشروط اللازمة مثل الأمانة والتقوى والسوابق الحسنة والكفاءة الإدارية والحكمة وغيرها، وهى الشروط التى لا تؤخذ فى الاعتبار فى العديد من الدول الديمقراطية. وفيما يتعلق بصلاحيات الزعيم فهو كما سبق يعد محور الوحدة فى البلاد وهو يوجه البلاد إلى المسار الصحيح عندما تواجه البلاد أية أزمة وهذا الحق يماثل حق الفيتو الذى يتمتع به العديد من رؤساء وزعماء الدول الأخرى.

٢- الأسس الفقهية والقانونية لمجلس الخبراء

عفيفه عابدى ■ رسالت (الرسالة) ٢٠/١٠/٢٠٠٦

تعتبر "ولاية الفقيه"، بوصفها الركن الأساسى للحكومة الإسلامية- والتى تشكلت على أساس القرآن والسنة- المبدأ الفقهى الأساسى المشكل لمجلس الخبراء. والواقع أنه من اللازم - فى الفقه الشيعى- تشكيل حكومة إسلامية وتحديد حوزة ودائرة ولاية "الفقيه الولى" وهو الأمر الذى يستلزم- بناءاً على الأدلة القرآنية والسنة المطهرة- يستلزم وجود فقيهاً وزعيماً سياسياً واجتماعيا للحكومة الإسلامية وأن يكون فقيهاً جامعاً للشرائط. واحدة من أهم الأسس المشكلة- والقائم عليها- مجلس الخبراء تتمثل فى مهمة بحث "تعيين" مقام المرشد- الزعيم الولى الفقيه، مع ضرورة أن يكون متمتعاً بتوافر الأسس الفقهية والعقلية الأخرى فيه.

والواقع أن تطور العقيدة الخاصة باختيار الزعيم المرشد بدءاً من "حادثة السقيفة" ومروراً بالاستخلاف ومجلس الحل والعقد والبيعة و... وحتى الثورة العظيمة

للجمهورية الإسلامية الإيرانية والتى كانت نهاية لعصر المرجعية العامة، فإن تطوراً نوعياً حدث فى هذا الأمر تمثل فى وجود "هيكل آخر جديد" لمؤسسة دستورية جديدة صارت مختصة بالتعيين والرقابة هى مجلس الخبراء.

فى أول دستور وضع للجمهورية الإسلامية الإيرانية فى عام ١٩٨٠ كان الشرط الأول لتعيين المرشد هو مرجعيته لأغلبية الناس، فى حين تم النص أيضاً أن يتولى أمر الولاية مجلس من الفقهاء جامعى الشرائط فى حال عجز أو مرض المرشد وهذا الأمر نفسه صار سبباً لحدوث تغييرات فى شروط اختيار وتعيين المرشد عندما حدث تعديل دستورى فى عام ١٩٨٩ حيث تم إسناد مهمة اختيار المرشد إلى مجلس الخبراء المنتخب من جانب الناس مع إقرار مبدأ التفضيل بين من تتوافر فيهم شروط تولى هذا الأمر على أن يكون أساس هذا التفضيل هو وجود رؤية فقهية وسياسية أقوى.

الواقع أن فلسفة وجود مجلس الخبراء الذى تم تأسيسه فى عام ١٩٨٤ استناداً إلى المادة (١٠٧) من الدستور هو أن الخبراء يقومون باختيار واحداً من الفقهاء الذين تتوافر فيهم الشروط الواردة فى المادة(٥) من الدستور وكذلك المادة (١٠٩) شريطة أن يكون هذا الفقيه هو الأعلم بالأحكام والموضوعات الفقهية والقضايا السياسية والاجتماعية متمتعاً بالعدالة والتقوى وينصبونه زعيماً ومرشداً للجمهورية والثورة.

ثمة سبب آخر من الأسباب التى أدت إلى إحياء مجلس الخبراء حتى فى ظل حياة حضرة الإمام الخمينى- الزعيم الأصلى والمؤسس للثورة والجمهورية- وهو وجود المادة (١١١) التى تتحدث عن دور هذا المجلس فى حالة عجز المرشد أو فقده لأحد شروط القيادة أو الزعامة الأمر الذى يوجب عزله من جانب مجلس الخبراء. من هنا كان القول بأن لمجلس الخبراء أهمية مطلقة بخصوص التأكد الدائم والمستمر من ثبات ووجود وتحقق شروط الزعامة بشكل دائم فمن يتولى مسئولية الزعامة بما يضمن عدم انحرافه واستقامته.

ونظراً لأن شروط وأوصاف الزعيم وهى شروط علمية ومرجعية تحتاج دائماً- مع مرور الزمن - إلى المتابعة الدقيقة والتطور وفقاً لمقتضيات الزمان والمكان وذلك نظراً لأن فقدان شروط هذه المسئولية- المتابعة الدائمة لتوافر وتحقق شروط الزعامة- أو نسيانها يمكن أن يؤدى إلى خلق عوامل الضعف ومن ثم سقوط الجمهورية فى ظل السرعة الكبيرة فى التغييرات والتطورات والمتغيرات الزمانية والمكانية.

الحقيقة أن ثمة "مهمة- وظيفية" أخرى منوطة بمجلس الخبراء تتمثل فى "تقوية ودعم" المرشد. من هنا فإن الإمام الخمينى كان يتحدث عن مقام الزعامة والقيادة باعتباره مسئولية تقع دائماً على رأس جميع المسئوليات الأخرى.

ثمة انتقاد يوجه إلى عملية اختيار المرشد وهو أنها تعد عملية ديمقراطية من الطبقة الثانية. مرجع ذلك يتمثل فى أن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية ينص فى مادته (١٠٧) على أن مجلس الخبراء هو المسئول عن اختيار وتعيين مقام المرشد وهو ما يعنى أن المرشد لا يصبح منتخباً من الشعب بشكل مباشر.

فى حين أن جميع المناصب الأخرى فى الدولة تتم عن طريق الانتخاب المباشر من جانب الشعب وهو ما تنص عليه المادة (٦٢) من الدستور بشأن انتخاب الأعضاء النواب لمجلس الشورى الإسلامى والمادة (١٠٠) من الدستور الخاصة بشأن انتخاب أعضاء مجالس الشورى فى القرية والناحية والمدينة والقضاء والمحافظة والمادة (١١٤) الخاصة بتعيين رئيس الجمهورية عن طريق الانتخاب المباشر بل وكذلك المادة (١٠٣) الخاصة بانتخاب المحافظين وحكام المدن الكبرى وعواصم المحافظات.

الواقع أن نظام الجمهورية الإسلامية استناداً لما سبق ذكره يعطى "مقام المرشد" مكانة خاصة ومن ثم مسئوليات خاصة ونظراً لأن هذا "المرشد" يجب أن يكون متمتعاً بطبيعة فقهية تميزه وأن هذه الطبيعة تخلق له مكانة فقهية مرجعية يكتسبها مباشرة من خلال تقليد الناس له ونظراً لأن منصب المرشد يعد من فئة المناصب التى تحتاج إلى صلاحيات ومواصفات فنية وسياسية واجتماعية معقدة فإن اختيار مثل هؤلاء الأشخاص يعد أمراً خارجاً عن قدرة العوام من الناس ومن هنا فإن مجلس الخبراء فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية بوصفه مؤسسة منتخبة من جانب الشعب بشكل مباشر وبوصفه مؤسسة رقابية على أهم أسس وأركان الحكومة الإسلامية أى "مقام المرشد" فإنه يتولى هذه المسئولية فى تأكيد نوعى على إعمال المبدأ الخاص بسيادة الحاكمية الشعبية فى الحكومة الإسلامية حيث يقوم المجلس بأسرع وقت ممكن باختيار وتعيين أعلى رتبة أو منصب فى الحكومة الإسلامية "أى مقام المرشد" بديمقراطية مباشرة حرة ثم تقديمه للشعب بعد ذلك مباشرة.

٣- نظرة على آلية البت فى صلاحية مرشحى مجلس الخبراء

■ رسالت (الرسالة) ٢٦/١٠/٢٠٠٦

أى صفة قانونية تلك التى يمكن إطلاقها على قيام البعض من فقهاء مجلس صيانة الدستور بقيد أسمائهم للترشيح فى انتخابات مجلس الخبراء فى الوقت نفسه الذى يتمتعون فيه بحكم موقعهم كفقهاء فى مجلس صيانة الدستور بدور ووظيفة رقابية على الانتخابات نفسها؟

نظن أن الأفضل هنا أن نغير من صيغة وطريقة طرح السؤال السابق بالصيغة التالية: هل يمكن فى الانتخابات أو المسابقات التنافسية- مثل المسابقات الرياضية- هل يمكن للمراقبين والحكام والمخططين وصناع القرار فيما يخص صلاحية وأهلية المرشحين أو عدم أهليتهم، هل يمكن لهم المشاركة بأشخاصهم كمرشحين فى الانتخابات ذاتها؟ وهل وجود مثل هذا الأمر خطأ أم صواب؟ مما لا شك فيه أنه لا يجب علينا أن نسعى للإجابة على السؤال السابق وننحى جانباً عملية البحث عن إجابة وندخل مباشرة إلى أصل القضية التى نود الحديث بشأنها.

مع الوضع فى الاعتبار المادة (١٠٨) من الدستور التى أسندت مهمة وضع اللوائح والقوانين الخاصة بمجلس الخبراء إلى الخبراء أنفسهم فإن ذلك قد يدفع إلى القول بأن ما تنص عليه تلك المادة إنما هو عمل "نظرى" بحت .. لماذا؟ لأن القانون الخاص بالرقابة على الانتخابات الخاصة بمجلس الخبراء قد وضع لأول مرة فى عام ١٣٥٩ هـ . ش/ ١٩٨١م وتم التصديق عليه بواسطة الإمام الخمينى. ثم فى شهر تير سنة ١٣٦٩ هـ. ش/ يوليو ١٩٩١ أجريت تعديلات على هذا القانون. لكن نظراً لأن المقررات والقوانين الخاصة بمجلس الخبراء لم تنشر للناس حتى الآن فإننى - بلا شك - سأكون كغيرى أى جاهلا وغير ملم بطبيعة وبحقيقة تلك التغييرات. لكن الشئ المسلم به هو أنه قد حدث فى تغييرات عام ١٣٦٩ هـ . ش / ١٩٩١م أن عدلت المادة (٢) من القانون المذكور وأنها دخلت حيز التنفيذ.

وقد ورد فى التوضيح الخاص بالمادة (٢) أن "تحديد من تحقق فيه الشروط (المقصود هنا الشروط العلمية) يتم من خلال شهادة تزكية معتمدة من ثلاثة من الأساتذة المعروفين الذين يدرسون فى المرحلة النهائية (مرحلة التخرج) فى الحوزات العلمية الدينية".

فى عام ١٩٩١ أجرى التعديل على التوضيح السابق ذكره ليسند تلك المهمة إلى فقهاء مجلس صيانة الدستور باعتبارهم المسئولين عن التحقق والتثبت من صلاحية المتقدمين لانتخابات مجلس الخبراء.

ووفقاً للمادة (٢) من قانون انتخابات مجلس الخبراء فإنه يجب أن تتوافر الشروط التالية فى المتقدمين لانتخابات المجلس:

أ- الاشتهار بالتدين والثقة واللياقة والجدارة الأخلاقية.

ب- القدرة على الاجتهاد بما يحقق له القدرة على الاستنباط فى بعض القضايا الفقهية ومن ثم القدرة على اختيار وتحديد "ولى الفقيه" الذى تحقق فيه شروط ومواصفات الزعامة والقيادة.

ج- التمتع برؤية سياسية واجتماعية ومعرفة بقضايا العالم المعاصر.

د- أن يكون مؤمناً بنظام الجمهورية الإسلامية.

هـ- ألا تكون له أية سوابق سيئة سياسية واجتماعية.

وهنا فإنه بالنظر إلى البند / الشرط الثانى ومدى تحققه فى فقهاء مجلس صيانة الدستور فإننا نصبح بصدد إشكالات كبيرة. فعلى الرغم من أنهم يتمتعون بمكانة رسمية وقانونية إلا أن مسئولية أكبر وأثقل صارت مرتبطة بهم فيما يخص تشخيص وتحديد الولى الفقيه.

أولاً: حتى لو لم يشارك البعض من فقهاء مجلس صيانة الدستور فى الترشيح لانتخابات مجلس الخبراء فإننا سنصبح مواجهين وبصدد مواجهة منطقية أو فلسفية تتمثل فى أنه سيصبح من واجب هؤلاء الذين لم يترشحوا لانتخابات مجلس الخبراء البت فى أهلية وصلاحية زملائهم الفقهاء فى مجلس الخبراء لأن تشخيص الصلاحية العلمية للمترشحين لمجلس الخبراء هى عمل من اختصاصهم أنفسهم وهم الذين تم اختيارهم كفقهاء لمجلس الصيانة من جانب المرشد.

ثانياً: من ناحية أخرى فإن السوابق التاريخية تفيد أن قبول الترشيح الخاص ببعض المتقدمين للامتحان يجب أن يتم من جانب فقهاء مجلس صيانة الدستور. هنا نكون بصدد مفارقة مهمة تتمثل فى احتمالية أن تكون الرؤية العلمية والفقهية للممتحن مغايرة ومختلفة مع رؤية المتحنين مثل تأثير الحكم العام المؤخر على الحكم

الخاص المقدم أو التباين بشان دلالة بعض المفاهيم فإن ذلك من شأنه أن يخلق إشكالية نوعية تجعلنا نطرح السؤال التالى: فى مثل هذه الحالة أى رأى يكون هو الصواب؟ هي رأى الممتَحِن أم رأى الممتَحَن؟

وهنا أيضاً فإننا سنصبح أمام جدلية أكثر تعقيداً خاصة مع الوضع فى الاعتبار أنه لا يوجد أحد معصوم سوى الـ (١٤) معصوماً عليهم السلام ومن ثم نكون بصدد مبدأ عام قائم لدينا جميعاً وهو أن معظمنا يميل إلى -أو يُصاب بـ - بعض التقلبات والتغييرات الروحية والمزاجية المختلفة ومن ثم يصبح الأمر مرهوناً بمدى معرفة كل منا لحقيقة ضميره أم أنه لا يدركها جيداً، ولما كنا - فى معظمنا- نميل إلى الاعتقاد فى آرائنا وأفكارنا وإلى ترجيح تلك الأفكار والاعتقادات على ما سواها فإننا نكون أمام احتمال كبير جداً للتأثر بتلك العوامل والتقلبات ومن هنا يمكننا القول وبحجة كبيرة أن رقابة فقهاء مجلس صيانة الدستور على انتخابات مجلس الخبراء مخالفة للمنطق ومثيرة للشبهة وموضع تساؤل وشك.

المؤكد أنه لا يمكن لأى مرجع أو مؤسسة أخرى أن يتولى مهمة ومسئولية "الرقابة" على "الرقابة" القائمة بشأن مجلس الخبراء !! اللهم إلا إذا حدث تغيير أو إصلاح أو تعديل للمادة (١٠٨) من الدستور. لكن المشكلة تكمن فى أن تغيير مرجعية الرقابة أو تغيير المرجعية المسئولة عن التحقق من ثبوت الصلاحية العلمية يعد عملاً من صميم اختصاصات مجلس الخبراء ذاته !! فهو وحده القادر على تغيير القانون القائم الآن والذى لا نعرف عنه إلا قشوراً. على أية حال إن النقائص أو نقاط الضعف الموجودة فى انتخابات مجلس الخبراء والقانون ذى الصلة فإن تحديد الأشخاص المنوط بهم إبداء الرأى فى هذه النقاط الضعيفة إنما هو عمل يدخل فى صلاحية الأشخاص القادرين على تحديد أو ترشيح العضوية لهذا المجلس.

ثانياً: إذا ما كان التفسير - الإلحاق- الثالث الخاص بالمادة (٢) من قانون انتخابات مجلس الخبراء لازال معمولاً به وقائماً بذاته دون تغيير والذى لا يعتبر أن الميلاد فى الدائرة الانتخابية أو الإقامة فيها شرطاً أساسياً للترشيح؟ فإننا سنصبح مجبرين على طرح السؤال التالى: كيف يمكن التغاضى عن محل الميلاد أو محل الإقامة كشرط إلزامى؟ وكيف يمكن اعتبار هذا الأمر عملاً لا تأثير له؟ على سبيل المثال كيف يُتوقع أن يقوم شخص مولود فى "سرخس"]شمال شرق إيران[ومقيماً فى تبريز أن يترشح عن دائرة تشابهار أو دائرة ميناء جواتر؟]منطقتان تقعان على المحيط الهندى جنوب شرق إيران[كيف سيصوت أهالى تشابهار أو جوانز إلى ذلك القادم من تبريز؟

هنا يلزم التنويه إلى أن نشر الأخبار الخاصة بإنعقاد جلسات وطريقة وحقيقة المناقشات وتغيير القانون والضوابط الخاصة بمجلس الخبراء، تعد عملية محدودة للغاية لدرجة أننى لا أعرف حتى الآن ماذا كان الإلحاق الثالث الخاص بالبند / ٢ من قانون مجلس الخبراء لازال سارياً حتى الآن أم لا؟

من هنا يكون لازماً أن نطرح أو نقدم الاقتراح التالى وهو ضرورة تقديم الأشخاص الذين يمكنهم فعلاً أن يصبحوا أعضاءً فى مجلس الخبراء، فى وسائل الإعلام بشكل منتظم ودائم كما لابد من إدراج قرارات المجلس وجلساته النقاشية المطولة فى النشرات الإخبارية بل وفى وسائل الإعلام كلها.

ذلك أن طول المدة الخاصة بدورة مجلس الخبراء والتى تبلغ ثمان سنوات تجعل التناول والحديث الإعلامى عن هذا المجلس يحدث تقريباً مرة كل ثمان سنوات، حيث تتم دعوة الناس عبر آليات دعائية وإعلامية مختلفة إلى المشاركة فى هذه الانتخابات وهو عمر قاصر وغير وافٍ بكل تأكيد ومن ثم لا يمكن الظن أو الاعتقاد أن عدداً كبيراً من الناخبين ستصبح لديهم المعرفة التامة والكاملة والشخصية بالمترشحين ومن ثم لا يمكن الظن أو القول بارتفاع نسبة من سيرغبون للذهاب للإدلاء بأصواتهم، فيا ليت يصبح هناك مخرجاً لهذا الأمر من جانب أولى الأمر والحل والعقد.

٤- آليات مجلس الخبراء لا تتناسب وروح الدستور

■ أمروز (اليوم) ٢٠٠٦/١٠/١٩

أكد الرئيس السابق محمد خاتمى على الدور الحيوى الذى يقوم به مجلس خبراء الزعامة، وقال خلال لقائه مع مديرى وكالة أنباء العمل الإيرانية (ايلنا): إن مجلس خبراء الزعامة هو دعامة الديمقراطية فى النظام الجمهورى الإسلامى، حيث أن لديه القدرة على إبراز مدى ديمقراطية نظامنا الدينى. وطبقاً لما ورد فى وكالة أنباء أيلنا، وفى إطار تأكيده على أهمية مجلس خبراء الزعامة، قال خاتمى: لقد أدليت بحديث مفصل عام ١٩٩٨، خلال الدورة الثالثة من انتخابات مجلس خبراء الزعامة وأنا مؤمن بأن العديد من أصدقائنا، لم يدركوا فحوى هذا الحديث، حيث أعلنت فى ذلك الوقت أننا نخوض تجربة ديمقراطية فى دولتنا، تلك الديمقراطية هى مثار فخرنا وعلينا أن نستمر فى دعمها والتركز على ولاية الفقيه فى إطار الدستور وليس خارج الدستور، يأتى فى إطار هذا الدعم".

من ناحية أخرى، استعرض خاتمى الهدف من تأسيس الثورة الإسلامية، ونشر الديمقراطية الفاعلة جنباً إلى جنب مع الدين، قائلاً: فى الأنظمة الديمقراطية من المهم أن ندرك، السبل التى تتأتى منها السيادة فالشعب هو منبع السلطة فى هذه الأنظمة، بما يعنى أن الشعب يتولى السلطة ويتبادلها، ويمارس رقابته عليها أيضاً. لقد تم ذكر ولاية الفقيه فى الدستور، وبناءً عليه فإن الاعتراض على ولاية الفقيه، هو اختلاف على أصل النظام، وبناءً عليه فإن التعاطى مع مبدأ ولاية الفقيه يجب أن يكون من خلال الدستور وليس بعيداً عنه. لذلك أعتقد أننا لا نتناول بالبحث ولاية الفقيه من منطلق حجم السلطات المخولة للولى الفقيه من الناحية الدستورية، فالأنظمة الديمقراطية لا تولى أهمية قصوى إلى حجم ومقدار السلطات، وإنما يشغلها مدى مسئولية صاحب هذه السلطات أمام المؤسسات والتنظيمات الداخلية، وذلك على عكس الأنظمة الديكتاتورية، حيث لا توجد بها آلية شعبية مناسبة لطرح الأسئلة واستجواب الحاكم.

فى جمهوريتنا الإسلامية، قبلنا بمبدأ ولاية الفقية وكان مجلس خبراء الزعامة هو آلية اعتماده لأن ممثليه ممن اختارهم الشعب، هم من لهم خاصية الرقابة على الولى الفقيه، ومن ثم فالشعب صاحب الكلمة الأولى والأخيرة.

يقول الإمام الخمينى: بما أن مجلس خبراء الزعامة، يختار الزعيم، والشعب هو من يحدد هوية أعضاء مجلس الخبراء ويقبل عضويتهم، فإن الشعب بذلك صاحب الرأى النافذ، مما يعنى أن وجود شخص مناسب متوافرة فيه شروط هذا المنصب، لن يكون له كلمة ولن يستطيع فرض رأيه على الشعب إذا ما فشل فى الحصول على أصوات الشعب، حتى الإمام (على) ذاته، لم يفرض نفسه على الشعب بالرغم من أن الله تعالى قد نصبه، لذلك فمجلس الخبراء هو دعامة الديمقراطية داخل النظام. . . وفى إطار انتقاده لتركيبة مجلس خبراء الزعامة، قال خاتمى: هل من سبيل لتواجد أفضل خبرات اقتصادية، وأفضل خبرات إدارية، وأفضل أشخاص دراية بالشئون الدولية، فى مجلس الخبراء؟

بالقطع لا، وذلك بسبب فقهية الزعيم ووجود حد نصاب من علماء الدين بالمجلس، فهل رجال الدين وحدهم لديهم القدرة على تسيير شئون الزعامة؟

أنا بالطبع لا أريد التعدى على نظام الجمهورية الإسلامية والله أعلم بأننى أريد الدفاع عن نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبما أننى أؤمن بالجمهورية الإسلامية، فإننى أنتقد بعض الأساليب، وهذا لا يعنى ظاهرة سيئة فمجلس خبراء الزعامة، هو المؤسسة الوحيدة التى تقوم بتنصيب الزعيم، ولديها القدرة على استجوابه بل ولها الحق أيضاً فى عزله، وبناءً عليه فإن مجلس الخبراء هو المؤسسة ذات العبء الأكبر فى النظام. لكن آليات مجلس الخبراء لا تتناسب مع روح الدستور وروح الثورة الإسلامية، ونحن فى الوقت ذاته أصحاب نظرة واقعية وقد أعلنا أننا سنشارك فى انتخابات الدورة الرابعة للمجلس، بشرط توفير الحد الأدنى من الإمكانيات لترشيحنا. لماذا تخضع المؤسسات والإمكانيات القومية، لسلطة تيار فكرى واحد، به تتنامى الأفكار المتشددة؟ فى حين أن الزعيم منح المؤسسات التى تحت إشرافه السلطة للرقابة والبحث فى الصلاحيات. من يؤمنون بأن آراء الشعب ليست موضع اعتماد وثقة، ويتحدثون بما يخالف تصريحات الإمام الراحل (الخمينى)، يرون أن الانتخابات، ضرورة شكلية، ليست لها قيمة، فهل هذه

التوجهات المنحرفة التى تصدر للأسف من قوى متدينة ولكنها وضيعة، لن تؤدى إلى نتائج غير مرضية لله تعالى؟ إنها الخطر المحدق الذى يتردد على الدوام فى آذان الشباب المسلم".

ثم أشار خاتمى إلى حديثه خلال احتفالات ليلة القدر فى مرقد الإمام الخمينى قائلاً: "لقد أعلنت حينها، أن عدداً بسيطاً من السادة، هم من يتبنى توصيات الإمام الراحل بشأن الانتخابات، ويساهمون فى تنفيذها على النحو الأكمل. وبناءً عليه نجد أن مجلس صيانة الدستور لم يلتزم بقانون الزعامة، أثناء انتخابات مجلس الشورى السابع".

وأشار خاتمى أيضاً إلى الرسالة المشتركة التى قام بتوجيهها هو ومهدى كروبى، رئيس مجلس الشورى السادس، إلى المرشد بشأن رفض صلاحيات الكثيرين فى انتخابات مجلس الشورى السابع، قائلاً: "إن المرشد فى رده على رسالتنا وجه خطاب صريح إلى أمين عام مجلس صيانة الدستور، مفاده أن التزموا بآراء السيد خاتمى والسيد كروبى، لكن للأسف لاحظت أنهم لم يلتزموا حتى بأوامر الزعيم، وفى تصريح لى أعلنت أنهم لا يقبلون بمبدأ ولاية الفقيه، لأنهم لا يعملون وفقاً لأوامر الولى الفقيه الصريحة".

وأكد السيد خاتمى أن المجمع من الناحية العقدية والفكرية معنى بالمشاركة فى الانتخابات، قائلاً: "إن أحد المشكلات الرئيسية التى تواجهنا هى عدم رغبة بعض الأصدقاء فى التواجد داخل أروقة مجلس خبراء الزعامة، حتى أن العديد من أصدقائنا ليس لديهم النية للترشيح فى الانتخابات ومن ثم يجب أن نتسائل، لماذا وأى شخص يساهم فى تهيئة مناخ، لا يتيح للأفاضل والعظماء الترشيح فى الانتخابات؟ ولصالح أى شخص، وأى جهة، تفاهم أزمة الملف النووى الإيرانى؟ لقد تمكنت خلال فترة رئاستى من تحريك الملف النووى الإيرانى، وإعادة تنظيمه على مدى خمسة سنوات بالتعاون مع مرشد الثورة. لكننا نرى أن البعض يتحدث بشأن النجاحات الأخيرة، كما لو كانت نتاج العام الماضى فقط، فى حين وصفت الحكومة السابقة حجر أساس هذه النجاحات، وكانت مرتكزة فى المقام الأول، على طمأنة المجتمع الدولى حيال النشاطات النووية الإيرانية، فى إطار حق الشعب الإيرانى فى امتلاك طاقة نووية، بعيداً عن أى سلاح نووى، وأنا أؤمن بأن التباحث هو الطريق الأمثل، وأن الإطاحة بناء تدمير نظامنا، تقتضى، تأزيم الملف النووى الإيرانى، لذلك ركزت زيارتى للولايات المتحدة الأمريكية، مؤخراً على إقناع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، بحاجة الشعب الإيرانى للطاقة النووية، كبديل لطاقة البترول التى تتناقص يومياً. وقد أعلنتها لهم صراحة أننا غير مطمئنين لهم، لأنهم لا يمدوننا بما نحتاج من طائرات وفى ظل تزايد حوادث الطائرات ببلادنا، هم يقاطعوننا فإذا كانت مخاوفهم تنصب على إنتاج القنبلة النووية، فإننا لن نقوم بتلك الخطوة المخالفة للأعراف الدولية وليس لدينا استراتيجية الخوض فى هذا الطريق، بما أننا عضو فى معاهدة حظر الانتشار النووى".

٥- تحرك اليمين واليسار فى انتخابات مجلس الخبراء

■ مردى سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٦/١٠/١٨

انتهى تسجيل أسماء المرشحين لخوض انتخابات الدورة الرابعة من مجلس خبراء الزعامة، وفى الوقت الراهن يتم تسجيل أسماء المرشحين لخوض انتخابات المجالس المحلية، لذلك يمكن القول أن الصورة النهائية للجماعات والأحزاب السياسية المشاركة فى الانتخابات قد اكتملت خاصة فيما يتعلق بانتخابات مجلس الخبراء.

وفى هذا الإطار أكد أعضاء الجمعية الإسلامية فى اجتماعهم الأخير، على مشاركتهم الفعالة جنباً إلى جنب مع الجماعات الأصولية فى انتخابات الخبراء والانتخابات المحلية القادمة. وخلال هذا الاجتماع الذى حضره عدد كبير من النواب، قرر ممثلو كل منطقة انتخابية، التباحث والنقاش حول النشاطات الانتخابية المزمع إجراؤها، ومن ثم دعوة الشعب للمشاركة فى هذه الانتخابات.

أما على صعيد جمعية المحامين ومدرسى حوزة قم العلمية فقد تناول اجتماعهم الأخير، حول انتخابات مجلس الخبراء قضية احتمال رفض صلاحيات العديد من المرشحين بصورة غير قانونية، ومن ثم فقد ركز اجتماعهم على تسجيل أسماء مرشحين متوافرة لديهم صلاحية الترشيح. وحول مشاركة هاشمى رفسنجانى فى الانتخابات ضمن قائمة جمعية المحامين ومدرسى

حوزة قم العلمية، تحدث حسين موسوى التبريزى إلى وكالة أنباء ايسنا قائلاً: إذا قرر هاشمى رفسنجانى المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء فإنه بالتأكيد سيدخل ضمن قائمة الجمعيتين.

من ناحية أخرى تحدث محمد حسين شاه ويسى إلى وكالة أنباء ايسنا قائلاً: "إن جمعية التعميريين الشباب بصدد التباحث والتشاور والتباحث مع شتى الجماعات الأصولية، وقد تقرر الالتقاء قريباً مع جمعية المهندسين الإسلامية، وجمعية المؤتلفة، وجمعية ايثاركران وسيتم التشاور أيضاً مع مراجع التقليد والعلماء العظام، لقد انتهينا من تسجيل وثيقة إنسانية ونحن بصدد العمل على تنفيذها".

يقول إسماعيل جرامى مقدم: "إن حزب الاعتماد الوطنى متشابه إلى حد كبير مع قائمة مجمع روحانيون ومشترك فى قائمة جمعية روحانيت فى بعض الأشخاص، ومع الأخذ فى الاعتبار حتمية ترشيح ٣١ شخص فى طهران، طبقاً للقانون الجديد، فإن الحزب يجرى مشاوراته مع جميع الجماعات، ولجميع التيارات السياسية، مرشحين فى قائمة حزب الاعتماد الوطنى وأنا أعتقد أن ٨٠٪ من قائمة الاعتماد الوطنى تتشابه مع قوائم الجماعات الإصلاحية".

من ناحية أخرى تحدث محمد عظيمى بشأن احتمال تواجد أعضاء فعليين بمجلس مدينة طهران ضمن قائمة مجالس جمعية وفاداران (الأوفياء)، قائلا: "إننا سندعم أعضاء فعليين فى المجالس المحلية ممن يؤمنون بثوابتنا المعلنة، ومن المعروف أن أعداداً منهم ضمن قوائم الأصوليين فى الانتخابات المحلية القادمة".

وقد أعلنت العلاقات العامة للجمعية الإسلامية للمهندسين أن التقائها وجمعية التعميريين الشباب، يأتى فى إطار تكوين ائتلاف حيث أوشك الأصوليون على التوصل إلى وحدة وقائمة مشتركة، وفى هذا الإطار تجرى الجمعية مشاورات مع الأحزاب الأخرى.

الاستفادة من الإمكانات الحكومية ممنوع فى الانتخابات، فى هذا الشأن تحدث الخبير فى الشئون السياسية اميرمجبيان إلى وكالة أنباء فارس، قائلاً: "إن تصريحات مرشد الثورة الأخيرة، التى أكد فيها على أهمية المرحلة الحساسة القادمة التى تمر بها إيران تعنى أنه من الضرورى دعم الحكومة التى وصلت إلى السلطة بناءاً على رأى الجماهير، وهذا الدعم لا ينفى توجيه النقد للحكومة، أو أن تهمل الحكومة رأى الخبراء والعلماء. وأنا أعتقد أن انحياز الحكومة لأى من الأحزاب خلال الانتخابات القادمة أو تمثيلها لأى من الأحزاب، يخرجها من نطاق ودائرة الحيادية. بوصف الحكومة جهة تنفيذية، تحافظ على شكل الانتخابات وحياديتها ارتباط المسئولين بالمراكز الانتخابية، تدمير للحكومة".

وأشار أمين عام حزب المؤتلفة الإسلامية محمد بنى حبيبى إلى قضية ارتباط المسئولين بالمراكز الانتخابية، معتبراً أنها بمثابة تدمير للحكومة قائلاً: "يجب على المسئولين ممن لهم نشاط انتخابى، أن يعلنوا عن موقفهم بصراحة ومن ثم الإطاحة بأى شبهة تقوم على استغلال الإمكانات الحكومية لصالح أفراد مقربين للحكومة فى الانتخابات القادمة. لأن استغلال الإمكانات الحكومية سواء بشكل مادى أو معنوى لصالح مرشح بعينه بمثابة مخالفة صريحة للقانون، وتخريب واضح للحكومة.

وفى موضع أخر، أشار أمين عام حزب المؤتلفة إلى قضية دعم وسائل الإعلام لأحد المرشحين معتبراً أنها، قضية منطقية؟ وإن كان ذلك لا يعنى تشويه صورة، أى مرشح أخر، أو الإساءة إليه، وفى هذا الإطار، حذر حبيبى وسائل الإعلام القومية من الانحياز لتيار سياسى أو شخصية سياسية بعينها من أجل الحفاظ على حيادية الانتخابات.

٦- الانتخابات والتوجهات

■ همبستكى (التضامن) ٢٠٠٦/١٠/١٥

خلال الجلسة المشتركة التى عقدت بين مجلس تنسيق جبهة الإصلاحات، والحركة الشعبية للإصلاحات بحضور عدد من أعضاء هذه الجبهات، أكد على محمد غريبانى عضو جبهة الإصلاحات أن أعضاء الحركة الشعبية للإصلاحات يتمنون الاستفادة من مرشحيهم فى القائمة النهائية للإصلاحيين، وهذا حق لهم، وكانت الحركة الشعبية للإصلاحات قد أعلنت خلال الأسبوع الماضى وبحضور عدد من الجماعات

التابعة لهم ومن بينهم جبهة تحكيم الديمقراطية برئاسة السيد مصطفى كواكبيان أن الحركة تتشكل من أربعين جماعة وحزب سياسى إصلاحى، ويجب الاستفادة من مرشحى الحركة فى قائمة الإصلاحيين النهائية.

وأكد غريبانى أن الأحزاب والجماعات أعضاء الحركة الشعبية للإصلاحات معترف بها من قبل الحكومة والدولة باعتبارها تيارات حزبية سياسية ولها مكانتها أيضاً بين الشعب وفى المجتمع. وإذا لم نعط لها الاهتمام المستمق فإن بلا شك ستكون التبعات ليست جيدة.

ولابد أن نؤكد على تعلم الدرس من الماضى واتخاذ الخبرة، وبدون ذلك فلن يحدث تقدم وستكون الخسارة من نصيبنا. وعلى هذه الجماعة الأخذ بعين الاعتبار كل الاقتراحات التى طرحتها أحزاب وجماعات الحركة، حتى تستطيع اختيار خمسة عشرة مرشحاً فى القائمة النهائية للإصلاحيين يمثلون كل الجبهة فى بلدية طهران.

ولازال غير معروفاً، معدل الصلاحية للأفراد المختارين ولكننا نسعى إلى معرفتها وبناء عليها سيتم تحديد القائمة النهائية للجبهة.

ويجب أن تستمر مشاورتنا ومباحثتنا، ولا عجب التحدث فى شأن القائمة الآن حتى نصل إلى اتفاق، ووقتها نؤيد التحدث فى شأن القائمة النهائية.

ويقول رسول بيات عضو المجلس المركزى لحزب التضامن الإسلامى أن المجالس المحلية لها دور هام فى إحقاق حقوق المواطنة وتحقيق الإدارة السليمة للمناطق والأقاليم، ولكن ملف المجالس المحلية فى إيران ملف معقد تماماً.

ولا شك أن قلة الخبرة فى هذا الأمر، ترك تأثيراً كبيراً فى تشكيل المجالس المحلية والمحددات القانونية الموجودة فيها، وخلال الثمانى سنوات الماضية كانت المجالس المحلية تقوم بدور واقعى حقيقى، ومع التوسع الكيفى وتكامل الأدوار فيها فإننا سنشاهد دوراً جديداً وأفضل مما سبق وأكثر تأثيراً.

ولا شك أن هذه المجالس تستطيع القيام بدور رئيس فى المجتمع، ولكنها تحتاج إلى تواجه نشط لوسائل الإعلام كى ترغب الشعب فى المشاركة فى انتخابات المجالس، كما أنه يجب على المرشحين تقديم برامج فى المدينة والقرية تحقق للشعب متطلباته وعلى وسائل الإعلام إبراز هذه البرامج للشعب حتى يستطيع اختيار الأصلح.

ويقول محمد كيانوش عضو جبهة المشاركة الإسلامية، أن تواجد الأوجه التى لديها القدرة فى التنفيذ والدخول فى القضايا الاجتماعية، يمكن أن يضمن للإصلاحيين الفوز فى هذه الانتخابات، وأن القائمة الواحدة لمجموعة الإصلاحيين تزيد من فرص النجاح وبالطبع فإن الأوجه التى ستقدم لها دوراً أيضاً فى تحديد الفرصة فى الانتصار.

وبالطبع فإن ظروف إقامة الانتخابات ومعدل مشاركة الشعب من الممكن أن تزيد من فرص الإصلاحيين.

كما أن عدم امتلاك الآلية اللازمة من أجل إقرار ارتباط معنوى وأوسع من طبقات الشعب المختلفة سيكون بمثابة عائق عظيم سيوضع من البداية أمام الإصلاحيين. وهذا لا يعنى أن الفشل كله هو مصير الإصلاحيين ولكن ضرورة الاهتمام بهذا الأمر.

وتعد الإذاعة والتليفزيون أداة هامة ومؤثرة ويمكن أن تقدم دعم مباشر وإيجاد ساحة إيجابية لصالح التيارات المعارضة للإصلاحات، وتشكل فكر الرأى العام مثلما حدث فى الانتخابات الماضية، ولكن لابد أن أشير إلى أن رأى الشعب هو الذى يستطيع أن يحدد مصير الانتخابات، ويقول مرتضى حاجى المتحدث الرسمى لائتلاف الإصلاحيين أننا اليوم دخلنا فى الأنشطة الرسمية للانتخابات والقائمة النهائية للمرشحين سوف تتم خلال الأيام القليلة المقبلة.

وائتلاف الإصلاحيين ليس من مبادئه القول بنصيب حزب فى العضوية والترشيح، ولكن يقول بمجمل التخصصات موضع الحاجة واختيار الأنسب لتمثيل الجبهة.

وبناء عليه فإننا نسعى لاختيار الأفراد بالنظر لمستوى التعليم والثقافة والخبرة التنفيذية. حتى يمكن الاعتماد على شخص يتحمل المسئولية فى مجلس البلدية.

قلق التيارات السياسية من عدم فاعلية الحكومة

■ كزارش (التقرير) العدد ١٧٩، أكتوبر ٢٠٠٦

ألقت المخاوف التى انتابت الشخصيات والتيارات الفكرية والسياسية من احتمال فشل الحكومة التاسعة، بعد عام ونصف من توليها لمهامها بظلالها على مختلف الأبحاث والدراسات داخل الأوساط السياسية والصحفية. فقد واجهت حكومة أحمدى نجاد صعوبات وعقبات عديدة خلال عام واحد من توليها خاصة فى مجال السياسة الخارجية، ومع بداية العام الثانى من نشاطها وبالرغم من نهجها غير المتوقع كثيراً (طبقا لمزاعم منتقدى كلا التيارين)، إلا أنها مضت خطوات قوية فى اتجاه تحقيق العدالة والتصدى لأوجه الفساد والتفرقة.

انتقاد الحكومة جاء فى إطار تقييم نسبة الجماهيرية الشعبية، فمن المعتاد فى إيران، أن يسعى التيار المنافس للحكومة لإظهار مدى عجز وفشل تلك الحكومة وبالعكس، إذا هيمن التيار المنافس على السلطة، فإنه يبدى مخاوف من انتشار نطاق النقد، واصفا إياه بأنه سبب رئيسى فى ضعفه، فبالرغم من أن الأصوليين وجهوا انتقادات عديدة لحكومة خاتمى فى السابق معتبرين أن الإصلاحيين سبب فى إضعاف الدين والحكومة، إلا أنهم الآن فى مكانة مختلفة كثيرا، حيث حملوا لواء الدين مرة أخرى وأصبحوا فى موضع الحكومة، وأصبحت شعاراتهم وبرامجهم، معروضة أمام الساحة السياسية فى تلك الأثناء باتت حسابات التيار الإصلاحى واضحة لأنهم دائما ما اشاروا الى عجز سياسات أحمدى نجاد عن إصلاح الدولة والنظام، وذلك قبيل تولى الحكمة لمهامها، فاعتبروا أن تخصيص اعتمادات بصورة غير شفافة، واتخاذ قرارات متسرعة والتخلى عن الخطة الخمسية السابقة وتغيير المديرين وتنصيب مديرين، أقل كفاءة، وتحجيم الصحافة والتعاطى على صعيد السياسة الخارجية، سيكون ضمن التحديات والمشكلات التى ستثبت فشل الحكومة القادمة.

فشل الحكومة فى رؤية الإصلاحيين

معظم منتقدى نهج الحكومة التاسعة والساخطين عليها من التيار الإصلاحى، استنبطوا انتقاداتهم من شعارات الحكومة ذاتها، فزعموا أن احتمالات تنفيذ هذه الشعارات باتت ضعيفة للغاية، ويعتقد خبراء هذا التيار ، أن الحكومة التاسعة لم تحقق نتيجة على صعيد الانضباط المالى، فالحد من سطوة الكبار على بيت المال الذى هو ضمن شعارات حكومة أحمدى نجاد لم يدخل حيز التنفيذ بعد فإذا كانت الحكومة قد وضعت فى قائمة أولوياتها الانضباط المالى، مع إصلاح آليات واشكال وأساليب اتخاذ القرار ، وإزالة نقاط الغموض، إلا أن هذه السياسات لم تحقق على النحو الأكمل من ناحية أخرى، ولذا فإن توقعات الشعب من رئيس الجمهورية الذى يجرى زيارات منتظمة الى المحافظات ظلت فى حالة جمود ، بسبب تحويل ملايين الطلبات الشعبية خلال تلك الزيارات الى المسئولين، بينما تنامى الاعتماد على الدخول النفطية، ولم يتم اصلاح المؤسسات التعليمية، فى ظل حالة من عدم تحمل آراء المعارضين و.....

مخاوف الأصوليين من فشل الحكومة

ربما يتم تصنيف النقد الموجه للسياسات الحكومية من جانب الإصلاحيين البعيدين عن السلطة على أنه أمر طبيعى، لكن تنامى وتيرة النقد من جانب التيار الحاكم والمقربين أيضا من رئيس الحكومة، يثير عدة استفسارات، تجعل من آداء الحكومة التاسعة بعد مرور عام واحد على توليها الحكم، لايلبى مطالب الأصوليين أنفسهم. فتحولوا من مناصرين ومؤيدين لأحمدى نجاد، إلى منتقدين لسياساته، وقد بات من الواضح لدى أى ناقد حيادى ومنصف، أن جميع مساعى الحكومة الحالية، تنصب فى اتجاه الحفاظ على الوضع القائم، وخفض التضخم، وتقليل نسبة البطالة، ونشر العدالة الاجتماعية، لكن هذه الانجازات، بحاجة إلى عامل الوقت وإذا فشل أحمدى نجاد فى استغلال عامل الوقت لصالحه، فأنه سيجابه تحديات عديدة.

أسباب عدم كفاءة الحكومة

من مؤشرات نجاح أى حكومة، الالتزام بتحقيق شعاراتها وبرامجها، وقد كان ضمن الشعارات المطروحة من الحكومة التاسعة، التقسيم العادل لعائدات النفط ، والتصدى للجشع والنهب، أو حل مشكلة الإسكان، لكن هذه الشعارات لم تدخل حيز التنفيذ بعد مرور عام كامل؟

أيام حكومة أحمدى نجاد

■ **بهداد مهرباور** ■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٦/١٠/٩

دخلت حكومة الرئيس محمود أحمدى نجاد عامها الثانى فى أكتوبر ٢٠٠٦، لكن هذه الأيام ليست بنفس جمال أيام أكتوبر ٢٠٠٥ بالنسبة لرجال الحكومة الإيرانية، لأن تقييم أدائهم وأداء رئيس الجمهورية على الفترة التى مضت قد بدأ بالفعل، ولا شك أن التقييم على مستوى الرأى العام الإيرانى أوسع مما يجرى داخل الأحزاب والتيارات السياسية.

اليوم نجد الإيرانيين الذين كانوا دائماً أكثر فاعلية من الأحزاب يتفوهون بالنقد من جديد فى مرحلة سكت فيها المنتقدون الرئيسيون لحكومة أحمدى نجاد بحيث ينتقدون أداء الحكومة فى كل صوب وحدب، فى حين أن الحكومة الإيرانية تتعرض لاختبار خطير وبالطبع تراودها أمالها الكبيرة فى النجاح فى اختبار إجراء الانتخابات المحلية الثالثة والحصول على مقاعد المحليات وسيطرة رجال مؤيدين للحكومة المركزية على مقاعد المحليات فى المدن الكبرى.

فى هذا العدد من صحيفة مردم سالارى نتناول التحديات الهامة التى واجهتها حكومة أحمدى نجاد فى الأيام السابقة بالبحث والتحليل.

الغلاء يحير الناس

عليك أن تتأكد تماماً أن هذه العبارة لم يقلها أحد السياسيين الإصلاحيين أو حتى أساتذة الجامعة وبخاصة الصحفيين بحيث تؤدى إلى إثارة رجال الدولة.

هذه العبارة قد قالها الشيخ أحمدى جنتى سكرتير مجلس صيانة الدستور فى جمع من موظفى المجلس، وقد طالب فى إشارة إلى غلاء بعض السلع باتخاذ المسئولين والأجهزة المعنية إجراءات فاعلة لتحجيم الغلاء وتوفير ما يحتاجه الناس من سلع، وقد أضاف آية الله جنتى قائلاً: إن زيادة الغلاء فى شهر رمضان المبارك قد حير الناس، وأن الشعب الإيرانى واجه صعوبة فى الحصول على ما يحتاجه من سلع وينبغى القضاء على موجة الغلاء هذه فى أسرع وقت ممكن.

كانت الصحف الإصلاحية تحذر من موجة الغلاء منذ فترة طويلة، تطلب من المسئولين تنفيذ وعودهم الاقتصادية التى قطعوها على أنفسهم أيام الانتخابات، لكنها لم تجد أذناً مصغية وسط رجال الدولة حتى أن بعضهم مثل المتحدث الرسمى باسم الحكومة قداتهم وسائل الإعلام عدة مرات بالتضخيم والمبالغة والسعى لخلق أجواء اليأس فى المجتمع الإيرانى.

البعض أيضاً ذكر نقد الصحافة للسياسات الاقتصادية الغامضة غير الفاعلة للحكومة على أنها مقدمة لمشروع الثورة المخملية على النسق الأوكرانى، ووعدوا أنهم سينشرون أخباراً فى هذا الصدد على وجه السرعة، لدرجة أنهم وعدوا بأن رئيس الجمهورية سيفضح الأيدى الخفية التى تعمل من وراء الأستار.

بعد ذلك التزمت الصحف والمطبوعات جانب الحيطة والحذر، ونادراً ما كتبت بشأن الغلاء، لكن الخطاب الأخير لمرشد الثورة وسط جمع من رجال الدولة كان النهاية لادعاءات المؤيدين للحكومة حيث صرح بزيادة الضغوط الاقتصادية الواقعة على الشعب الإيرانى قائلاً: فى الأسابيع الأخيرة ألحق الغلاء وارتفاع الأسعار ضغوطاً شديدة على الشعب وبخاصة الطبقات محدودة الدخل، وينبغى على الحكومة والمسئولين الاقتصاديين بها بحث كيفية القضاء على هذه الظاهرة فى إطار البحث عن أسبابها. فى نفس الوقت صرح رئيس السلطة القضائية قائلاً: أمل أن تتحرك الحكومة بحسم عن مواجهة الغلاء المتصاعد فى الآونة الأخيرة.

إن تأكيد صاحب المقام المعظم للإرشاد على الضغوط الشديدة الواقعة على الشعب الإيرانى، وتصريح سكرتير مجلس صيانة الدستور والمعين الدائم لحكومة أحمدى نجاد بأن الغلاء قد حير الناس، فضلاً عن تأكيد رئيس السلطة القضائية على تصاعد موجة الغلاء وانتقاد السيد أحمد خاتمى إمام جمعية طهران لموجة الغلاء، كل هذا خلق بين الإيرانيين الأمل فى أن تعترف الحكومة الإيرانية بحقيقة غلاء السلع وارتفاع قيمتها، وأن تفكر فى تدبير لحل المشكلات المعيشية للإيرانيين بدلاً من إثارة الفرقة واتهام الصحافة بالعمالة أو المبالغة.

لكن على الرغم من هذا الأمل، صرح غلام حسين إلهام المتحدث الرسمى باسم حكومة أحمدى نجاد فى جمع من المراسلين الصحفيين قائلاً: بعض وسائل

الإعلام تسعى إلى خلق حالة من اليأس وسط التجار ورجال البازار من أن يتعاملوا مع الحكومة، ويتعاملون مع هذه الظاهرة من خلال السخرية والتهكم، على سبيل المثال انخفض سعر الملابس، لكن البعض يرغب فى وجود حالة من الغلاء حتى يصبح أداة للقضاء على الأمل بين الناس.

لم يذكر المتحدث الرسمى باسم الحكومة اسم وسائل الإعلام الراغبة فى وجود الغلاء، ولم يوضح مدى تأثير تصريحات كبار مسئولى النظام على آرائه وآراء بقية المؤيدين للحكومة.

لكن ليس من السئ أن يعلم السيد إلهام أن الخبراء وأصحاب وسائل الإعلام جزء من هذا الشعب وليسوا بعيدين عنه وليست لديهم سيارات فارهة، وإنما هم يعيشون معه ويلمسون مشكلات الناس عن قرب، ويعيشون بالمرتبات التى هى ربما لا تصل إلى ربع راتب المتحدث الرسمى باسم الحكومة فى منازل بالإيجار، وبناءً على هذا لا يوجد سبب لكى يرغبون فى الغلاء ويرحبون به أو يسعون إليه.

إن أصحاب وسائل الإعلام يتوقعون من المتحدث الرسمى باسم الحكومة الذى درس الحقوق ويحدد فى مجلس صيانة الدستور مدى تطابق قرارات ٢٩٠ نائباً مع الدستور أن يجتهد فى أن تكون كلماته مطابقة لواقع القانون وألا يتحدث تحت تأثير مشاعره الخاصة.

نحن نتعجب من أحمدى نجاد !

"نحن نتعجب من أحمدى نجاد" هذه الجملة لم يقلها أحد الصحفيين أو السياسيين الإصلاحيين، وإنما نص جزء من حديث لمحمد مهدى عبد خدابى السكرتير العام لجمعية فدائيى الإسلام بشأن عدم اهتمام الحكومة بظاهرة الغلاء، الكاتب كتب هذا الموضوع مركزاً على اتخاذ حكومة أحمدى نجاد تكتيك تضليل الرأى العام على يد بعض رجال الدولة، لكن ربما يظن البعض فى هذه الأيام أن هذه القضايا تطرح من قبل الإصلاحيين ومن الجائز أن تكون مجرد حرب سياسية، لكن أحد لا يصدق أن تلك الاستراتيجية ستستمر. الحقيقة أن هذا التكتيك قد فضح من قبل بعض رجال الحكومة الإيرانية أنفسهم لقد صرح محمد مهدى عبد خدابى فى حوار له مع إحدى وكالات الأنباء قبل اللقاء الأخير الذى جمع أعضاء الحكومة بصاحب المقام المعظم للإرشاد قائلاً: للأسف الحكومة الإيرانية وعلى رأسها أحمدى نجاد لم يبذلوا أى اهتمام بظاهرة الغلاء، ولقد تفاقمت الظاهرة وارتفعت الأسعار لدرجة أنها أدت إلى اعتراض المرشد على أداء الحكومة، وإننى أتعجب من السيد أحمدى نجاد: كيف يقول أن السلع لم يرتفع قيمتها متجاهلاً ما يلمسه المواطنين بأنفسهم.

ونصح عبد خدابى أحمدى نجاد وحكومته ألا يتطرقوا مرة أخرى إلى القضايا المتعلقة بالحرب، لأنه فضلاً عن أن سنوات الحرب قد انقضت لأنه من الممكن أن يفهم أن الحكومة تخوض فى الشئون السياسية الماضية لكى تشغل الناس عن مشاكلهم الحياتية الحالية.

إن تأكيد السكرتير العام لأحد التشكيلات المحورية المسماة بالأصولية على ضرورة ترك القضايا السياسية التى انتهت وأن نفكر جدياً فى حل المشكلات المعيشية والاقتصادية للشعب، أمر يثبت أن استراتيجية الشعارات الاقتصادية تواجه أزمة حقيقية وأن تكتيك تضليل الرأى العام لم يحدث أثراً فى إنقاذ استراتيجية الحكومة، لأن مثل هذه الاستراتيجيات والتكتيكات تصبح فاعلة فقط فى حالة التطابق مع الواقع المشاهد بالمجتمع، وعندما يشاهد الناس أن الحكومة تعلن شعارات اقتصادية وتقدم وعود اليوم والغد كل المشكلات الاقتصادية، ثم يرون أنه على الرغم من هذه الشعارات أن الجانب السياسى طاغ على اهتمامات الحكومة أكثر من الجانب الاقتصادى الذى أسهبت فى الحديث عنه، كيف يمكن للخطباء المفوضين تضليل الرأى العام؟

سياسات الحكومة الإيرانية هى السبب وراء موجة الغلاء.

"سياسات الحكومة السبب الرئيسى وراء الغلاء الحادث" هذه الجملة لم تنقل عن الصحف الإصلاحية أو السياسيين الإصلاحيين، إنما هى جملة منتقاة من قبل إحدى وكالات الأنباء من حوار أجرته مع محمد خوش شهره رئيس اللجنة الاقتصادية لكتلة الأغلبية بالمجلس والممثل الاقتصادى لأحمدى نجاد أيام الانتخابات.

محمد خوش شهره النائب الأصولى المعروف عن دائرة طهران وعضو اللجنة الاقتصادية بالمجلس قد أكد على أن السبب الرئيسى وراء ظاهرة الغلاء، هو بعض السياسات التى اتخذها حكومة أحمدى نجاد، لأن الحكومة تثبت الأسعار عن طريق التحكم والأوامر الجبرية، وبناءً على هذا فهى تزيد الأسعار من الناحية العملية وبالتالى ترتفع الأسعار على الرغم من جهود الحكومة، وقال أنه على الحكومة أن تعيد النظر فى سياساتها الاقتصادية، وأن تعلم أن شعار العدالة الذى رفعته أيام الانتخابات تتمثل إحدى مؤشراته فى الحفاظ على القدرة الشرائية للشرائح محدودة الدخل من الشعب والارتفاع بقدراتهم الشرائية من جديد.

إن الدكتور محمد خوش شهره أى نفس الشخص الذى أيد أحمدى نجاد فى المنافسات الانتخابية عام ٢٠٠٥، ودخل فى مناظرة تلفزيونية مع ممثل هاشمى رفسنجانى آنذاك، قد أكد على أن العامل الرئيسى الذى أدى إلى الغلاء هو سياسات الحكومة الإيجابية منها والسلبية لأنه لم تتخذ حتى الآن بعض الإجراءات من قبل الحكومة والتى من شأنها تفعيل السياسات الإيجابية الموضوعة، أو أن بعض هذه السياسات غير مناسب من الأساس فمحاولة الحكومة تثبيت الأسعار عن طريق التسعيرة الجبرية سياسة غير فاعلة للتحكم فى الأسعار، المثال على ذلك ما قامت به الحكومة فيما يتعلق بمنتجات الألبان، ورأينا أنه نتيجة لارتفاع تكلفة الإنتاج فى هذا القطاع لم تستطع الحكومة التحكم فى الأسعار.

انتقد كثير من الخبراء الاقتصاديين البرنامج الاقتصادى للحكومة وأعلنوا أن الحكومة التى ليس لديها برنامج اقتصادى واضح ومحدد لا يمكن أن تنجح، هذا فى حين أن أسعار النفط قد وصلت على مدار العام الأول من عمر حكومة أحمدى نجاد إلى أعلى مستوى ممكن، وقد حذر الاقتصاديون الحكومة ولفتوا نظرها إلى ضرورة التوجه لحل المشكلات الاقتصادية الجذرية لإيران بدلاً من إنفاق موارد الخزانة العامة فى سبيل تحقيق شعارات سياسية ورفع معدل الطلب الاستهلاكى فى المجتمع، وأن تستهدف حل مشكلات مزمنة فى إيران مثل الإنتاج والتشغيل والإسكان.

هؤلاء الاقتصاديون يعتقدون أنه طالما أن الدخل السنوى للشعب منخفض فإن أى زيادة سعرية يمكن أن تعرض حياة قطاعات كبيرة منه للأزمة، ولا حيلة أمام ذلك سوى الاستثمار فى قطاعات البنية الأساسية ووضع حلول جوهرية للمشكلة الاقتصادية، لكن حكومة أحمدى نجاد فضلت توجيه جزء كبير من عائدات النفط لإثراء موائد الأجانب من خلال استيراد أنواع من الفاكهة ومختلف السلع الغذائية لإسكات الاعتراضات على سياساتها بدلاً من الاهتمام بتحذيرات الاقتصاديين الغيورين على مصلحة البلاد.

هل من الصحيح فى دولة لديها أغلب أوجه النشاط الاقتصادى وثروة بشرية متخصصة مدربة أن توزع آلاف الأطنان من الدواجن المجمدة المستوردة من الخارج؟ هل من الصحيح فى دولة لديها تنوع مناخى وأراضى خصبة مثل إيران أن تستورد الموالح والفواكه من الخارج؟ هل من الصحيح فى الوقت الذى تتزايد فيه عوامل الإحباط على زراع الأرز والشاى فى شمال إيران يوماً بعد يوم، أن تستورد الحكومة هذه السلع من الخارج؟

أليست هذه الواردات المبالغ فيها نتيجة ضعف الأداء الاقتصادى فى زيادة الإنتاج؟

يبدو أنه إذا علم الفلاحون فى جيلان ومازندران وجلشان أن فائدة جهودهم ستعود إلى جيوبهم وأن كفاحهم سيثمر، حينئذ سيتولد لديهم الدافع لكى يزيدوا من معدل إنتاج محاصيلهم، ولن تحتاج إيران إلى استيراد الفاكهة.

بناءً على هذا إذا كان لدى الحكومة إرادة صادقة فى القيام بعمل من أجل الناس ينبغى أن تحل مشاكل الاقتصاد الإيرانى الثلاث وهى الإنتاج والسكن والتوظيف. إن الشعب الإيرانى لا يأخذ الصدقة، وإنما لديه قدرات بالاستفادة منها ومن إمكانات بلاده يستطيع تعمير إيران ولا يحتاج لتلقى الصدقات، ولكن هذه السياسات الخاطئة هى التى أنتجت هذا الوضع المشين.

لكن المثير فى الأمر فعلياً أن الحكومة الإيرانية استوردت أنواعاً من الفواكه واللحوم والمواد الغذائية بأموال نفط الشعب، وبعد ذلك تمن على الشعب بأنها ثبتت قيمة بعض السلع!

فهل تثبيت أسعار السلع بنفس أموال الشعب التى وجهت للاستيراد ودون استفادة من الإمكانات الداخلية للبلاد أداء يستحق الثناء أو حتى الاهتمام؟

يقدمون شعارات جميلة ولكن...

لكن فضلاً عن الانتقادات الموجهة للحكومة من قبل المؤيدين لها أو المحسوبين عليها، هناك أيضاً انتقادات من قبل الإصلاحيين ولعل أشدها ما قاله الشيخ قدرت الله عليخانى نائب بويين زهرا وأوج وسط جمع من مراسلى البرلمان، وكان أهم نقاط هذا الحديث التركيز على الاختلاف بين القول والعمل فى أداء حكومة أحمدى نجاد حيث صرح قائلاً: قبل انتخابات رئاسة الجمهورية أطلقوا شعارات جميلة، لكن حينما جاء وقت العمل لم ينفذوا شيئاً منها، إن عملنا كنواب فى المجلس هو الكلام أما هم فمنفذون، وليس لدينا القدرة على التنفيذ، وعبر عليخانى عن أضرار أن تكون الحكومة ورئاسة الجمهورية والمجلس فى يد واحدة قائلاً: لقد خصصت الحكومة جزء من موارد النقد الأجنبى لتنمية الصناعة، فلأى مصانع وجهت هذه النقود والتسهيلات؟ هل لأولئك الذين يعملون فى خدمة الساسة ورجال الدولة؟

ثم انتقد عليخانى المؤيدين للحكومة قائلاً: يقولون أن السيد رئيس الجمهورية يأكل الخبز والجبن، لكن عندما ذهب رئيس الجمهورية إلى الكرج رأيت بعينى

خمس طائرات هليكوبتر، وعندما اشترى السيد خاتمى طائرة هليكوبتر فى نهاية فترة رئاسته، قال نفس أولئك السادة أننا لن نستخدم هذه الطائرة والأن توضح صور الصحف الوزراء ورئيسى الجمهورية وهم يستقلون نفس الطائرة وعلق عليخانى عضو ائتلاف خط الإمام على عدم تطبيق قرارات زيارة الرئيس لقزوين قائلاً: قالوا أن مائة قرية فى حاجة إلى توصيل الغاز، لكنهم لم ينفذوا شيئاً حتى للقرى التى سبق مد الأنابيب إليها.

انتخابات المحليات وحكومة أحمدى نجاد:

تواجه الحكومة الإيرانية الحالية تحدياً آخر هو انتخابات الدورة الثالثة للمحليات، وهذا هو أول اختبار كبير للحكومة، لكن حدثت بعض الوقائع التى أدت إلى إثارة المخاوف بين الناس.

أهم هذه المخاوف هو انتشار بعض الأخبار عن التدخل المتوقع من قبل بعض رجال الدولة ومستشارى رئيس الجمهورية فى تقديم القوائم الانتخابية التى ليس لها مثيل على مدار الـ ٢٧ عاماً الماضية.

حتى الآن لم يسمح لأحد من رؤساء الجمهورية فى إيران بالدخول فى نشاطات العملية الانتخابية تحت مسمى هيئة أركان التواصل الشعبى برئيس الجمهورية، لكن يقال أننا سنشهد مثل هذه الظاهرة فى الانتخابات القادمة للمحليات.

ولقد رحب أحد المواقع الخبرية المقربة للحكومة بتأسيس هيئة أركان التواصل الشعبى بأحمدى نجاد من أجل انتخابات المحليات عدة مرات وأبرزت ذلك من تحليلاتها الخبرية.

أعلن هذا الموقع الخبرى أن تلك الهيئات الانتخابية قد شكلت على أساس إعادة تفعيل اللجان الانتخابية الخاصة بالدكتور أحمدى نجاد أثناء الانتخابات الرئاسية، وتقرر أن يتم الاستفادة من القوى المؤيدة للحكومة كأداة تنفيذية لأنشطة المقربين من الرئيس فى ساحة المنافسة السياسية.

بناءً على هذا الخبر عقد مؤخراً مجلس تنسيق لهذه الهيئات بحضور شخصيات أصولية معروفة مثل زرى بافان وبذر باش والدكتور فقيه وذبيحى وجوانفكرو زيارى ونيلى وأكدوا على ضرورة إعادة تنظيم صفوف اللجان الانتخابية والمشاركة الفعالة فى الأنشطة السياسية كجماعة مقربة لرئيس الجمهورية والحكومة.

كما تقرر السعى لجذب بقية الجماعات الأصولية حتى تتحرك فى انتخابات المحليات من خلال عمل مركزى ينطلق من هذه الهيئات الانتخابية، ويضيف هذا الموقع الخبرى أنه تحدد فى هذه الجلسة أن يتولى مهرداد بذرباش مسئولية إدارة انتخابات المحليات كمنسق للجماعات الأصولية والمعروف أنه مستشار رئيس الجمهورية ورئيس جماعة المستشارين الشباب لرئيس الجمهورية، كما سيتولى كل من ذبيحى مستشار رئيس الجمهورية للموارد البشرية مسئولية مشروع انتخابات مجلس الشورى الإسلامى، وزيارى عضو المجلس المحلى عن مدينة طهران، مسئولية تنسيق شئون المحافظات، كما ستنشط كل لجنة تخصصية على حدى فى خدمة مشروعات محددة وتحت إشراف المسئول عن إدارة المشروع.

هذا الخبر نشر عدة مرات على هذا الموقع لكن مخاوف الناس تزايدت عندما قيل أن السيد مجتبى ثمرة هاشمى المستشار الأول لأحمدى نجاد هو الذى سيتولى إدارة هذه الهيئات الانتخابية الخاصة بالأصوليين، فى حين أنه قد تم تعيينه رئيساً لهيئة الانتخابات الرسمية لكونه المساعد السياسى لوزير الداخلية.

على الرغم من أن ثمرة هاشمى لم ينخرط فى الحوارات الصحفية حتى الآن وهو بطبيعته قليل الكلام، لكن على كل حال حدثت تخمينات حول الهدف من هذا التعيين، ولا يشك أى أحد فى أنه أقرب سياسى لشخصية رئيس الجمهورية، هذا الموضوع أثار مخاوف التيارات السياسية، حتى حبيب الله عسكر أولادى العضو البارز فى جمعية المؤتلفة الإسلامية أعرب عن قلقه مما أسماه بحكومة الانتخابات، وتحدث بعض الأصوليين الآخرين فى حوارات مع وسائل الإعلام المختلفة منتقدين هذا التعيين باعتباره خطأً كبيراً للحكومة الإيرانية.

قصة ومصير المحليات

■ محمد توسلى ■ ايسنا (وكالة الأنباء الطلابية الإيرانية)٢٧/١٠/٢٠٠٦

من المعروف أن المجالس المحلية (البلدية) تم تشكيلها لأول مرة أثناء الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩٠٦ مع إعطائها صلاحيات واسعة لكن لم يكد يمر عامان أو ثلاثة على تأسيسها حتى واجهت صدامات سياسية، ونظراً لوجود ثقافة الاستبداد التى كانت قائمة آنذاك لم تنجح هذه الجمعيات فى أداء وظائفها ومهامها حيث لم تنجو - شأنها شأن الدستوريين - من ظلم الاستبداد الملكى آنذاك.

فى عصر رضا شاه وفى سنة ١٩٢٣ أصدر رضا شاه قانوناً جديداً للمجالس (الهيئات) البلدية، إلا أن هذه الهيئات كانت تابعة إلى السلطة التنفيذية مباشرة والآليات الحكومية التنفيذية. بشكل عام كانت المحليات فى ذلك الوقت واحدة من الأدوات التنفيذية التابعة للحكومة، لقد استمر هذا الوضع قائماً حتى عصر الدكتور مصدق أى حتى عام ١٩٥٢ حيث قامت الحكومة الإيرانية فى ذلك الوقت بوضع برنامجين رئيسيين هما تأميم صناعة النفط والثانى إصلاح قانون الانتخابات والمحليات وتشكيل المجالس الثورية مع إسناد إدارة المدن إلى الشعب مباشرة. لكن مع انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ هـ ش/ أغسطس ١٩٥٣ توقف العمل بهذا القانون حتى انتصار الثورة الإسلامية فى عام ١٩٧٩ حيث تم إعادة النظر فى قانون المجالس المحلية وذلك على عدة مراحل. إن أقصى قدر من الحريات المتاحة للمجالس المدينية قبل الثورة كان يتمثل فى قيامها باختيار ثلاثة شخصيات تقدمهم كمرشحين لشغل منصب رئيس بلدية طهران ثم يقوم الملك بدوره بتعيين واحدة من هؤلاء الثلاثة. أما المدن التى كان عدد سكانها يزيد على مائة ألف نسمة فإن الشاه كان هو الذى يقوم فعلياً بتعيين رئيس بلديتها.

الواقع أن وجود "ثقافة الاستبداد وحاكمية السلطة" لم تكن تسمح بوجود دور شعبى حقيقى فى السلطة أو المشاركة فى إدارة المدن ومن ثم لم تكن لترضى بأى مشاركة شعبية على المستوى القومى. لكن أثناء الثورة الإسلامية والشعارات التى كان يطرحها الشعب ويرددها من أجل تحقيق أمانيه وتطلعاته التاريخية مثل الحرية، الاستقلال، الجمهورية الإسلامية، فى تلك الأثناء كان يتم التأكيد دوماً على الركن الركين أى "الجمهورية" أى "حاكمية الشعب" وهو المطلب التاريخى للشعب الإيرانى على مدار المائة عام الأخيرة.

فى فبراير ١٩٧٩ وبعد أن توليت مسئولية بلدية العاصمة طهران كان أمامنا مشروعان أساسيان هما: مشكلة المرور فى العاصمة وتشكيل مجالس المحليات الفرعية التابعة لمدينة طهران. لهذا تم تشكيل مجلساً للتعاون والمشاركة الشعبية فى إدارة مناطق - أحياء - مدينة طهران. لقد تمثلت جهود مجلس مدينة طهران على إيجاد قناة اتصال مع أهل العاصمة من أجل تحفيزهم على المشاركة فى إدارة شئون العاصمة خاصة وأن استعداد سكان العاصمة كان رائعاً فيما يخص التعاون معنا فقد كنا لازلنا نعيش فى أجواء الثورة. من هنا تم تشكيل "مجلس تعاون" ضم الأشخاص الراغبين فى التعاون معنا وبدأت عملية التنسيق بين هذا المجلس وبين بلدية طهران وهو العمل الذى كان له أثراً كبيراً وإيجابياً فيما يخص شئون العاصمة. لقد ظل هذا الأمر قائماً طوال الفترة الانتقالية التى أعقبت انتصار الثورة لدرجة أن كثيراً من الإيرانيين الذين كانوا يعيشون فى أوروبا تركوا دراستهم هناك وجاءوا إلى إيران لمساعدة الثورة فشاركوا فى هذه المجالس المحلية بوصفهم "خبراء".

قبل الثورة كان يوجد ١٥ منطقة كانتونات عشوائية فى جنوب طهران فيما كان يشكل واحدة من أسود مظاهر عصر الشاه. أيضاً كانت المملكة العربية السعودية قد أعطت الشاه مائة مليون دولار لإنفاقها على تعمير جنوب طهرن فى محاولة منها لمساعدته بهدف الحيلولة دون قيام الثورة وتمكين الشاه ونظامه من مواجهتها ومحاولة منع انفجار الشعب وعدم إثارة غضبه. بعد الثورة قمنا بإنفاق هذا المبلغ بالكامل على تعمير جنوب طهران وتلبية احتياجات السكان هناك.

ولكى نقوم بإنجاز تلك المهمة والوصول إلى القضايا والمشكلات تم تشكيل مجلساً للإسكان خاص فقط بجنوب طهران تعاون فيه المواطنون مع المجلس المحلى. وبمساعدة مجلس الإسكان هذا

والتعاون مع وزارة الداخلية تم إجراء أول انتخابات للمجالس المحلية فى جنوب العاصمة طهران بوصفه مجلس إسكان لسكان الكانتونات المقيمين فى جنوب طهران. لقد تم تنفيذ تلك التجربة فى عام ١٩٨٠ وفيها تم تحديد وتدوين الأسس والاختصاصات والمهام الوظيفية والسلطات بواسطة الخبراء الذين شاركوا فى إعداد الدراسات الخاصة بالمحليات، كما قمنا أيضاً بالاستفادة من آراء المرحوم آية الله طالقانى. وعندما تم تدوين هذه المبادئ تم إرسالها كمشروع مقترح لتشكيل مجالس الشورى المحلية الخاصة بمدينة طهران وإحيائها وهو المشروع الذى تمت دراسته بواسطة خبراء وزارة الداخلية أيضاً. ثم تم تحويله إلى قانون ثم أرسل إلى الحكومة المؤقتة التى قامت بدورها بإرساله إلى مجلس الثورة وفى الأول من مهر ١٣٥٨ ه. ش الموافق ١٩٨٠/٩/٢١ تم التصديق عليه من جانب مجلس قيادة الثورة.

ووفقاً للقانون الصادر من مجلس الثورة تم العمل فى إعداد مسودة لائحة خاصة بعمل مجالس المحليات والبلديات وبعد دراستها من جانب المهندس مهدى بازرجان - رئيس وزراء الحكومة المؤقتة، وقيامه بإبداء ملاحظات عليها تم إحالة هذا القانون إلى المهندس "بنى أسدى" الوزير المشاور للشئون التنفيذية لتنقيحها. بعد ذلك تم تطوير اللائحة المؤقتة إلى لائحة خاصة بوظائف وسلطات مجالس الشورى المدينية والمحلية ثم تم اعتمادها من جانب رئيس الوزراء آنذاك.

فى ذلك الوقت كان الرأى العام منقسماً إلى اتجاهين فيما يخص المحليات الأول هو نفس الرأى الخاص بالمجموعة التى دونت الدستور والتى كانت تؤمن بضرورة إعمال مبدأ حاكمية الشعب وسيادته وحريته وحقوقه الديموقراطية وقناعتها بأن هذه المبادئ والأفكار تنبع فى الأساس من القرآن والإسلام وأنه لهذا السبب يجب أن يتسع العمل بهذه المبادئ حتى مستوى المجالس المحلية. أما الاتجاه الآخر فكان يرى بأنه لا حاجة إلى الحاكمية الشعبية أو ربط الحاكمية الشعبية بالدين والإسلام والدستور. لقد حظيت هذه الرؤية بأقلية بالغة فى مجلس الخبراء الذى تولى وضع الدستور وقد تم تسجيل وجهات النظر الخاصة بهذه الأقلية فى مضابط العمل الخاصة بمجلس خبراء الدستور خاصة ما يتعلق منها بقانون الأحزاب والمحليات.

بدورها كانت الحكومة المؤقتة على قناعة فكرية مفادها الاعتقاد بأن الحاكمية الشعبية تنبع من الدين الإسلامى ومن هنا بدأنا العمل فى طريق تحقيق المطالبات التاريخية للشعب والخاصة بالمشاركة الشعبية فى إدارة شئون العاصمة طهران وكذلك بقية المدن وهو ما دفعنا لتهيئة المناخ اللازم لذلك من خلال البدء فى تنفيذ هذه المهمة وتطبيقها بشكل مبدئى على مدينة طهران.

فى ذلك الوقت كانت مدينة طهران تنقسم إلى ١٢ منطقة أو "حى". ووفقاً للدراسات التى قمنا بإجرائها توصلنا إلى أنه لابد من إجراء الانتخابات المحلية من القاعدة وهو ما جعلنا نقسم المحافظة إلى مدن والمدن إلى أحياء والأحياء إلى شياخات مع الوضع فى الاعتبار المحافظة على أن تكون الشياخات مقسمة بحسب الأسس والثوابت والمعايير الثقافية والاجتماعية حتى يمكن انتخاب الممثلين على افضل نحو ممكن. ثم تتم الانتخابات تصاعدياً بعد ذلك. فى هذا الإطار تم تقسيم مدينة طهران إلى ٣٤١ شياخة تضمها ٢٠ منطقة حى بحدود جغرافية معلومة. وهو العدد الذى ارتفع الآن ليصبح ٢٢ حياً بعد التوسع والامتداد العمرانى الذى شهدته المدينة فى سنوات ما بعد الثورة وحتى الآن. لقد تمحور الأساس الفكرى لهذا التوجه حول قناعة مفادها أن الانتقال من القاعدة إلى القمة يحمل فى ذاته أفضل التصورات والرؤى بشأن طريقة وكيفية إدارة شئون العاصمة.

كانت وزارة التربية والتعليم هى الوزارة الأولى التى أبدت تعاوناً وتنسيقاً مع بلدية طهران، آنذاك كان الشهيد "محمد على رجائى" مشرفاً على تلك الوزارة ومرحباً بهذا الفكر ومن هنا انطلق فى إعمال التنسيق العلمى اللازم فيما بين المناطق التعليمية والمناطق الإدارية - المحلية وهو الأمر الذى ظل وبقىَّ قائماً - ومعمولاً به - حتى الآن، لقد كان مقرراً أن يتم إجراء نفس هذا التنسيق فيما بين الوزارات الخدمية الأخرى مثل الداخلية الاتصالات والقضاء.. من خلال تقسيم الخدمة على المناطق العشرين التى تم اعتمادها كتقسيم نهائى لطهران إلا أن هذا الأمر لم يتحقق منه أى شئ حتى الآن.

فى عام ١٣٥٨ هـ ش/ ١٩٨٠ وبعد التصديق على قانون مجالس الشورى المحلية قامت عدة مدن رئيسية فى الدولة مثل اصفهان، قزوين، سنندج، وغيرها قامت بعمل انتخابات محلية تجريبية وهو ما أسفر عن نتائج وآثار إيجابية للغاية، لكن الحكومات التى أعقبت الحكومة الانتقالية لم تعط أى اهتمام لإنجاز مثل هذا الأمر، فى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الأزمات السياسية، حكومة بنى صدر،

مجموعة خرداد ١٣٦٠/ يونيو ١٩٨٢ وكذلك الحرب المفروضة على إيران شكلت منظومة متكاملة من الأسباب التى حالت دون إجراء انتخابات مجالس الشورى المحلية. لقد تم التصديق على قانون مجالس الشورى فى عام ١٣٨٢ هـ. ش/ ١٩٨٢ داخل مجلس الشورى إلا حالة من الصمت تجاه تنفيذ هذا القانون ظلت قائمة حتى عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٩٧م. حيث ظل هذا القانون فى حالة أخذ ورد فيما بين مجلس الشورى الإسلامى ووزارة الداخلية والإدارات المختلفة فيها بعد أن شهد خمس تغييرات تم التصديق عليه فى ١٣٧٥/٣/١ هـ. ش/ ١٩٩٦/٦/٢١م. من جانب مجلس الشورى الإسلامى فى دورته الخامسة، لكن لم يتم اتخاذ أى خطوة عملية لتنفيذ هذا القانون. ثم فيما بعد الثانى من خرداد ١٣٧٦ هـ. ش/ يونيو ١٩٩٧ تبنت وزارة الداخلية فكرة تنفيذ هذا المشروع فقررت تقديم لائحة تنفيذية للمجلس فى هذا الصدد بهدف إصلاح قانون المحليات أى المجالس المحلية.

إن التقارير التى نشرت آنذاك تفيد بأن المجلس الخامس لن يقبل بإجراء أى إصلاح فى القانون الذى تم التصديق عليه، من هنا بات لدى الجميع قناعة مفادها أن تنفيذ هذا القانون أفضل من العمل على تعويق - إعاقة - تنفيذه، من هنا قامت وزارة الداخلية فى حكومة السيد خاتمى الأولى بتنفيذ هذا القانون فى جميع أنحاء إيران على مستوى المدن والقرى معاً قاطعة بذلك خطوة كبيرة جداً نحو تنفيذ المطالبات التاريخية للأمة الإيرانية فى هذا الصدد.

من المعلوم أن الدستور نص فى المادتين ٦، ٧ على أن إدارة شئون الدولة إنما تتم اعتماداً على الرأى العام للشعب وكذلك أكد الدستور على أن مؤسسة مجالس الشورى المحلية هى ركن ركين من أركان صنع القرار والإدارة أى أنها بمثابة جزء من هيكل السلطة. من هنا عندما تتولى مجالس الشورى المسئولية فإن ذلك يكون مصحوباً - بالتالى - بتمكينها من الاختصاصات والسلطات اللازمة حتى تتمكن من تنفيذ عملها اللائق بمكانتها الطبيعية. لقد تم النص على حدود ووظائف مجالس الشورى فى مواد الفصل السابع من الدستور التى تبدأ بالمادة رقم ١٠٠(×) فى تلك المواد تم النص على أنه من "أجل الإسراع بتنفيذ البرامج الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، العمرانية، الصحية، التعليمية وسائر الأمور الترفيهية الأخرى يتم تشكيل مجالس للشورى عن طريق المساعدة الشعبية مع مراعاة المقتضيات والسمات المحلية على مستوى كل قرية، حى، مدنية، عاصمة ومحافظة يطلق عليها مجالس الشورى المحلية التى يجب أن يكون أعضاؤها من نفس سكان المنطقة.

لهذا يمكن القول بأن أولئك الأشخاص الذين قاموا بتدوين الدستور والذين قاموا بتحديد الوظائف والاختصاصات اللازمة لمجالس الشورى المحلية إنما كانوا يضعون فى اعتباراتهم الحاجات والمطالب الحياتية الرئيسية التاريخية للشعب الإيرانى منذ الثورة الدستورية - ١٩٠٦ وحتى وقت تدوين الدستور الأول بعد انتصار الثورة الإسلامية ١٩٧٩ الأمر الذى جعلهم يعتنون بشكل خاص بالقضاء على أية عقبات فى سبيل استقرار مبدأ الحاكمية الشعبية للقضاء نهائياً على الثقافة الاستبدادية المتجزرة فى الدولة. من هنا يمكن القول بأن السبب المباشر فى وقف تنفيذ هذه المواد الدستورية المرتبطة بمجالس الشورى المحلية وتهميش السلطات والاختصاصات الخاصة بها فى مشروعات القوانين ذات الصلة، يتمثل هذا السبب فى وجود نوع أو نمط من "التسلط" القائم فى إدارة الدولة ومن ثم تكون النتائج الطبيعية لهذا كله هى البعد عن المبادئ الأصلية والتطلعات البديهية للثورة الإسلامية والدستور والمطالب التاريخية الخاصة بالشعب الإيرانى.

لكن التجربة التى استمرت لأكثر من عشرين سنة، والمقاومة الراسخة من جانب القوى المؤمنة والمعتقدة فى المبادئ والثوابت والتطلعات الأساسية للثورة الإسلامية قد أتت ثمارها فى الثانى من خرداد ١٣٧٦ هـ. ش/مايو ١٩٩٧ عندما قام الشعب بالتصويت القاطع لصالح برامج وخطط السيد خاتمى التى كانت تتضمن وبشكل حاسم وأساسى على البرنامج الخاص بالتنمية السياسية. إن الأشخاص الذين فازوا فى أول انتخابات لبلدية طهران كانت فى معظمها شخصيات سياسية وكانت - لهذا السبب - صاحبة رؤى سياسية مقابل خبرة قليلة فى تقديم الخدمات المدينية.

هذا الأمر نفسه صار أحد عوامل الإخفاق فى عمل ذلك المجلس أما العامل الثانى فقد تمثل فى التناقضات وعدم الانسجام فيما بين المواد الخاصة بقانون المحليات وعدم وضوح مكانة مجلس شورى المدينة ووظائفه واختصاصاته وعلاقاته مع رئيس المدينة المنتخب من جهة أو مع الإدارة التنفيذية من جهة أخرى. من هنا كانت عملية تنظيم العلاقات فيما بين مجلس شورى مدينة طهران مع حاكم المدينة المنتخب هى واحدة من المشكلات التى لحقت بمجلس بلدية طهران الأول.

المناورات العسكرية الأمريكية، رسالة لإيران

■ بازتاب (الصدى)١٥/١٠/٢٠٠٦

فى الوقت الذى كانت فيه المباحثات دائرة بين الغرب وإيران بشأن ملفها النووى، أعلنت كل من الولايات المتحدة وفرنسا والبرتغال وتركيا إجراء مناورة عسكرية مشتركة بحرية وجوية فى المياه التركية خلال مايو الماضى.

وقد شارك فى هذه المناورة أكثر من أربع وأربعون دولة كمراقب من بينها إسرائيل.

وفى الوقت ذاته أعلن فى واشنطن أن هذه المناورة بمثابة رسالة تحذير لإيران.

وبعد مرور أشهر عديدة على هذه المناورة، عادت أمريكا مرة أخرى وبالقرب من الحدود الجنوبية لإيران لإقامة مناورة عسكرية جديدة فى مياه الخليج (الفارسى) لنفس الأهداف والحجج، وقد تزامنت هذه المناورة مع بدء المباحثات الخماسية لأعضاء مجلس الأمن الدائمين بشأن فرض عقوبات اقتصادية على إيران، ولا شك أن هذا الأمر يدعو لتساؤلات كثيرة.

وقد شارك فى هذه المناورة خمس وعشرون دولة وشاركت كل من قطر والإمارات العربية المتحدة والكويت وكوريا الجنوبية واليابان وروسيا كمراقبين، هذا فى حين أن دولة البحرين كانت هى الدولة المستضيفة للدول المشاركة فى المناورة.

وكل هذه الأمور تشير إلى أن هناك تطورات هامة تحدث فى دول الجوار والتى لا يمكن أن نتجاهلها ببساطة.

ومن نفس المنطلق فإن قلق العرب فى المنطقة ليس بلا سبب، ويقولون أن الدول العربية فى المنطقة من الممكن أن تصبح بمثابة وقود منشط فى الأزمة الدائرة بين أمريكا وإيران، وهو الأمر الذى تتبعه أمريكا فى سياستها الخارجية بشكل فعال منذ عام مضى.

وتواجه أمريكا فى هذه الأيام أزمات متصاعدة ومتزايدة وهى أزمات تهدد قدرة الرئيس الأمريكى، فقد سقط بوش فى العراق وتأكد من أن ما تعانيه أمريكا اليوم فى العراق أشبه بما كانت تعانيه فى فيتنام. فقد سقط خلال الشهر الماضى فقط ما يزيد عن المائة جندى أمريكى.

وقد تسبب هذا الأمر فى لجوء واشنطن لتوجه جديد من أجل حل أزمتها فى العراق، ونفس الأمر كان سبباً فى تتبع استراتيجية جديدة بدلاً من استراتيجية تحديد جدول زمنى لخروج القوات الأمريكية من العراق، لتصبح استراتيجية تحديد جدول زمنى لنقل السيادة الأمنية من القوات الأمريكية إلى العراقيين. وهذا الأمر يؤكد أن الجمهوريين فى أمريكا يعانون مأزق خطير وقد جاءت انتخابات الكونجرس الأمريكى لتؤكد أنها انتخابات لتصفية الجمهوريين من الكونجرس.

وقد سقطت بطولة (بوش الإبن) مع الإعلان الأول لنجاح التجربة النووية الكورية، وتأكد عجز إدارة بوش عن مواجهة تطلعات هذه الدولة النووية. وهو الأمر الذى جعله يعيد تجربته السياسية هذه المرة فى السواحل الجنوبية لإيران.

وكل التطورات الأخيرة تشير إلى أن أمريكا لا تزال عاجزة عن الحصول على قرار دولى بشأن إيران. وقبل كل شئ فإن إيران اليوم تهدد برد فعل عسكرى عن أى خطوة تهدد مصالحها.

لقد أجريت المناورة العسكرية الأمريكية اليوم على حساب دول المنطقة وهى بدون أى شك تحذير جدى وشديد لإيران حول استمرارها فى الأنشطة النووية. والآن توجد أمام إيران خطوتين: الأولى وهى إدارة جديدة من أجل استمرار الدبلوماسية مع الدول العربية فى منطقة الخليج بهدف توضيح السياسات النووية الإيرانية أو تقديم المساعدة والتعاون فى مجال التكنولوجيا النووية للأهداف السلمية.

أما الخطوة الثانية فهى التتبع الدقيق للأنشطة العسكرية الأمريكية والتى تعتبر فى معناها الحقيقى تهديد ضد الأمن القومى الإيرانى.

خمسة أسباب لعجز إسرائيل عن مهاجمة إيران

■ محمد صادق أمينى ■ كزارش (التقرير)، العدد ١٧٩، أكتوبر ٢٠٠٦

أسباب عدة جعلت الملف النووى الإيرانى محط للأنظار سواء على الصعيد الإقليمى أو الدولى، ورغم إن إيران أعلنت تكراراً عن سير كافة فعالياتها النووية لخدمة استخدامات مدنية، ورغم عدم توصل تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية عبر مفتيشها الدوليين إلى دلائل تثبت خروج طهران عن إحداثيات النشاط السلمى للطاقة النووية، إلا أن الدول الغربية وخاصة دولة إسرائيل تدعى أن دخول إيران هذا المجال يمثل تهديداً حقيقياً على الاستقرار والأمن الدوليين.

وكذا رغم الإعلان المتكرر من قبل قادة إيران للتأكيد على عدم استهداف هذه البرامج لأى أحد من دول المنطقة وحتى إسرائيل، ولكن دائماً ما تسعى الأخيرة إلى الإيهام بهالة من خطورة الملف النووى الإيرانى وتداعياته على أمن واستقرار المنطقة، والتأكيد على حقها فى الردع، والقيام بضربة وقائية ضد الخطر الذى يهدد أمنها القومى.

الواقع أن إسرائيل ليس لديها القدرة الكافية للقيام بمثل هذه الضربة الوقائية على إيران، وإنما الموضوع لا يتعد إلا ممارسات الحرب النفسية، بخلق خلل فى الإرادة الحكومية والشعبية فى إيران وخاصة حيال الفعاليات النووية.

والحقيقة أن الجميع يعلم النوايا الإسرائيلية حيال إيران، لكن رغم ذلك فإسرائيل على المستوى العملى غير قادرة على توجيه ضربة جوية للمنشآت النووية الإيرانية على غرار ما قامت به فى العراق عام ١٩٨١م فبدون مساعدات خارجية، ستظل مسألة الضربة واهية وعارية من الدقة.

وعلى أية حال، فهناك دلائل "أسباب" عدة لعجز إسرائيل عن مهاجمة إيران، ومن أهم هذه الدلائل:

١- عدم إمكانية استخدام القنبلة الذرية

رغم إن الأسلحة المتطورة فى دنيا اليوم بمقدورها لعب الدور المؤثر فى أى حرب، ولكن من المسلم به، أيضاً أن نفس هذه الأسلحة هى التى تحدد رد فعل الطرف المواجه وبالتالى تحديد المصير النهائى للحرب. وإسرائيل تمتلك من ١٠٠ إلى ٢٠٠ رأس نووية وهى الوحيدة فى منطقة الشرق الأوسط الحائزة على سلاح ذرى، إلا أن كثير من الخبراء العسكريين يرون إن امتلاك الأسلحة المتطورة وحتى القنبلة النووية لا يمكن أن يكون ورقة رابحة لتحقيق النصر بالنسبة لإسرائيل فى حربها مع إيران.

ولعل انصراف إسرائيل عن توجيه ضربة لإيران، يكمن فى المساحة الجغرافية الصغيرة التى تشغلها إسرائيل، بحيث إن ٧٠ أو ٨٠٪ من سكانها يتمركزون فى نقطة بعينها، أطراف تل أبيب، وهذا التجمع تحديداً هو الذى يسبب الخسائر الفادحة لإسرائيل فى حالة وقوع أى شئ، ونموذج الحرب اللبنانية الأخيرة لحزب الله حيال إسرائيل يؤكد تلك المسألة. وصواريخ حزب الله كانت تجبرها على إخلاء مناطق كثيرة من سكانها، فماذا إذن مع الصواريخ الإيرانية ذات الرؤوس الكيماوية والميكروبية؟! لذلك فإسرائيل ستظل عاجزة عن استخدام أى سلاح نووى تجاه إيران، لأنه فى هذه الحالة ستكون إيران مجبرة على الرد بالسلاح الكيماوى البيولوجى، وحينئذ لن يبقى شئ فى إسرائيل للرد.

٢- الهجوم الجوى الإسرائيلى، ممكن نظرياً مستحيل عملياً

المعروف أن القوات الجوية الإسرائيلية استخدمت نوعيات مقاتلات معينة فى حملتها الجوية على المفاعل النووى العراقى (أوزيراك)، لاسيما مقاتلة F-15، F-16، فضلاً عن أن قرب المسافة أمام هذه المقاتلات الإسرائيلية واختراقها للرادارات العراقية سهل مهمة الوصول للهدف، لكن الوضع مع إيران مختلف، فالمسافة بعيدة وتحتاج للتزويد بوقود، إضافة إلى قدرات الدفاعات الجوية الإيرانية المستعدة دائماً لتوجيه هذه الضربة، وأخيراً وبعد الدراسات العسكرية التى أجريت من قبل الخبراء العسكريين بجامعة تل أبيب حول طرائق القيام بضربة جوية على إيران، فقد توصلوا لحقيقة مفادها، أنه لا يوجد أى ضمانات لنجاح الضربة الجوية للمنشآت النووية الإيرانية، ولو أن إسرائيل أرادت تكرار محاولة ضرب المفاعلات العراقية مجدداً مع إيران فإنها لن تنجح حتى ولو استخدمت مقاتلات F - 16. فهذه المقاتلات بمقدورها الوصول لأهدافها فى إيران، إلا أنه بسبب المسافة الطويلة نسبياً إلى إيران، فإن هذه المقاتلات ستكون فى حاجة للتزويد بوقود الطائرات، حتى مع حالات تحديث

إسرائيل لخزانات الوقود القديمة- يوينج - ٢٠٢، فالأمر يحتاج لقواعد قريبة لاسيما قواعدها فى تركيا وبعض الأنظمة المتحالفة معها، وعلى افتراض أن تركيا وافقت على فتح قواعدها العسكرية أمام تلك المقاتلات، فلسوف تبقى المشكلة الرئيسية، ألا وهى مشكلة انتشار المنشآت النووية الإيرانية عبر أنحاء متفرقة داخل الأراضى الإيرانية.

٣- القدرات الصاروخية الإيرانية أكبر من القدرات الإسرائيلية

على افتراض أن إسرائيل أرادت استخدام الصاروخ فى ضرب المنشآت النووية الإيرانية (صاروخ جريكو ٢٠٠٠). فإن هذا الصاروخ يحتاج لقطع مسافة، طويلة ومع الأخذ فى الاعتبار، إمكانية الخطأ، فقد تفشل الضربة، والتجارب السابقة التى أجرتها إسرائيل فى هذا المجال العام السابق. قد تكون ردعاً لها. وفى المقابل هناك صواريخ شهاب الإيرانية القادرة على استهداف الأهداف الإسرائيلية.

٤- عجز القدرات الإسرائيلية عن القيام بضربة وقائية

استطاعت القوات الجوية الإسرائيلية فى أحد أيام شهر يونيو عام ١٩٨١م، وتحديداً الساعة الخامسة و ٣٥ دقيقة مساءاً إرسال سرب طائرات مكون من ١٦ مقاتلة عسكرية، حلق تحت خط الردار حتى وصل إلى الهدف المرسوم له جنوب بغداد، وفى أقل من ٩٠ ثانية استطاع تدمير المفاعل النووى العراقى، بدون أن تدور القوات العراقية الجوية التى عجزت عن توجيه أية ضربة لتل أبيب، بسبب مفاجئة الضربة وسريتها، إذ أن إسرائيل كانت قد أخفت توقيت الضربة حتى على البيت الأبيض، أما تكرار المحاولة اليوم، فالأمر مختلف، لأن القوات الأمريكية متمركزة اليوم فى المنطقة وترصد كل شئ، وأى تحركات من قبل إسرائيل لتكرار المحاولة وفى ظل الظروف المحيطة لن يقابل بالرضا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، التى لديها حساباتها المختلفة مع توجيه ضربة إسرائيلية نووية لإيران، إضافة إلى عجز القدرات الإسرائيلية عن القيام بمثل هذه الضربة السريعة أصلاً.

٥- عدم امتلاك إسرائيل للقدرات المالية الكافية للهجوم

رغم إن القيادات الإسرائيلية دائماً ما تعلن استعدادها لتوجيه الحملة الإسرائيلية على إيران، إلا أن الإجراءات السياسية فى إسرائيل اليوم خاصة بعد تجربتها الأخيرة مع حزب الله وفشلها الذريع فى لبنان سيجعل التصريحات الإسرائيلية حيال إيران غير ممكنة التحقيق، نظراً لكونها تحتاج لقدرات عالية، والاقتصاد الإسرائيلى بعد المراحل السابقة يمر بأزمات عضال، ولعل حلفائها الغربيين وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية لن يمكنها تقديم مساعداتها المالية لشن هجوم عسكرى غير مضمون نتائجه، هذا بجانب، الخسائر الفادحة الأمريكية فى العراق والتى تعد اليوم حوالى ٣٠٠ مليار دولار وتبعاً الإدارة الأمريكية ليس بمقدورها تحمل خسائر عسكرية فادحة أخرى.

ومما سبق ومن خلال الخمسة أسباب السابقة، نصل إلى نتيجة مفادها، أن احتمال توجيه ضربة عسكرية إسرائيلية- بمساعدة أمريكية- إلى منشآت إيران النووية تتلاشى يوماً بعد الآخر، وخاصة فى ظل تطوير إيران لدفاعاتها العسكرية.

عداء من الدرجة الأولى، أم توحد استراتيجى؟

■ بازتاب (الصدى) ٢٠٠٦/١٠/١٤

فى الوقت الذى أعلنت فيه إيران رسمياً انضمامها للنادى النووى وامتلاكها للتكنولوجيا النووية، سارعت كل الدول العربية فى الخليج خاصة وفى منطقة الشرق الأوسط على سبيل العموم بإعلان قلقها حيال برنامج إيران النووى وتطورات إعلانها الانضمام للنادى النووى، الغريب أن بعض هذه الدول ليست بغريبة عن هذا الأمر فمصر والمملكة العربية السعودية لديهما تجارب فى هذا الشأن وحتى عام ١٩٨٦ كانت مصر من السابقين فى إعلان استخدامهم للتكنولوجيا النووية، وقد أعلنت رسمياً مؤخرا عودتها إلى اتخاذ خطوات جادة فى هذا الشأن.

و لا أحد يستطيع أن ينكر أن المملكة العربية السعودية كانت من رفقاء باكستان فى مشروعها النووى، وباكستان اليوم من القوى النووية المعروفة.

وليس ببعيد أن يعلن مجلس التعاون الخليجى قريباً اتخاذ خطوات هو الآخر فى هذا الشأن، وستكون

السعودية هى الأقرب لاتخاذ هذه الخطوة.

ولا أحد ينكر أيضا أن كل ما سبق يمثل نتيجة طبيعية لإعلان إيران حصولها على التقنية النووية.

إن الدول العربية فى منطقة الشرق الأوسط تعلم جيداً أن الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة تضخم من شأن العسكرية الإيرانية وخطرها وخاصة البرنامج النووى ومن هذا المنطلق فإن الخبراء والمؤسسات الاستراتيجية العربية الآن تؤكد أيضاً أن تأثير الملف النووى ليس عسكريا وذلك لأن إيران ليس لديها أى من المعدات العسكرية النووية، ولكن أهمية الملف النووى تنبع من كون امتلاك إيران لهذه التقنية سيحولها من قوة إقليمية فى الشرق الأوسط والخليج لقوة دولية، وهذه الوجهة الجديدة لإيران يمكن أن تؤدى إلى تغيير الاستراتيجيات ورؤية الدول العربية للتوازنات الإقليمية والدولية.

ويومياً يثبت أنه حتى بدون الحصول على القنبلة النووية أو السيطرة والحصول على التكنولوجيا النووية السلمية فإنه يمكن تغيير التوازنات الإقليمية.

فإيران تستطيع أن تصبح قاعدة للعلاقات فى المنطقة وعنصر رئيسى لهذه العلاقات أساسها المصالح والمنافع الإقليمية للدول بدون تدخل أى عنصر خارجى.

ولا شك أنه كلما اختل معدل توازن القوى والتحالفات فإن معدل تواجد القوى الأجنبية سيكون فى تزايد مستمر، وكلما قلت الحساسيات العسكرية والأمنية، زاد معدل الترابط والتعاون بين دول المنطقة.

ومن نفس المنطلق فإن موقف إيران فى المجال النووى يجب أن يكون عنصر جديد فى علاقات دول المنطقة وخاصة مع الدول العربية، وخاصة بعد العرض الذى أعلنه هاشمى رفسنجانى عن استعداد إيران لنقل هذه التقنية إلى الدول العربية ولكن سعى أمريكا اليوم يهدف إلى تحويل هذا الانتشار العظيم لإيران إلى مجال للصدام والعداء بين العرب وإيران فى إطار القضايا الأمنية والعسكرية.

وإيران فى عهد الشاه لم تكن لها علاقات مع مصر فى عهد (جمال عبد الناصر) وبعد مجئ أنور السادات كان العهد الذهبى فى علاقات الطرفين ثم ساءت مرة أخرى بعد الثورة وكان العنصر المشترك فى هذا الأمر الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها فى الشرق الأوسط.

من ناحية أخرى فإن إيران لها علاقات استراتيجية مع دمشق وعلاقات قوية (عقائدية وفكرية) مع المقاومة اللبنانية والفلسطينية، كذلك فإن طهران لا تنكر دورها فى تطورات العراق واستقراره وأمنه.

وخلال العقد الأخير من عهد رفسنجانى حتى خاتمى ونجاد كانت سياسة إيران الخارجية تقوم على توسيع العلاقات وإزالة التوتر مع دول المنطقة. وتدعيم العلاقات الإيرانية مع المملكة العربية السعودية وباقى الدول العربية وتشير كل هذه العوامل إلى أن تعامل إيران بكل ميولها السياسية فى المنطقة، أصل مسلم به ولا يمكن تجاهله.

كذلك فإن هذه الطاقات العالية لإيران اليوم بعد امتلاكها الطاقة النووية جعلت لإيران القدرة على الظهور بجانب القوى العظمى.

وكل هذه النقاط القوية لإيران والتى لا يجب أن تذهب سدى تحت أى ظروف هى مجموع نتاج سبع وعشرون عاماً من الجهد والدبلوماسية الناجحة فى ظل مبادئ الثورة الإسلامية وتستطيع إيران بهذا الوضع التعاون مع كل دول المنطقة بمختلف ميولها السياسية، وإزالة الحساسية الأمنية والعسكرية التى صنعتها أمريكا فى المنطقة لخدمة أهدافها ومصالحها.

وعاجلاً أو آجلاً فإن كل دول المنطقة سوف تسعى للحصول على التقنية النووية سواءً فى إطار قرار سيادى فردى أو قرار جماعى فى إطار تحالف أو اتحاد.

وهناك تساؤلات عديدة مطروحة الآن على الساحة فى ظل هذه الأزمة فكل الحكومات لديها الحق فى الاستفادة من التكنولوجيا النووية السلمية فهل بغض النظر عن إمكانية الاستفادة العسكرية، يمكن أن نقول بأن إيران لديها الحق فى هذه القدرة.

وهل مجرد تحول إيران إلى قوة نووية أمر يمثل خطر لنا أم لا؟ أم أنه فقط يجب توخى الحذر فى فرضية امتلاك إيران لبرنامج نووى عسكرى؟

كل هذه التساؤلات وتساؤلات أخرى تدور فى أذهان الحكومات العربية والغربية، ومن هذا المنطلق فإنه يجب عند بحث هذه المسألة فى الحوار مع الغرب وأوروبا أن نفضح الأكاذيب والافتراءات وتوضيح الحقائق بشفافية حتى يمكن إيجاد ثقة فى المباحثات، وهذا الأمر سيكون باعث لطهران من أجل تعميق العلاقات مع الدول العربية وإزالة كل نقاط الالتباس والغموض فى الموضوعات المشتركة.

نقاط حول نهاية الحرب فى لبنان

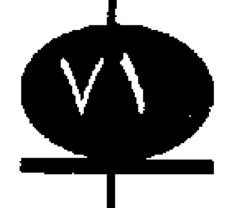
مجيد سيادت ■ ميهن (الوطن) العدد ١٠٣، أكتوبر ٢٠٠٦

من الضرورى تناول انتهاء الحرب فى لبنان وإقرار وقف إطلاق النار من ثلاث زوايا. ومن الطبيعى أن يكون السؤال الأول هو: ماذا حدث فى هذه الحرب ومن هو الطرف المنتصر فيها؟ والسؤال الثانى هو: ما الذى أسفرت عنه نتائج هذه الحرب من تغيير فى منطقة الشرق الأوسط فى الحاضر والمستقبل وكيف صار وضع توازن القوى وتنظيم الصفوف فى المنطقة. وأخيرا ماذا سيكون تأثير هذه التغيرات على موقف إيران وهل زاد خطر الهجوم الأمريكى على إيران أم قل؟

١- انتهاء الحرب

بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ فى الثانى عشر من أغسطس ٢٠٠٦ انتهت آخر الحروب بين العرب وإسرائيل وقد استمرت هذه الحرب لمدة ٣٤ يوما لذا فهى تعد أطول الحروب التى خاضتها إسرائيل مقارنة بحربى ١٩٦٧، ١٩٧٣ التى انتهت كل منهما فى أيام قليلة، كما أن إسرائيل قد تمكنت فى هجومها على لبنان عام ١٩٨٢ من التوغل حتى عمق ١٥ كيلومترا فى الأراضى اللبنانية فى يومين فقط. ومع هذا لم يستطع الجيش الإسرائيلى أن يفعل شيئا مع خمسة أو ستة آلاف من القرويين اللبنانيين ومعظمهم من مزارعى التبغ، وهم بالطبع لم يتلقوا تدريبات عسكرية ولكنهم يتمتعون بروح المقاومة كما كانت عقائدهم الدينية من أهم العناصر المؤثرة فى ثبات جنود حزب الله. وربما يكون أهم نقاط الاختلاف بين هذه الحرب والحروب السابقة بين العرب وإسرائيل ما يطلق عليه استراتيجية "الحرب غير المتكافئة" فقد استفاد حزب الله من التكنولوجيا الحديثة فى تحويل الحرب إلى نوع من حرب العصابات وقد تدرب حزب الله على هذا النوع من الحروب لسنوات عديدة ووضع الاستراتيجية المناسبة للظروف القائمة لمواجهة قوة الجيش الإسرائيلى المتفوقة عليه.

ومقولة "الحرب غير المتكافئة" هى من أحد الوجوه تعنى حرب العصابات التى تعد حرب فيتنام أبرز نماذجها. ونقطة التشابه بين الحرب غير المتكافئة وحرب العصابات تتمثل فى أن أحد الطرفين يستخدم وسائل الحرب غير المنظمة بينما يختلف هذان النوعان فى الاستفادة من الإمكانيات التى تتيحها التكنولوجيا المعاصرة للطرف الأضعف. فى حرب لبنان الأخيرة استخدم حزب الله الصواريخ المتقدمة المضادة للدبابات وأجهزة الرؤية الليلية ووسائل الاتصال الحديثة وهى العناصر التى مكنت الطرف الأضعف من المحافظة على شبكات "القيادة والتحكم" طوال الحرب. وقد استمرت وسائل الاتصال التابعة لحزب الله وكذلك أجهزته الإعلامية وخاصة تليفزيون المنار فى عملها طوال فترة الحرب ولم تتمكن إسرائيل من قطع خطوط الاتصال وأجهزة الإعلام التابعة لحزب الله رغم القصف المتكرر. وقد تكررت مزاعم إسرائيل بأنها قد دمرت شبكات البنية التحتية لحزب الله ولكن حزب الله أثبت كذب هذه المزاعم فى اليوم الأخير للحرب عن طريق إطلاق مائتى صاروخ على الأراضى الإسرائيلية. وفى اليومين الأخيرين من الحرب (عندما قرر الإسرائيليون الموافقة على وقف إطلاق النار) قام الجيش الإسرائيلى بهجوم لكى يتيح له فرصة الوصول إلى نهر الليطانى الذى يبعد عن الحدود الإسرائيلية بمسافة سبعة أو عشرة كيلومترات. وفى هذا الهجوم الذى استغرق يومين جاء الجنود الإسرائيليون بالمروحيات والتقطوا صورا على شاطئ النهر للادعاء بأنهم توغلوا فى الأراضى اللبنانية لمسافة عشرة كيلومترات وبعد ساعات ركبوا مروحياتهم وعادوا إلى الشريط الحدودي. وقد شكا العديد من الإسرائيليين من هذا الهجوم غير المنطقى بل إن بعض الأسر التى تعرضت للخسائر حملوا الحكومة الإسرائيلية ورئيس الوزراء الإسرائيلى شخصياً مسئولية فقدان ذويهم. وشهدت هذه الحرب لأول مرة تنحى قائد القوات الإسرائيلية فى القطاع الشمالى (أى الحدود مع لبنان) عن منصبه فى أثناء الحرب وهو ما كان يعتبر دليلاً على أن نتائج الحرب لم تكن على النحو الذى يتوقعه الإسرائيليون.



وإذا نظرنا إلى هذه الاشتباكات من الوجهة العسكرية البحتة فيجب أن نقول إن هذه الحرب لم تسفر عن منتصر ومنهزم. وبالطبع يعد هذا التعادل دليلاً على تحقيق حزب الله انتصاراً سياسياً. فقد نجح حزب الله بقدراته المحدودة من الثبات أمام إسرائيل ويخرج مرفوع الرأس. واليوم نجد صور الشيخ نصر الله الشيعى معلقة على جدران الكثير من المنازل والمحلات التجارية فى القاهرة وعمان. وقد تمكن من أن يحتل مكانة عبد الناصر وعرفات فى قلوب العرب. وقد حصد حلفاء حزب الله فى المنطقة وخاصة سوريا ولبنان مكاسب عديدة من وراء هذا النصر السياسي. ويجب أن نأمل ألا نبالغ فى تقدير حجم هذا الانتصار

ونتوقع أن هناك الكثيرين من حسنى النية سيعطونه أكثر من حجمه. وبالطبع لم يكن الشيخ حسن نصر الله من هؤلاء فقد أعلن عند نهاية الحرب أنه انتصر فى الحرب كما أشار إلى نقطتين فى غاية الأهمية فقد أعلن أولاً أنه بالرغم من قبول وقف إطلاق النار إلا أن حزب الله يحتفظ بحقه فى الهجوم على الجنود الإسرائيليين الموجودين فى الأراضى اللبنانية وثانياً أعلن أسفه عن نشوب هذه الحرب وأنه لو كان يعرف أن أسر جنديين إسرائيليين سوف يؤدى إلى نشوب الحرب لما أقدم على أسرهما. وهذه المواقف لا تصدر إلا عن زعيم يتخذ قراراته بعيدا عن الضجة ويدرك جيداً مسئولية الحرب وآلامها ويدرك كذلك قدرة العدو على التسبب فى المزيد من الآلام.

هناك ما يلفت النظر عند مقارنة الخسائر التى لحقت بكل من الطرفين، فالخسائر البشرية لكل من الطرفين فى هذه الحرب تبلغ ١٥٠ فردا وتزعم إسرائيل أنها قتلت ٥٠٠ من جنود حزب الله ولكن هذا الرقم أكثر بكثير من الحقيقة كما يرى معظم المراقبين الأوروبيين ولكن إسرائيل تريد أن تدرج الخسائر المدنية اللبنانية ضمن الخسائر العسكرية. أما أرقام الخسائر المدنية فى الحرب فهى متباينة بين الطرفين تبايناً واضحاً فقد قتل فى هذه الحرب أكثر من ألف من المدنيين اللبنانيين وفى المقابل قتلت صواريخ حزب الله حوالى ثلاثين مدنيا إسرائيليا. ومن هنا يمكن الإشارة إلى أن إسرائيل كانت تزعم أن قصفها كان يستهدف المواقع العسكرية فقط وأن المدنيين كانوا يصابون بشكل غير متعمد وأن صواريخ حزب الله كانت تستهدف المدنيين فى المقام الأول. وفى الأيام التالية للحرب عقد أحد الكتاب الإسرائيليين بصحيفة ها آرتس مقارنة بين هذه الأرقام متعجبا وقال كيف يمكن أن نستخدم أسلحة متقدمة وموجهة ويلقى أكثر من ألف شخص مصرعهم عن غير عمد بينما تعمد حزب الله قتل المدنيين ولا تتمتع صواريخه بالدقة الكافية ويقتل ثلاثين شخصاً فقط؟

الحقيقة أنه لا يمكن المقارنة بين الإمكانيات العسكرية لكل من الطرفين. فوفقا لاعتراف الضباط الإسرائيليين أنفسهم (هاآرتس ١٢ سبتمبر) فقد أطلق الجيش الإسرائيلى على لبنان أكثر من مليون قنبلة من القنابل العنقودية وهى مصنعة خصيصا لقتل المدنيين وخلق الرعب والفزع وهذا العدد من القنابل سوف يتسبب فى مقتل الأبرياء لعدة سنوات قادمة. كما ألقت إسرائيل على لبنان آلاف الأطنان من القنابل وسببت خسائر تقدر بمليارات الدولارات. وقد بلغ شدة القصف الإسرائيلى إلى درجة خلو مخازن الذخيرة الإسرائيلية مما اضطر الولايات المتحدة إلى إرسال القنابل الدقيقة إلى إسرائيل جوا. بينما أطلق حزب الله على إسرائيل أربعة آلاف صاروخ يحتوى كل منها على بضعة كيلوجرامات من المواد المتفجرة.

كما لا يمكن مقارنة القدرة العسكرية لكل من الطرفين، فإذا اتخذت إسرائيل قراراً بالتوغل حتى بيروت بأى ثمن فإن قوات حزب الله لا تستطيع منعها من تنفيذ هذا القرار. وقد استدعت إسرائيل حوالى نصف قواتها الاحتياطية. وقد كانت نقطة الضعف الإسرائيلية فى سياستها المتعلقة بضرورة انتصارها فى هذه الحرب. فقد كان بمقدور إسرائيل تدمير جميع مواقع حزب الله عن طريق شن هجوم شامل ولكن مثل هذا الهجوم كان يمكن أن يتسبب فى خسائر كبيرة وفى هذه الحالة لن تتمكن من تبرير مقتل الآلاف من جنودها فى ظل الهدف المعلن من شن هذه الحرب فقد كان الزعماء الإسرائيليون يزعمون أن السبب فى هذا الهجوم هو إنقاذ الجنديين الإسرائيليين اللذين أسرتهما قوات حزب الله وليس هناك عاقل يقبل بتعريض آلاف الأشخاص للخطر من أجل إنقاذ شخصين فقط. فهناك الآن ضجة كبيرة فى إسرائيل بسبب الخسائر الإسرائيلية التى تتحصر فى "المئات" وهناك الكثيرون ممن يطالبون بعزل رئيس الوزراء السيد اولمرت ومنهم كبار الضباط.

فى حرب أفغانستان منذ سنوات قليلة احتلت الولايات المتحدة دولة متخلفة بخسائر قليلة للغاية. واستكملت هذه السياسة فى الهجوم الثانى على العراق وسميت استراتيجيتها العسكرية العامة باسم "حرب الرعب" وقد تمت حسابات هذا النوع من الحرب فى ظل التفوق التكنولوجى الأمريكى على أعدائها. حيث تتمكن الولايات المتحدة من تدمير كافة مراكز القيادة والتحكم لعدوها فى خلال أيام قليلة عن طريق التفوق الكبير فى السلاح الجوى والصواريخ والقنابل الموجهة توجيها دقيقا وبعد ذلك تقوم بالهجوم الأرضى باستخدام دبابات لا يمكن لأعدائها تدميرها. ومن هنا يتحدد مصير الحرب حيث يكون الخوف والرعب قد دب فى قلوب الأعداء فتكون مقاومتهم نوعا من الانتحار أو على الأقل بلا جدوى. ففى حرب الكويت تمكنت القوات الأمريكية من القضاء على فرق الجنود والدبابات العراقية دون خسائر تذكر. ومثل هذه الإبادة للجنود التى ليس لها أى مبرر قد أدى إلى أن الجنود الأمريكيون كانوا يشبهون ضرب فرق الدبابات العراقية بعملية "صيد الديوك الرومي".

كانت إسرائيل ترغب فى تنفيذ هذه الاستراتيجية. فبمساعدة الهجمات الجوية الإسرائيلية تم تعطيل العديد من مراكز التجارة والاتصالات اللبنانية وكان المتوقع أنه فى مرحلة دخول الدبابات الإسرائيلية فإن الموقف سيكون مماثلا لدخول الدبابات الأمريكية إلى العراق. ولكن لم

يحدث هذا، فدبابات ميركافا الإسرائيلية والتى يقال إنها مجهزة بأقوى درع دفاعى فى العالم تحولت أمام صواريخ حزب الله إلى أكوام من الحطام أى أن صاروخاً ببضعة مئات من الدولارات يدمر دبابة بملايين الدولارات (لم تعلن أسعار الصواريخ ولكن معظم المصادر المطلعة ذكرت أنها صناعة إيرانية وهو ما يؤكد رخص أسعارها). استفادت قوات حزب الله من أجهزة الاتصال الحديثة نسبيا فى التعرف على المواقع الإسرائيلية والاستعداد لها وبلغ الأمر أن القوات الإسرائيلية لم تجرؤ لمدة اثنين وثلاثين يوما من الحرب على التوغل لأكثر من كيلومترين داخل الحدود اللبنانية.

أدت الحرب إلى كشف نقطة ضعف كبيرة فى استراتيجية "حرب الرعب" فرغم أن الأمريكيين (والإسرائيليين) لديهم القدرة العسكرية والاستعداد النفسى لهزيمة أعدائهم إلا أن عليهم العثور على التبرير اللازم للخسائر المحتملة التى تلحق بهم. ومن هنا يمكن القول إن حرب لبنان ليست الفصل الثانى لحرب العراق بل هى الفصل الأخير لاستراتيجية "حرب الرعب"، فهناك توازنات قوى مختلفة فى المنطقة ومن المنطقى أن الولايات المتحدة وإسرائيل سيضطروا إلى الاقتناع بممارسة سياسات أكثر عدلاً فى المنطقة والتخلى عن بعض الادعاءات المفرطة. فمن المنطقى أن تقدم إسرائيل للفلسطينيين واللبنانيين مزيدا من الامتيازات ومن المنطقى أن تقدم الولايات المتحدة أسباباً أكثر إقناعاً لحروبها التالية وتأتى سياسات السيد بوش الأخيرة المتمثلة فى توجيه الاتهامات إلى إيران فى هذا الإطار وبالتالى سيكون للنجاح فى إدارة الحملات الإعلامية بين إيران والولايات المتحدة دور مهم فى تحديد مصير السلام أو الحرب فى الشرق الأوسط. وفيما يتعلق بالحرب اللبنانية يقول المعلق الأمريكى لصحيفة نيويوركر السيد سيمور هرش إن إسرائيل والولايات المتحدة يعدان لشن هذه الحرب منذ عام فقد أعد الضباط الأمريكيون والإسرائيليون الخطط المتعلقة بها انتظاراً لأول ذريعة لتبرير الإجراءات العسكرية وكانت هذه الذريعة هى وقوع الجنديين الإسرائيليين فى أسر قوات حزب الله. كما يقول إن الهدف من هذا الهجوم كان مخططاً له من قبل ويتمثل هذا الهدف فى التعرف الدقيق على الإمكانيات العسكرية والاستراتيجية الحربية الإيرانية تحسبا لأى هجوم محتمل على إيران فى المستقبل.

ويعكس قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار فى لبنان حقائق ما بعد الحرب فهذا القرار لم يلتفت إلى أى من أهداف إسرائيل الرئيسية فلم يكن هذا القرار هو ما يرغب فيه الإسرائيليون قبل الحرب وحتى الأيام الأخيرة منها فلم يتضمن القرار أية إشارة إلى القضاء على حزب الله كما سكت عن إطلاق سراح الجنديين الإسرائيليين الأسيرين لدى حزب الله واللذين تذرعت إسرائيل بإنقاذهما تبريرا لشن هذه الحرب. وإذا بهم الآن مضطرون إلى الدخول فى جولة من المساومة مع حزب الله والاتفاق معه، ويقال إن حزب الله سيساوم على مبادلة بعض الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين بهذين الجنديين. كما لم يوضح القرار هل ستعمل قوات حفظ السلام وفقا للبند السابع أم السادس من إعلان الأمم المتحدة وهل سيسمح للحكومة اللبنانية بتنفيذ عمليات عسكرية أم لا. والقوات الدولية على هذا النحو سوف تفتقد الشرعية لإجراء أية عمليات مسلحة.

كان الهدف الثانى لإسرائيل هو القضاء على حزب الله، ففى بداية الحرب كانت إسرائيل تقول إنها سوف تقضى على حزب الله ثم تم تخفيف هذا الهدف إلى طرده من جنوب لبنان. وأخيراً قنعت إسرائيل بنزع السلاح من حزب الله بل إن هذا الهدف المحدود لم يتحقق عمليا. فحزب الله يعلن الآن أن عدد صواريخه يصل إلى عشرين ألفا وأنه لن يترك السلاح إلى أن تكون للجيش اللبنانى القوة اللازمة للدفاع عن حدود لبنان. ويبدو أن حزب الله يريد التخطيط للاندماج فى الجيش اللبنانى والواقع أنه بالنظر إلى معطيات القوة العسكرية فإن مثل هذا الدمج سيكون دمجا للجيش اللبنانى فى حزب الله وليس العكس وبالتالى الاعتراف بالممارسات العسكرية لحزب الله. وهذا النوع من دمج القوات غير المنظمة فى القوات المنظمة أو تحول أحدهما إلى الأخرى قد حدث من قبل فى العراق وأفغانستان وحصلت القوات غير المنظمة على الشرعية عن طريق هذا الدمج.

٢- الشرق الأوسط والقضايا المترابطة

أولا:

كانت أبرز الأمور التى ظهرت طوال فترة الحرب هى الترابط الوثيق بين قضايا دول الشرق الأوسط المختلفة. فقد بنيت كافة التحليلات بل والمناورات السياسية للأطراف المختلفة على هذا الترابط. وبالطبع هناك شد وجذب بين قضايا البلاد المختلفة لاعتبارات جغرافية وقومية وسياسية ودينية ولكن ما شهدناه فى فترة الحرب كان شيئا مختلفا.

وأنا أرى أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط هى العامل الأول لهذا الترابط فهى سياسة واحدة تتبع فى مناطق مختلفة. ومن الواضح أن الأطراف الفاعلة فى المنطقة تنتمى إلى مشارب مختلفة ولا يمكن القول إن هذا الترابط يوحد بينها فى المصير أو حتى فى العمل. فلا يمكن وضع حزب الله والقاعدة فى سلة واحدة، وبالرغم من ذلك فوجودهما يؤثر على مجرى الأحداث فى المنطقة تأثيراً لا ينكر.

وبعبارة أخرى سوف يتأثر مصير إيران فى الأعوام القليلة القادمة تأثراً مباشراً بمصير لبنان وفلسطين وأفغانستان ولا يمكن أن نتوقع أن دولة أو عدة دول فى المنطقة سوف تحقق السلام والاستقرار بينما تبقى عدة دول أخرى فى النار والاضطراب، فالأمور فى الشرق الأوسط متداخلة بحيث لا يمكن فصل ما يحدث فى بلد عما يحدث فى البلاد الأخرى.

ثانيا:

كشفت نهاية الحرب عن تغيرات فى موازين القوى فى الشرق الأوسط وأثرت بدورها فى زيادة قوة القوى المعارضة للولايات المتحدة. فاليوم يمكن القول بسهولة إن يد الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين قد ضعفت حيث تزايدت أبعاد المشكلات التى تواجههم بعد الحرب عما كانت عليه قبلها. وبالطبع لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى المستقبل كنتيجة لهذه الحرب ولكن يمكن القول بكل يقين إن حلفاء الولايات المتحدة سوف يواجهون المزيد من المتاعب. فقد وصلت جرائم إسرائيل ومقاومة حزب الله إلى أنظار المواطنين العرب فى الشوارع والأزقة عن طريق شاشات المنار والجزيرة والعربية، وبالطبع عندما يصل الأمر إلى علم رجل الشارع العادى فلابد أن نتوقع تغيرا يتناسب مع هذا العلم. وفى الوقت نفسه تجرى تطورات أخرى فى المنطقة تشير بوجه عام إلى تزايد سوء الموقف الأمريكي، وهي:

فى العراق

صار موقف القوات الأمريكية فى غاية السوء فالقادة العسكريون الأمريكيون يعترفون بأنهم فقدوا ولاية الأنبار. وفى الوقت نفسه يصرح قائد الجيش الأمريكى قائلا: "إننا ليست لدينا ميزانية كافية للحرب فى العراق" كما أعلن العديد من الجنرالات الأمريكيين فى السنوات القليلة الماضية عدم رضاهم عن السيد رامسفيلد. وكان آخر المشاهد المهمة فى هذا الصدد هو التقرير المشترك لعدد من المؤسسات البحثية الأمريكية (١٦مؤسسة) ونشر فى النصف الأول من سبتمبر بصحيفة نيويورك تايمز وجاء فيه أن الحرب على العراق قد أدت إلى زيادة خطر الإرهاب وأن احتلال العراق تحول إلى راية لنضال أوسع نطاقا. وقد جاء هذا التقرير لنفى تصريحات السيد بوش وهو يشير إلى أن هناك مخاوف قد ظهرت فى الولايات المتحدة بسبب السياسات الأمريكية الحالية وأن هذه المخاوف متزايدة.

فى أفغانستان

طوال فصل الصيف كان الموقف العام للقوات الأمريكية وحلفائها - الناتو - يزداد سوءا فقد تمكنت حركة طالبان من إعادة تنظيم صفوفها عن طريق تطبيق التكتيكات العسكرية التى تم التدريب عليها فى العراق (وربما أيضا عن طريق الأموال التى تصل من مزارع الأفيون). وقد بلغت الخسائر الحربية التى لحقت بقوات الاحتلال حدا دفع قائد الناتو إلى المطالبة أكثر من مرة بزيادة عدد القوات العسكرية فى أفغانستان كما أصاب دول الناتو القلق إلى حد أنها طالبت بإرسال ألفى جندى إضافى إلى أفغانستان. وأخيراً عندما تم تكليف ألف جندى إذا بالدول تعلن أن القوات الجديدة قد أرسلت فقط للتمركز فى كابل وشمال أفغانستان وأنها - الدول - غير مستعدة لإرسال قواتها إلى الجنوب منطقة الاشتباك العنيف مع طالبان.

فى الوقت نفسه وقعت حكومة باكستان اتفاق سلام مع قبائلها المقيمة بالمناطق الحدودية فى منطقة وزيرستان معقل حركة طالبان ووافقت فى هذا الاتفاق على إطلاق سراح أسرى الحرب بل وإعادة أسلحتهم إليهم. وفى النهاية أعلن الجنرال برفيز مشرف فى حوار تليفزيونى أجراه فى الولايات المتحدة حيث ذهب لحضور اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى منتصف سبتمبر أن حكومة السيد بوش قد أخطرته بعد أيام من كارثة الحادى عشر من سبتمبر بأنه إذا لم تستسلم باكستان لسياسة الولايات المتحدة فإنها ستتعرض للقصف الأمريكى العنيف الذى سيعيدها إلى العصر الحجري. ويضيف أنه لهذا السبب ولمصلحة بلاده وافق على تغيير موقف باكستان. وأول أمر جدير بالانتباه هو أن طلب المساعدة عن طريق التهديد لا يؤدى إلى نتائج طيبة أبداً والأمر الثانى هو لماذا لم يعلن هذا الأمر حتى الآن وما هى الظروف التى منحت السيد مشرف الشجاعة لإعلان هذا الخبر المثير. منطقيا يجب أن نقول إن الجنرال الباكستانى قد وضع فى حساباته أن الموقف الأمريكى قد صار إلى الضعف وأن هذا الموقف ربما يشجعه على رفع سعر بضاعته.

كما أن هناك دلائل عديدة على ضعف موقف الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. ومع هذا يجب أن نؤكد على أنه بالرغم من هذا الضعف إلا أن الولايات المتحدة لا زالت تتمتع بالتفوق فى المنطقة.

ثالثا:

تؤدى الاعتداءات والحروب المفروضة على شعوب الشرق الأوسط إلى جانب الفقر والأمية والحكومات الديكتاتورية إلى تعاظم الإرهاب الذى يعد بن لادن والزرقاوى أسوأ نماذجه. ففى ظل هذه الظروف سيؤدى نجاح حزب الله بالعديد من الشباب فى المنطقة إلى المضى فى هذا الطريق. فالحماس والرغبة فى المقاومة هى فى الواقع سلاح ذو حدين. فعندما تنعدم البواعث الحقيقية مثل أن تحل القضية الفلسطينية مثلا أو تخف حدتها وتخرج الولايات المتحدة من العراق وأفغانستان فالمتوقع أن هذه الجماعات ستستمر فى أنشطتها الإرهابية وتتحول إلى عقبة فى طريق استقرار المجتمعات وتطورها. وفى

هذا المجال من الضروري أن نتأمل في أحداث العقود الأخيرة. فالمنظمات التي بدأت بأنشطة مسلحة صرف ونبعت من الشعوب قد خرجت من حالتها الأصلية تدريجيا مثل منظمة فتح وأمل وحماس وحزب الله فقد تغيرت ملامح هذه المنظمات نظرا لأن مسئولية تلبية الاحتياجات اليومية للشعوب قد ألقيت على عاتقها فتحول وجهها الباكي الحزين إلى ملامح أكثر قبولا وتفهما.

بينما المنظمات التي لا تتحمل مسئولية القضاء على المشكلات الحياتية للناس يمكنها أن تظل على حالها، فالقاعدة لها بالطبع العديد من المؤيدين والموالين ولكنها لم تتحمل مسئولية إدارة شئون الحياة لأي شعب ولهذا ليست هناك أية آلية تجذبها إلى الحياة والفكر المعاصرين. وبالطبع يمكن أن ينطبق هذا أيضا على حركة طالبان، وإذا كانت تتحمل مسئولية إدارة بلد (أو جزء كبير من بلد) ومع ذلك لم تتغير تغيرا ملحوظا فأنا أعتقد أن هذا الجمود يرتبط بمستوى التخلف الاجتماعي لأفغانستان عامة واستمرار حالة الحرب الذي يقلل من إمكانيات النمو الفكري.

٣- إيران في الشرق الأوسط

أدت نهاية الحرب إلى تقوية يد كل من إيران وسوريا ويتوقع بعض المراقبين في الشرق الأوسط ان إسرائيل ستبدي استعدادها لإعادة مرتفعات الجولان إلى سوريا مقابل عقد اتفاقية سلام معها. بل إن هناك شائعات انتشرت عن أن الولايات المتحدة قد أعلنت لسوريا أنها ستعيد التعامل معها إذا أقدمت الأخيرة على قطع علاقاتها مع إيران. ويبدو أن تأثير إيران ونفوذها - وخاصة نفوذها السياسي - قد تعاظم في المنطقة بأكملها. وفي المقابل انتاب الضعف المعسكر الأمريكي. وربما يمكن القول إن احتمالات نشوب حرب مباشرة قد تضاءلت. وقد أدى انخفاض التوتر بالمنطقة إلى استقرار أسواق النفط العالمية وانخفضت أسعار النفط في النصف الثاني من سبتمبر إلى ما دون الستين دولارا للبرميل، أي أن سعر النفط قد انخفض بنسبة حوالي الربع في ظرف حوال شهر بعد الحرب وهو ما يجب إرجاعه إلى انخفاض التوتر في المنطقة بعد الحرب وانخفاض احتمالات نشوب حروب تالية. وأعتقد أن جميع الساسة في المنطقة قد أدركوا أن أية حرب قادمة لن تكون في صالحهم.

للأسف لا ينظر الجميع إلى حرب لبنان بهذه النظرة

فقد كتب السيد شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والحائز على جائزة نوبل مقالة لتحليل الحرب في صحيفة جارديان بتاريخ الرابع من سبتمبر. ويشكو في هذه المقالة من إمداد المنظمات الإرهابية بأنواع الصواريخ التي يمكنها أن تتجاوز حدود إسرائيل.

وبالمناسبة من اللافت أنه يشير إلى أن بعض السياسيين الإسرائيليين يقولون إن مشروع الجدار الإسرائيلي هو مشروع غير مجد وأن من المحتمل تأجيل بناء الجزء الجنوبي من هذا الجدار. ومع ذلك هذه هي النتيجة المعقولة الوحيدة التي توصل إليها السيد بيريز.

عنوان المقالة هو "هذه الحرب تؤكد لنا أن إسرائيل يجب أن تغير استراتيجيتها الحربية". ويقول فيه "كنت أرجو نظراً لما حدث في حرب لبنان أن يتوصل بعض زعماء التيار الليبرالي في إسرائيل إلى تغيير سياسة إسرائيل بالنسبة لفلسطين" للأسف الحل الذي توصل إليه السيد بيريز - مثل معظم زعماء إسرائيل - هو حل عسكري وليس حلا عسكريا. ويضيف قائلا "لحسن الحظ لدى إسرائيل علماء ممتازون في مجال التكنولوجيا الحديثة يمكنهم صناعة وسائل دفاعية تحمي كل إسرائيلي وتمكنه من اكتشاف الأعداء وأنا لا أشك في أن الإسرائيليين (ومؤيديهم الأمريكيين) يمكنهم صناعة أسلحة أحدث وأقوى ولكني بنفس القدر متيقن من أن المعسكر المقابل أيضاً لديه هذه الإمكانية وهذه الرغبة". هذا الأسلوب في تقييم الأمور الذي يتناول جميع الأمور من الزاوية العسكرية كان هو العامل الرئيسي في الحروب والمذابح التي تعرضت لها شعوب الشرق الأوسط ولا يزال الزعماء المؤثرون متمسكون بهذا الأسلوب بينما الحل الوحيد الموثوق فيه هو طرح فكرة الحرب جانبا. وأنا متأكد من أن هناك عدد كبير في المعسكر المقابل أيضا يريد النفخ في أبواق الحرب. وهذه الأصوات التي لا تأبه بالمباحثات وتريد حل القضية عن طريق الحرب تعد خطرا كبيرا يهدد المنطقة.

قرار مجلس الأمن بشأن الأنشطة النووية

في يونيو الماضي قدمت ست دول هي ألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والصين وروسيا مجموعة من المقترحات لإيران بشأن توقف إيران عن تخصيب اليورانيوم في مقابل منحها الإمكانيات الفنية لبناء المفاعلات الصغيرة كما أعلنت الولايات المتحدة موافقتها على الجلوس حول مائدة المفاوضات مع إيران بعد توقفها عن تخصيب اليورانيوم. وكان الاعتراض الأساسي لإيران هو أن التوقف عن تخصيب اليورانيوم هو موضوع للمباحثات وليس شرطاً لها. ويبدو أن الولايات المتحدة قد تمكنت من إقناع كل من روسيا والصين بجر إيران إلى مجلس الأمن وتطبيق عقوبات جدية ضدها (بما فيها التهديد باستخدام القوة العسكرية) في حالة رفض إيران هذه المقترحات. ورغم ذلك عندما عقد اجتماع مجلس الأمن في فترة الحرب اللبنانية امتنعت الصين وروسيا عن اتخاذ إجراءات جدية ضد إيران ويبدو أن كيفية سير الحرب كانت عاملاً مؤثراً في هذا التغير في موقف هذين البلدين. فصدر القرار رقم ١٦٩٦ غير مؤثر بشكل جدي

على الأنشطة الإيرانية وكان مجرد نوع من الإخطار (كان الجميع يعرفون أنه لن يكون ذى فائدة). ومع هذا كله صوت حاكم قطر ضد هذا القرار. ويجب أن ننتبه إلى أن القرار يمثل مسألة مهمة فى سياسة حكومة بوش ومصير إيران، ومع ذلك رأت جميع دول منطقتنا الأعضاء فى مجلس الأمن من الضرورى التصويت لصالح إيران وضد الولايات المتحدة ويشير تصويت قطر بوضوح إلى تخوف دول الخليج العربية من قوة إيران.

وسياسة الولايات المتحدة تجاه الأنشطة النووية الإيرانية هى سياسة ذات اتجاه واحد فقد قالوا إنه إذا لم تتوقف إيران عن تخصيب اليورانيوم حتى نهاية أغسطس فإننا - الولايات المتحدة - سوف نعاقبها، ولكن الولايات المتحدة غيرت هذا الموقف فى ظل مناخ ما بعد الحرب اللبنانية، فالولايات المتحدة قبلت الآن بسياسة ثنائية بدلا من سياسة الخط الواحد التى كانت تنتهجها، فهى تستمر فى ضغوطها السابقة من جهة، ومن جهة أخرى فتحت باب المباحثات عن طريق الاتحاد الأوروبى وأجلت المهلة الممنوحة لإيران حتى أول أكتوبر.

فى مقال بعنوان "تغيير استراتيجى فى التعامل مع إيران لعدم وجود خيارات أخرى" نشر بصحيفتى نيويورك تايمز وهيرالد تريبيون بتاريخ السابع عشر من سبتمبر الماضي، يقول الكاتب "فى لغة الدبلوماسية تعد الموافقة على التعامل الثنائى تغييراً براجماتيا طريفا. ولكن الحقيقة أن هذا التغيير تغيير أساسى يبين إلى أى مدى قلت الخيارات المتاحة أمام الرئيس بوش وحلفائه الأوروبيين"

وفى الثالث والعشرين من أغسطس أى بعد عشرة أيام من إعلان وقف إطلاق النار فى لبنان نشرت المؤسسة الملكية للدراسات الدولية "تشاتام هاوس" وهى فى الواقع مؤسسة "العقل المفكر" فى الشئون الدولية ببريطانيا تقريراً حول لبنان من اثنتين وخمسين صفحة أرى أنه مهم للغاية وجدير بالقراءة. والتقارب الزمنى بين حرب لبنان ونشر هذا التقرير هو أمر فى نظرى مثير للتساؤل ولكن هناك كثيراً من التفاصيل السرية التى لا أعرفها، وأنا أذكر فقط بأن المنطقى أن يكون المسئولون بوزارة الخارجية البريطانية قد اطلعوا على هذه الأراء وربما أيضا تكون جزءا من تبادل الآراء بين جانبى الأطلنطي. يتضمن هذا التقرير نتيجة صريحة للغاية تثير التساؤل حول السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط وترفض العديد من الاتهامات الأمريكية لإيران. فهذا التقرير يزعم أن الاعتداءات الأمريكية فى الشرق الأوسط قد انتهت لصالح إيران وأدت إلى تقويتها. كما أن هذا التقرير يعتبر أن سياسات إيران العامة فى الشرق الأوسط هى سياسات براجماتية بمعنى أن إيران تريد ألا ينهار الاستقرار فى المنطقة حتى تتمكن من زيادة نفوذها التجاري. وفيما يلى حصراً لأفكار تقرير تشاتهام هاوس بعنوان "الرسائل الأساسية"

الرسائل الأساسية

- الحرب الأمريكية "ضد الإرهاب" قضت على طالبان وصدام حسين اللذين كانا يمثلان أكبر منافسى إيران الإقليميين وزادت من تفوق إيران إقليمياً.

- عدم نجاح إيران فى هزيمة حزب الله أدى إلى تقوية موقف إيران كمركز لمعارضة السياسة الأمريكية فى المنطقة.

- إذا تعرضت إيران لخطر حقيقي، فإن لديها من الإمكانيات ما يزيد المنطقة اشتعالا

- إذا قامت الولايات المتحدة بهجوم عسكرى ضد إيران فإن هذا الهجوم سوف يؤدى إلى تدمير منطقة الخليج وما وراءها.

أدى النفوذ الإيرانى فى العراق إلى تهميش النفوذ الأمريكى وقد نافست إيران الولايات المتحدة فى أداء دور اللاعب الأساسى فى العلاقات بين الشرق الأوسط وآسيا. وقد تزايد النفوذ الإيرانى تزايداً كبيراً الآن فى المناطق التى تعرضت للحرب مثل أفغانستان وجنوب لبنان. والولايات المتحدة وحلفاؤها لا يدركون القيمة الحقيقية لحدود علاقات إيران ومكانتها فى المنطقة وعدم الإدراك هذا أدى إلى زيادة تعقيد الأمور. وتعد الديناميكية الناشئة مفتاح الثقة بالنفس بالنسبة لإيران وقوتها فى التعامل مع الغرب. ونتيجة لذلك تعرضت الخطط الأمريكية لمواجهة إيران لضربة شديدة لأن إيران قد احتلت موقعا ممتازا فى منطقتها.

ويبحث التقرير أيضا فى علاقات إيران مع دول العالم الأخرى. ويفيد التقرير أن إيران تتمتع بنفوذ كبير فى معظم دول المنطقة مثل سوريا والأردن ومصر ودول الخليج وتركيا وباكستان. وحكومات معظم هذه الدول غير راضية عن إيران ولكن مواقف إيران القوية بالنسبة لفلسطين أثارت مخاوف الدول العربية المعتدلة وجعلتها تقف مع إيران على مضض.

"ببساطة، إيران من الوجهة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والعسكرية أهم من أن تتجاهلها أية دولة فى الشرق الأوسط وآسيا"

وفى النهاية يرى كاتبو التقرير أن إيران تريد أن تعامل فى شئون الشرق الأوسط معاملة الند.

هذه النظرة إلى النفوذ الإيرانى فى المنطقة لا تقتصر على المراقبين الأوربيين فعلى سبيل المثال كتب السيد سيمور هرش المحلل بجريدة نيويوركر بتاريخ العاشر من إبريل أن أحد القادة العسكريين الأمريكيين (جنرال ذو أربع نجوم) الذى تقاعد مؤخرا قد صرح له بأنه على الرغم من وجود ثمانية آلاف جندى بريطانى فى جنوب

العراق إلا أن الإيرانيين يستطيعون السيطرة على البصرة عن طريق عشرة ملالى وعربة نصف نقل مجهزة بمكبر للصوت.

استراتيجية الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط

أعتقد أنه من الواضح أن الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط ترتبط ارتباطا وثيقا بالمصادر النفطية فى هذه المنطقة. وفيما يتعلق بمصادر النفط فى العالم تعد قضية تناقص فرص استخراج النفط وزيادة الاستهلاك النفطى من أهم عوامل القلق لدى كافة المفكرين والمنمات المسئولة عن شئون الطاقة. والخطوط العامة لهذا القلق تتمثل فى أنه بينما تتناقص مصادر النفط وتزداد أسعاره يتزايد الاحتياج إليه لسببين أولاً زيادة استهلاك الطاقة فى العالم(بسبب تزايد عدد السكان وزيادة معدل استهلاك الطاقة فى العالم) وثانياً النمو السريع فى الاقتصاد الآسيوى وخاصة فى الصين والهند مما أوجد أسواق استهلاكية جديدة تسعى إلى المصادر النفطية بشغف كامل لتوفير احتياجاتها من الطاقة.

وتشير كافة التوقعات إلى أنه سيأتى وقت فى المستقبل يواجه فيه الاقتصاد العالمى ضيقا حيث سيكون الاحتياج إلى النفط (النفط تحديدا وليس الاحتياج إلى الطاقة عموما) أكثر من القدرات الإنتاجية. وإذا أقررنا بأنه إذا لم يتم توفير مصادر كافية للطاقة فإن النمو الصناعى بل والنشاط الصناعى نفسه سوف يكون مستحيلا، فعندئذ يبرز السؤال الأساسى "إذن فما الذى سيحدث فى العالم فى المستقبل؟" بناءاً على التجارب السابقة يمكن القول إنه إذا زاد الطلب على النفط بمقدار ٥٪ عن المعروض منه فيجب توقع زيادة أسعاره بمقدار أربعة أضعاف.

هذه الأرقام تطلق تحذيرات مهمة للغاية فإذا كان من المقرر حتى عام ٢٠١٥ أى بعد تسع سنوات فقط أن نحتاج حوالى عشرين مليون برميل من النفط يوميا فيجب أن نسأل أنفسنا من أين ستأتي؟ ولنضع فى الحسبان أن صادرات إيران من النفط تبلغ أربعة ملايين برميل يوميا. وبعبارة أخرى يجب أن نتمنى بعد تسع سنوات أولا أن يحافظ منتجو النفط على مستوى إنتاجهم الحالى وثانيا أن يتم اكتشاف مصادر جديدة للنفط يبلغ المستخرج منها أربعة أضعاف صادرات إيران من النفط. وقد أضافت هذه الحسابات معنى جديدا لاستراتيجية الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط. فهذه المنطقة تضم أكثر من سبعين بالمائة من المصادر المعروفة فى العالم ومن المحتمل اكتشاف مصادر جديدة بها. ومادام الاقتصاد العالمى يعتمد على النفط اعتماداً أساسيا ستظل للسيطرة على هذه المصادر أهمية استراتيجية. ومن الضرورى أن تعمل على استمرار سيطرتها السياسية على الشرق الأوسط لتوفير مصادر الاستهلاك النفطى الأمريكى والتوصل إلى وسائل تمكنها من السيطرة على اقتصاد بعض الدول مثل الصين.

إذا نظرنا إلى سياسات السيد بوش من هذه الزاوية فإننا نجد أن أجندته ليست عديمة الجدوى. هو يخاطر بالطبع ويتحمل نفقات كبيرة ولكن مسألة المخاطرة أكبر بكثير من النفقات التى تحملها حتى الآن. فالأرباح والخسائر فى السياسات الأمريكية لا ترتبط فقط بالقضايا المعلقة ولكن ترتبط بالحسابات النفطية المستقبلية وهذه الحسابات يجب أن يكون لها دور بارز. فى ظل هذه الصورة الاستراتيجية يجب القول أولاً إن الولايات المتحدة سوف تقبل بتحمل النفقات العسكرية والسياسية الكبيرة من أجل الحفاظ على موقعها وهى تفرض على الأمريكيين وعلى العالم قبول هذه السياسات بلفها فى أغلفة من الديموقراطية والحرية والحضارة وغير ذلك. وثانيا إن وجود دولة لا تستسلم للولايات المتحدة مثل إيران يمثل أكبر العوائق فى طريق تحقيق مخططاتها الاستراتيجي.

ورغم المشكلات التى تحد من قدرة الولايات المتحدة حاليا إلا أن المخططات الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط سوف تنفذ بشكل من الأشكال وهم يستطيعون الزج بالشرق الأوسط كله - وخاصة إيران - فى المزيد من المشكلات.

المواجهة العسكرية

بعد أسبوع بالضبط من إعلان وقف إطلاق النار فى لبنان بدأت إيران مناورة عسكرية كبرى شملت عرضا لأنواع الصواريخ والغواصات والدبابات والطائرات الجديدة التى صنعت فى إيران. وقد نشر العديد من الصحف الغربية تقارير حول هذه المناورة. وقد جاء فى تقرير ديلى ميل فى السابع من سبتمبر أن هناك طائرة تشبه مقاتلات إف ١٨ الأمريكية وأن الإيرانيين قد نجحوا فى تصنيعها.

كما أن أحد الصواريخ المشتركة فى المناورة قد أطلق من غواصة وأعلنت إيران أن الرادار لا يمكن أن يكتشف هذا النوع من الصواريخ. وجاء فى هذا التقرير نقلا عن أحد الخبراء العسكريين أنه إذا كانت الرادارات الإيرانية غير قادرة على اكتشاف هذا الصاروخ فإن هذا لا يعنى أن الرادارات الأمريكية أيضا غير قادرة على اكتشافه. وهذه المناورة وهذا التصريح نفسه يحمل رسائل سياسية، حيث يبدو أن إيران متقدمة فى مجال صناعة السلاح. ويبدو أن إيران تقول إذا هاجمتمونا فسوف نغلق الخليج. ومن المحتمل أن يكون للأمريكيين مخاوفهم فى هذا الصدد. ولكن المؤكد أنه إذا تقرر نشوب حرب



منظمـة فـإن إيران لن تكون قـادرة على المقـاومـة فى مواجهة أكبر ترسانات العالم. فالأمريكيون قد أعلنوا بوسائل مختلفة أنهم فى حالة نشوب حرب مع إيران سوف يضربون جميع المراكز المهمة وذات القيمة فى إيران. فإذا وقعت حرب فإن أول ما سيتعرض للتدمير هى المراكز الصناعية والبحثية الكبرى وسوف نرجع عشرين أو ثلاثين عاما إلى الوراء فى العديد من المجالات الفنية والصناعية والعلمية. وأنا أرى أن هذا الخطر واضح للغاية. لا يستطيع أى زعيم أن يقول بعد غد إننى لا أعرف أن الأمر يمكن أن يصل إلى هذا الحد.

من جهة أخرى وفى ضوء تجارب حرب لبنان ومع الوضع فى الاعتبار أن الأمريكيين يقولون إن إيران كانت هى مصدر صناعة السلاح وإرساله إلى حزب الله فمن الصعب أن تقبل الولايات المتحدة بالاشتباك البرى مع إيران. بالإضافة إلى أن إمكانيات إيران الإقليمية ومؤيديها فى العراق والدول الأخرى بالمنطقة والصواريخ الإيرانية الموجهة إلى دول الخليج تقلل من احتمال الهجوم البرى المباشر على إيران.

وبالطبع إذا تقرر الهجوم على إيران فإن الولايات المتحدة يجب أن تقدم التبرير السياسى اللازم والذى يدفع الشعب الأمريكى إلى القبول بتحمل خسائر تفوق خسائر حرب العراق أو يجب على السيد بوش أن يظهر البرنامج النووى الإيرانى أكبر بكثير مما هو عليه (ويجعل الأمريكيين والعالم يصدقون أنه لا يكذب هذه المرة) أو يجب أن تقدم إيران للسيد بوش حجة قابلة للتسويق. ومن المحتمل أن يحدث أى من هذه السيناريوهات.

فى الأسبوع الأخير من سبتمبر ظهرت دلائل كثيرة تشير إلى حدوث تغير جدى فى السياسة الأمريكية. كانت أولى الدلائل نشر تقرير المنظمات البحثية الأمريكية ولكن نشر بعده مباشرة تقرير المؤسسات الإنجليزية الذى أثار ضجة كبيرة حول التعاون بين الاستخبارات الباكستانية وبين طالبان. ثم سرب القادة العسكريين الإنجليز رأيا حول انسحاب القوات الإنجليزية من العراق. كما كانت تصريحات السيد مشرف حول أسباب عدم تعاونه مع الولايات المتحدة أمراً غير عادى يضاف إلى ذلك تخلى الولايات المتحدة عن سياسة الطريق الواحد فى تعاملها مع البرنامج النووى الإيراني، وكل هذا يشير إلى تغير السياسة الأمريكية ولكن الولايات المتحدة لم تسحب يدها تماما. السؤال الجدير بالتأمل هو: لماذا وقعت كل هذه الأمور المهمة معا وفى أوقات متقاربة؟ من المنطقى أنه لا يجب أن نعتبر أن تسريب هذه التقارير والتصريحات قد حدث بالمصادفة. هناك بعض المحللين الأمريكيين والأوروبيين (ربما يكونون على علم ببواطن الأمور) الذين ألمحوا إلى وجود تغييرات جذرية فى السياسة الإنجليزية والسياسة الأمريكية. لا يجب أن نقول هل نواجه لعبة أكبر أم أن الولايات المتحدة قد تخلت عن خطة الحكومة للسيطرة على مصادر النفط عن طريق استراتيجية "حرب الرعب"

أتمنى أن تقل احتمالات نشوب حرب مباشرة ومع هذا أعتقد أننا يجب أن ننتظر أنباء ساخنة فى الشهور القليلة القادمة. وربما نتوصل إلى المباحثات والمصالحة بدلا من الحرب.

من أهم الخطوات الجديدة التى اتخذتها الولايات المتحدة فى تعاملها الجديد الضغوط التى تمارسها على المعاملات البنكية والدولية الإيرانية ففى النصف الأول من سبتمبر أعلنت الولايات المتحدة أن الشبكات التجارية والمصرفية الإيرانية تساعد الأنشطة الإرهابية. وأطلقت حملة إعلامية كبيرة وأجبرت عددا من حلفائها الأوروبيين على الحد من الأنشطة المصرفية الإيرانية فى الأسواق العالمية. وكانت أول النماذج العملية لهذه الإجراءات امتناع البنوك الأمريكية عن التعاون حتى من الدرجة الثانية مع بنك الصادرات الإيراني، ونظراً لأن المعاملات الدولارية يجب أن تتم بتصريح من أحد البنوك الأمريكية، فإن هذا القرار يعنى تجميد الاحتياطى النقدى الدولارى لدى بنك الصادرات الإيراني. وأنا على يقين من أن هذا النوع من الضغوط ما زال موجودا ومن المحتمل أن المفاوضات السرية سوف تسفر عن بعض المساومات.

رؤيتان للمستقبل غير واقعيتين

هناك رؤية للمتشددين من المحافظين الجدد وهى تتمثل فى تحويل منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى إلى مجموعة من الدول الصغيرة التابعة تماما للنفوذ الأمريكي. وهذه الرؤية تريد جمع كافة مصادر النفط فى المنطقة فى وحدة واحدة "أرض النفط (نفطستان)" وليست هناك معلومات كثيرة عن الموضوع الذى طرحته السيدة رايس بعنوان "الشرق الأوسط الجديد"، ولكن الإطار العام لهذا الموضوع منسجم مع مبحث (نفطستان) ويسير فى اتجاهه رغم أنه بالطبع ليس أكثر من خطوة مبدئية فى طريق تحقيق الهدف الأخير. ومن المؤكد أن هذا الهدف هو ضرب من ضروب الخيال. وهو يمثل بالنسبة لشعوب منطقتنا كابوسا غير محتمل. فشعوب المنطقة والعالم المعاصر صاروا أكثر رقيا من أن يسمحوا بأن تحل علينا مثل هذه الكارثة.

وعلى الجانب الآخر هناك من يريد تحقيق فكرة "الخلافة الإسلامية" أولئك الذين يريدون عن طريق

العنف وتفجير المساجد والمنازل والمدارس وذبح الأفراد جناة وأبرياء أمام عدسات التليفزيون وعرض هذه المشاهد غير الإنسانية أن يشقوا طريقهم ويجمعوا الشعوب المسلمة جميعا تحت لواء واحد. هذه الاستراتيجية وهذا السلوك لن يتمكن من جذب الشعوب المتقدمة لتحقيق أهدافهم. وقد كانوا موجودين دائما وسيكون هناك من يتبعهم ولكن هذه الاستراتيجية لن تتمكن من قيادة أى مجتمع معاصر تحت السياط. فهناك توجهات مختلفة فى الجمهورية الإسلامية ولكنها ليست فى السلطة. وقد اعترف كثير من المراقبين الغربيين أن الاستراتيجية العامة لإيران فى الوقت الحاضر على الأقل لا تتضمن استخدام القوة فى دول المنطقة. فالجمهورية الإسلامية تسعى جاهدة إلى تثبيت أقدامها عن طريق العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية. وهذا النوع من الاستراتيجيات يعد حقا أصيلا لجميع دول العالم ومنها الولايات المتحدة وإيران.

نقطة ضعف إيران

إذا نظرنا إلى الشرق الأوسط من وجهة نظر التوازنات العسكرية فإن الولايات المتحدة (وإسرائيل بدورها) تتمتعان بتفوق ملحوظ. ولكن إمكانية استغلالهما للقوة العسكرية محدودة بمشكلة اجتماعية فالأمريكيون (والإسرائيليون) لا يقبلون تحمل خسائر كبيرة فى الميدان. وكل الأطراف فى المنطقة يعولون على هذه النقطة. كما أن دول الشرق الأوسط وخاصة إيران لديها نقاط ضعف اجتماعية يمكن أن تستغلها الولايات المتحدة، فسوف تقوم الولايات المتحدة باستغلال كل الخلافات العرقية الدينية الموجودة فى الشرق الأوسط لتحقيق مخططاتها. ففى الماضى غير البعيد كانت الولايات المتحدة تقدم المال والسلاح والتدريب العسكرى للمجاهدين الأفغان وهى التى صنعت بن لادن. والآن وفى ظل الاحتلال العسكرى الأمريكى للعراق تنشب يومياً اشتباكات يومية فى العراق بين العراقيين أنفسهم يسقط فيها الضحايا بالمئات. ففى الشهرين الأخيرين فقط قتل فى العراق سبعة آلاف عراقى شيعى وسنى معظمهم قتل فى هذه المعارك "الأخوية" وللأسف سوف تدون هذه المعارك الأخوية فصلا تاريخيا من الصعب نسيانه. فحتى بعد خروج الولايات المتحدة من العراق يمكن أن نتوقع أن يظل هذا التاريخ وذكريات هذه الجرائم ماثلا أمام أعيننا لسنوات طويلة.

وضع الديموقراطية هو أهم نقاط الضعف لدى إيران ففى السنوات الأخيرة تزايدت الحملات الإعلامية الأمريكية "لصالح الديموقراطية فى إيران" وصارت أكثر تنظيما، وبلغت آخر ميزانية معلنة لتحقيق هذا الهدف تسعين مليون دولار. من الواضح أننا ليست لدينا معلومات كثيرة حول هذا الموضوع، ولكن المؤكد أننا يمكن أن نتوقع أن المتاعب التى سيسببها هذا الموضوع لن تكون أقل من المخاوف المتعلقة بالخطط العسكرية الأمريكية.

والهدف الحقيقى وراء هذه الخطة ليس بالطبع المساعدة فى نمو الديموقراطية فى إيران وإنما هو خلق المشكلات والاضطرابات. فمقولة الديموقراطية ليست مقولة قابلة للتصدير. وقد شهدنا فى السنوات الأخيرة البرامج الديموقراطية فى أفغانستان والعراق ولبنان واوكرانيا. وأنا لا أعتقد أن هناك تبريرا عقليا لتكرار هذه التجربة فى إيران. فالمجتمع الإيرانى عاش سنوات طويلة من المشكلات المختلفة بعد الثورة وهو المجتمع الوحيد الذى بمقدوره النجاح فى حل هذه المشكلات وتحقيق الديموقراطية فى إيران. كما أثبتت تجارب السنوات السابقة أن التقدم الاجتماعى فى إيران لا يتأتى إلا فى ظل الاستقرار، فمناخ الحرب والتهديد بالهجوم الأجنبى والتوتر وعدم الاستقرار كان دائما يدفع بالسياسات غير الديموقراطية ويضيق على الأصوات الإيرانية المطالبة بالحرية.

فى العامين الأخيرين اللذين شهدا زيادة التوتر فى العلاقات الدولية الإيرانية تزايدت موجة السياسات غير الديموقراطية. وكان هذا المناخ المتوتر هو البيئة المناسبة للممارسات غير الديموقراطية مثل اعتقال النشطاء الفكريين والثقافيين والاجتماعيين والسياسيين المعارضين وزيادة الضغط على الصحافة وتقييد حريتها والإجراءات التى اتخذت فى الجامعات وإغلاق الصحف المستقلة كما كانت القيود الجديدة على الأنشطة النسائية السلمية والطلابية والانتهاكات لحقوق الإنسان والحريات الفردية كل هذا كان فى الواقع فى صالح الولايات المتحدة كما أدى إلى سخط شديد بين مواطنينا وخاصة المتعلمين والشباب فهم يبتعدون عن الجمهورية الإسلامية أكثر مما كانوا ويهيئون المجال أكثر من أجل إثارة الاضطرابات.

فى مثل هذه الظروف التى تشهد سخطا عاما فى إيران ستكون استراتيجية الولايات المتحدة هى خلق المشكلات ولن تطبق استراتيجيتها فى ميدان الحرب وإنما ستطبقها عن طريق إثارة المشاكل داخل المجتمع الإيراني. فالولايات المتحدة تعمل على إثارة حرب مذهبية فى الشرق الأوسط وإذا نشبت مثل هذه الحرب فإنها ستعمل على زيادة حدتها. هذا النوع من الهجوم الأمريكى أشد خطرا من الصواريخ الأمريكية الموجهة ومن المؤكد أن آثارها سوف تستمر لمدة أكثر من آثار الصواريخ الموجهة.

إسرائيل احتياطى استراتيجى لأمريكا فى الشرق الأوسط

■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٦/١٠/١١

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ بدأت قصة الصراع بين العرب وإسرائيل، وأصبح هذا النظام لأكثر من نصف قرن قاعدة للتوتر والصراع فى منطقة الشرق الأوسط وقد لاقت السياسات التوسعية لهذا النظام دعماً واسعاً من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلنتها الولايات المتحدة صراحة، أن هذا الدعم لأمن إسرائيل فى مقابل المقاومة بعيداً عن العدل والحق والديمقراطية.

وكان إيجاد الأمن المطلق فى الأراضى المحتلة وتوسع الهيمنة الإسرائيلية من أهم السياسات التى تبناها رجال الحكومة الإسرائيلية المتعاقبة منذ إعلان قيام الدولة الصهيونية ومن هنا فقد تشكلت إسرائيل من المهاجرين اللذين جاءوا من الغرب، وإن لم تكن حدود إسرائيل آمنة فلن يهاجر أى يهودى إلى إسرائيل بل ستحدث هجرة عكسية.

كما أن الاقتصاد الإسرائيلى تابع للاستثمارات الخارجية، وترتبط الاستثمارات الخارجية بعامل الأمن فإن زال الأمن هربت الاستثمارات وانهار الاقتصاد وتعرض الاقتصاد الإسرائيلى للانهيار.

وبشكل كلى فإن السياسة العدائية والتوسعية للنظام الصهيونى منذ إعلان وجوده وحتى الآن تمحور حول فكرة الأمن، وهو المحور الذى كان سبباً فى حروب متعاقبة بين العرب وإسرائيل والسياسة الحربية لإسرائيل فى بعدها الجغرافى يمكن تقييمها فى إطارين :

١- المنطقة الجنوبية مع الفلسطينيين.

٢- المنطقة الشمالية مع حزب الله اللبنانى.

ويزعم الأمريكيون والإسرائيليون أن قوى المقاومة الإسلامية فى المنطقتين عائق أمام أمن إسرائيل، فى الوقت الذى تسعى فيه قوى حماس وحزب الله إلى تغيير السياسات العنيفة لهذا النظام.

وفى إطار التوجه العسكرى للبيت الأبيض وتل أبيب فى الشرق الأوسط وفى إطار المشاريع الأمريكية - الصهيونية مثل الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد، يزعمون أنه لا يوجد مكان لقوى المقاومة فى هذا المخطط. ولنفس السبب يسعون بكل السبل والوسائل إلى القضاء على هذه القوى أو على الأقل نزع أسلحتها.

وتشكل "القومية العربية" و"قوى المقاومة" تحديين أساسيين وهامين أمام السياسات الأمريكية والإسرائيلية فى الشرق الأوسط وعلى سبيل المثال كانت الناصرية وهى جزء من القومية العربية بالنسبة لإسرائيل باعتبارها الحليف الاستراتيجى للبيت الأبيض فى الشرق الأوسط عائق كبير أمام تحقيق هذا النظام لأهدافه ولم تستطع تحمله، وذلك لأن القومية العربية كانت تمثل دعم لقوى المقاومة أمام إسرائيل.

فى عام ١٩٥٨ وصلت الولايات المتحدة إلى نتيجة هامة وهى أن الطريق المنطقى لمواجهة القومية العربية هو دعم إسرائيل باعتبارها العنصر الأجنبى التابع للغرب، وفى عقد الستينيات رأى محلل البيت الأبيض قدرة إسرائيل أمام ضغط ونفوذ جمال عبد الناصر، ويمكن القول أن دور عبد الناصر يؤديه اليوم السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبنانى أمام السياسات العدائية للبيت الأبيض وتل أبيب.

ولذا ولنفس السبب فإن الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل الاحتياطى الاستراتيجى لها فى المنطقة وتستطيع خدمة المصالح القومية الأمريكية فى المنطقة عن طريق مطاردة قوى المقاومة والقومية ويقول أحد المحللين الإسرائيليين فى هذا الشأن أن إسرائيل قد تحولت إلى إحدى إدارات البيت الأبيض.

وبهذا الشكل فإن ارتباط إسرائيل وواشنطن أو العكس أعلى من أى اتحاد أو تحالف حتى أنه يقال أن تل أبيب هى الولاية الواحدة والخمسين لأمريكا.

ويمكن تقييم السياسة الخارجية الأمريكية بعد ١١ سبتمبر فى ثلاثة أبعاد:

١- منع القيام بأى دور لأى قوى عالمية أخرى خاصة الصين وروسيا والاتحاد الأوروبى.

٢- السيطرة على النفط، ففى إطار السياسة الجديدة للمحافظين الجدد فإن السيطرة على مصادر النفط فى أنحاء العالم ضرورة للولايات المتحدة، لأن فى مشروع العولمة، النفط مادة عالمية والجميع فى حاجة إليه. وبسبب امتلاك الدول العربية فى الشرق الأوسط لمصادر نفط غنية، فإن البيت الأبيض يضع هذه الدول تحت الحماية الأمريكية.

٣- الأمن المطلق لإسرائيل، والدعم الواضح لإسرائيل

من البيت الأبيض ومجموعة الثمانية.

ويرى البيت الأبيض أن فكر المقاومة، تحدى واقع وحقيقى فى طريق السياسات الأمريكية فى المنطقة، ولنفس السبب تساعد أمريكا إسرائيل من أجل إزالة فكر المقاومة فى الشرق الأوسط ونشر السياسات الأمريكية.

وكان اغتيال (رفيق الحريرى) رئيس وزراء لبنان السابق سبباً فى توافق واتفاق الولايات المتحدة وإسرائيل فى الصدام مع فكر المقاومة واستطاعوا من خلال ذلك إصدار قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ والذى يؤكد على محورين هامين:

١- خروج القوات السورية من لبنان.

٢- نزع أسلحة المقاومة (حزب الله فى الجنوب اللبنانى).

وقد تحقق المحور الأول تماماً، ولكن المحور الثانى لم يتحقق ولن يتم تحقيقه، ولكن مازالت أمريكا وإسرائيل تسعى بصدده وبشكل مجمل فإن كل ما يحدث فى المنطقة يتم فى اتجاه مشروع الشرق الأوسط الكبير مثل الحلقات المتصلة.

ومن أهم أهداف الشرق الأوسط الكبير حفظ أمن إسرائيل وإزالة أى تهديد لإسرائيل، وقسم آخر من أهداف هذا المشروع حول نشر وبسط الاستراتيجيات العسكرية - السياسية لأمريكا فى الشرق الأوسط، حتى يمكن قمع قوى المقاومة تحت عنوان مكافحة الإرهاب.

وبالنظر لما سبق بالإضافة للتطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط فإن الضغوط التى تفرض على إيران بشأن ملفها النووى تتم فى إطار المشروع الكبير الذى تتبناه الولايات المتحدة بالسيطرة الكاملة على الشرق الأوسط وإيجاد تغييرات واسعة لنشر السياسات الأمريكية به.

كانت السياسة الخارجية للبيت الأبيض بعد الحرب الباردة وتطورات ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تقوم على أحادية النظام العالمى وكانت التطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط والسياسات الوحشية لتل أبيب تجاه شعب فلسطين المظلوم يمكن بحثها فى هذا التوجه وهذا الإطار.

وبعد ذلك تحولت السياسات العسكرية الإسرائيلية إلى آلة من أجل تأمين المصالح الأمريكية فى المنطقة، وحتى ينجح المشروع الاستعمارى الأمريكى - الإسرائيلى فى المنطقة.

ويؤكد بعض المحللين أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط شكلها الإسرائيليون. وكل سياسة ينفذها البيت الأبيض فى المنطقة فإن الذى خطط لها وكتبها هم الإسرائيليون والتوجه الأمريكى الإسرائيلى الآن فى المنطقة هو إزالة فكر المقاومة والنقطة الهامة هنا أن مجلس الأمن بالكامل أصبح لعبة فى يد الولايات المتحدة، حيث يمنح المشروعية والشرعية للبيت الأبيض فى تنفيذ سياساته التى تخالف الأعراف والقوانين الدولية.

انتخابات الخبراء وتعديل الاتجاهات

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

يمكن أن نتبين من توجيهات الزعيم الإيرانى سيد على خامنئى حول القضايا المثارة، أن قضية الزعامة وتبعية الأجهزة المختلفة فى السلطات الثلاث من الناحية المعنوية والقانونية للزعيم من أهم القضايا التى حاولت القيادة تثبيتها، بعد أن اجتهدت المعارضة الإصلاحية فى أن تبرزها كقضية مصيرية، تأتى بسببها كل المشاكل التى تواجه الجمهورية الإسلامية، مطالبة بتعديل صلاحيات الزعيم من أجل أن تزيد مساحة الديمقراطية، فتعطى قسماً من هذه الصلاحيات للمجالس الشعبية وخاصة مجلس الشورى الإسلامي، وقسماً آخر لرئيس الجمهورية، وهو ما حدا بقيادة النظام، وأعنى هنا الزعيم والشخصيات المتحالفة معه، أو المرتبطة بمصالح معه، أن يعيدوا مرة أخرى ترتيب البيت الإيراني، وتعديل الاتجاه، وقد أوضح خامنئى أن الذوبان فى الزعامة لا معنى له، لأن الزعامة ليست كيانا منفصلا عن الإسلام بمبادئه وأهدافه وقيمه ووسائله، ومن ثم فإن الزعامة مكلفة بأن تذوب فى الإسلام، لا أن تكون كيانا مستقلا يضم كيانات أخرى. وكان الزعيم قد حدد من قبل حجم ارتباط الأجهزة المختلفة بالزعامة، بدءاً من مجلس الشورى الإسلامى الذى أدت خطة القيادة إلى أن يسيطر عليه المحافظون الجدد، والذين أكد زعيمهم أن هدفهم هو القيام بواجبهم الشرعى والقومي، ورغبتهم فى إصلاح أمور البلاد فى مناخ هادئ ومنطقى وثابت، وعدم الانحراف عن جادة الحق، ومراعاة آداب النقد، واحترام الأخلاق والإنصاف. وقد تميز المجلس أنه ليس مدينا لأى حزب سياسي، سواء من أحزاب الإصلاحيين أو حتى أحزاب المحافظين، لأن الأحزاب الإصلاحية لم تقف وراء مرشحيها كما فعلت فى انتخابات المجلس السادس، فنزل أغلبهم ساحة الانتخابات كمستقلين، أو معتمدين على الدعم الجماهيرى أو القبلى لشخصهم من أبناء دائرتهم، لاعتبارات غير سياسية وارتباطات خاصة، لانشغال هذه الأحزاب بإعادة ترتيب أولوياتها ومواقع قياداتها. أما أحزاب المحافظين فقد انشغلت قياداتها بالصراع بين الأجيال لتولى المسئوليات، مما منح الفرصة لشباب هذه الأحزاب أن يتفاهموا فيما بينهم، ويوثقوا صلاتهم بعيدا عن الانتماء الحزبي، ويوجهوه للانتماء القومى والالتفاف حول الزعامة، فلم يعد هناك مجال لأى تضاد بينهم فى الميول السياسية والفكرية، أو دين يؤدونه لقياداتهم الحزبية. كما تميز بدعم القيادة السياسية له وهو ما أكده الزعيم للمجلس، إضافة إلى دعم شعبى اكتسبه أعضاء المجلس من التحامهم بالجماهير فى دوائر انتخابهم، سواء بسبب تناسق فكرى معهم حول متطلبات المرحلة القادمة، أو مطالب الجماهير العاجلة، وأولويات العمل السياسي، ومحاربة الفساد الإداري، أو بسبب الانتماء القبلى أو العنصرى أو المذهبى بين بعض أعضاء المجلس وأبناء دوائرهم، أو بسبب مصالح اقتصادية تربط بين الأعضاء وقيادات البازار الذى يمثل العصب الشعبى للاقتصاد الإيراني. وقد منح الزعيم هذا المجلس حق الرقابة على كافة أجهزة الدولة، وهى الميزة التى حارب من أجلها المجلس السابق ولم يحصل عليها، وقد طالب خامنئى فى كلمته أعضاء المجلس السابع بالاستفادة بأقصى درجات الرقابة وإمكانات التقنين

وتفعيل ديوان المحاسبات بأقصى طاقته، مما جعل المجلس يستحدث فرعاً فى لجنة التخطيط والميزانية للمحاسبات. وتعرض الزعيم فى لقائه مع أعضاء المجلس لقضية النموذج الإصلاحي، حيث ناقش أطروحات الأعضاء حول بعض النماذج العالمية التى أثبتت فائدتها فى مجال الإصلاح الاقتصادى والسياسى والاجتماعي، مثل النموذج الصينى الذى يسعى المحافظون الأصوليون لتبنيه كنموذج للإصلاح فى إيران، باعتباره ينسجم مع فكرة شعبية الإنتاج ووفرته مع رخص مستلزماته، وعدم ارتباطه بأصولية العقيدة مع انفتاحه على التكنولوجيا الراقية والفكر التقدمى العالمي. والنموذج اليابانى الذى يسعى المحافظون الجدد للاستفادة من جوانبه فى خريطة الإصلاح، بالانفتاح على الفكر العالمى مع عدم الانسياق وراء التيارات الغربية بالمحافظة على القيم الوطنية والإسلامية. وقد انتقد الزعيم خامنئى هذين النموذجين مبينا أوجه الخلل فى كل منهما، ومؤكداً رفضه لاستيراد نماذج إصلاح أجنبية، ودعوته للإصلاح على أساس الثقافة الوطنية والمعتقدات الإسلامية، مع الوضع فى الاعتبار ملاحظة تجارب الآخرين والاستفادة منها. وطالب الزعيم الأعضاء أن يعتبروا أنفسهم نوابا للطبقة المحرومة فى المقام الأول، وهذا يعنى أن يرتبوا أولوياتهم سواء فى الأهداف التى يسعون لتحقيقها، أو البرامج الزمنية التى يضعونها لتنفيذ هذه الأهداف.

ولقد كان انتخاب محمود أحمدى نجاد رئيسا للجمهورية أيضا نتيجة خطة محكمة من الزعامة التى وقفت وراء عدة مرشحين كى يتولى أحدهم موقع الرئاسة، ومما أسعد الزعامة أن استطاع أقرب أبنائها أن يحقق هذا الهدف، فأصبحت الصلة وثيقة للغاية بين الزعيم ورئيس الجمهورية، ويبدو من تشكيلة مجلس الوزراء الذى ساهمت القيادة فى اختياره بعناية أنه مجلس عمل، يضم حشداً من الخبراء والمتخصصين فى الشئون المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية وأمنية. وقد طالبهم الزعيم بالعمل على خدمة الجماهير وتلبية احتياجاتهم، وفى هذا الإطار حذر الزعيم من القناعة بالواقع الموجود، والوسائل التقليدية والقوالب المستهلكة، ودعا إلى العمل على إيجاد قوالب جديدة وأساليب مستحدثة، وأكد على أن الفساد هو أحد تحديات العمل الوطنى الجاد، باتخاذه أشكالا ومبررات جديدة فى كل يوم، مما يستوجب محاربته بجدية شديدة والتزام كامل، واستبدال شعار التنمية والتقدم بشعار الإصلاح والتعمير، وإعطاء أولوية لمطالب البسطاء مثل تحسين مستوى المعيشة، زيادة قدرة الموظفين والعمال على تلبية احتياجاتهم، إذابة الفوارق بين الطبقات، بسط العدالة وإزالة التفرقة، وترتيب أولويات الاستثمار وتفضيل الوطنى ثم الإيرانيين فى الخارج ثم الأجنبي، مع إزالة كل عوائق الاستثمار. والاهتمام بتأصيل القيم واستخدام آليات سلسة تحل القضايا الثقافية بالوسائل العصرية، مع الحرية الملتزمة ودون التدخل فى الخصوصيات. ومن أجل ذلك بذلت الحكومة جهدا كبيرا من أجل تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة بما يتناسب مع مستجدات المرحلة المقبلة، باعتبار أن الخطة الخمسية إنجاز للسياسات العامة التى أقرها الزعيم، وليس فيها تناقض مع توصيات الزعيم.

بهذا تكون القيادة الإيرانية قد نجحت فى إعادة ترتيب معظم أجهزة البيت الإيراني، حيث لم يبق إلا موقع مجلس الخبراء، إن أهم ما يميز المواقع التى قامت بتغييرها وفق خطة دستورية محكمة هو أن ولاءها لولاية الفقيه أصبح ولاءاً مطلقا، بمعنى أن بحث الإصلاح لن يتطرق إلى أساس إدارة النظام، حيث استطاعت أن تخرج مبدأ ولاية الفقيه من الضعف إلى القوة مرة ثانية، وتأتى انتخابات مجلس الخبراء والمجالس المحلية لتبرز حقيقة التحولات التى تحدث على الساحة السياسية، فلم يعد الصراع السياسى صراعا بين الأصوليين والإصلاحيين لتوجيه النظام، وإنما صراع بين التيارات الفكرية المختلفة لتحقيق المعادلة الصعبة بين الأساس الدينى المذهبي، الذى يقوم عليه النظام وبين الفكر الليبرالى الذى يضغط بشدة على النظام من داخله وخارجه، ويبدو ذلك مع تشكيل ائتلافات غير تقليدية، سواء داخل تكتل الأصوليين أو داخل تكتل الإصلاحيين، أو بين أحزاب وشخصيات من الأصوليين والإصلاحيين، وتبرز فى الساحة أربعة ائتلافات كبيرة، هي: ائتلاف جمعية علماء الدين المناضلين (روحانيت مبارز)، وجمعية مدرسى الحوزة العلمية فى قم، وائتلاف تيار مصباح يزدى والتيار المؤيد لأحمدى نجاد رئيس الجمهورية، وائتلاف تيار هاشمى رفسنجانى وبعض الأحزاب الإصلاحية، وائتلاف الأحزاب الإصلاحية مع تيار مهدى كروبي.

وتعترض الائتلافات على عملية التصفية التى تتم لمرشحيها من خلال مجلس صيانة الدستور، فقانون انتخاب مجلس الخبراء وضعه فقهاء مجلس صيانة الدستور على أساس المادة ٩٩ من دستور الجمهورية الإسلامية، والذى جعل لهذا المجلس حق الرقابة عليها، وتم تعديله ثلاث مرات بموافقة هذا المجلس، على أن تضع وزارة الداخلية اللائحة التنفيذية لانتخاباته، ويقرها مجلس صيانة الدستور، ويحدد هذا المجلس الصلاحية العلمية للمرشحين بناءاً على الوثائق التى يتقدمون بها ضمن أوراق الترشيح، أما فيما يتعلق بوصولهم إلى درجة الاجتهاد مع عدم وجود شهادة دالة على ذلك يقوم المجلس بالرجوع إلى مكانتهم الفقهية ومؤلفاتهم العلمية، على ألا تتضمن مباحث فلسفية إلحادية أو مناقضة للمذهب الشيعى أو لولاية الفقيه، كما ينبغى أن يتمتع المرشح بصفتى العدالة والتقوى، وألا يتهم بجرم أخلاقي، وأن تكون لديه معرفة بالقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المعاصرة، ويسعى الإصلاحيون هذه المرة مع المشاركة الإيجابية فى هذه الانتخابات، إلى إثارة الضجة حول عيوب قانون الانتخابات الذى يقلل عدد المرشحين من خلال تصفية مجلس صيانة الدستور الحادة، مما لا يسمح بانتخابات إعادة. وكذلك إقامة انتخابات مجلس الخبراء بالتزامن مع انتخابات المجالس المحلية يؤدى إلى عدم اهتمام الناس بها، حيث تعنيهم انتخابات المجالس المحلية التى تبدو أكثر ارتباطا باحتياجاتهم اليومية.

فى هذا الوقت من اشتداد التنافس بين الائتلافات المختلفة لتحقيق سيطرة على مجلس الخبراء الذى يختار الزعيم ويراقبه، ويعزله إذا دعت الحاجة، يقوم الزعيم بدعم تيار أحمدى نجاد والمؤتلفين معه، حيث أكد فى خطبته يوم ٢٠٠٦/١١/١٢م فى مدينة كرمسار أن رئيس الجمهورية يحظى ببركته وتأييده المطلق إزاء شجاعته وثقته بنفسه وإيمانه وبساطته وغيرته على النظام، والتصاقه بالجماهير، وأسلوبه المبتكر فى مواجهة القضايا الداخلية والعالمية، وأنه جعل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى أفضل ظروفها، وأن منتقديه قد استفادوا من وسائل الإعلام لوضعه موضع الاتهام، وتجسيد الأخطاء وتعظيم العيوب الصغيرة، ويأتى ذلك الدعم رغم إدراك الزعيم أن الإحصاءات الرسمية تشير إلى تدنى معدلات النمو الاقتصادى عن العام السابق، وسلبيته فى قطاع النفط الحيوى للبلاد.

القضية هنا أن ائتلاف أنصار أحمدى نجاد مع أنصار مصباح يزدى يثير حيرة المحللين الذى أدركوا من قبل الخلاف الفكرى بين الزعيم المؤيد لأحمدى نجاد وبين آية الله محمد تقى مصباح يزدي، فهل هذا التأييد من جانب الزعيم دعوة لمصباح يزدى وتياره للتوافق مع الزعيم فى المرحلة القادمة من عمر النظام؟، أم أنه يريد أن يكبح جماح الإصلاحيين الراغبين فى تقليص صلاحيات الزعيم وحلفائهم من الوسطيين أمثال هاشمى رفسنجانى وتياره؟، وهل نزول عدد من أنصار مصباح يزدى الساحة الانتخابية كمستقلين يرفعون شعار التيار الثالث مناورة من قبل مصباح يزدي، حتى لا يكون تحت ضغط حركة الزعيم خامنئي؟ هذه الظواهر التى تدعو للتساؤل تؤكد أن انتخابات مجلس الخبراء والمجالس المحلية لن تكون كسابقتها، بل ستكون مقدمة لتغيير اتجاه النظام، لأنه من المتوقع أن ينجح قادة الائتلافات فى دخول مجلس الخبراء، مما ينقل التنافس إلى داخل المجلس والمجالس المحلية حول الاتجاه الجديد الذى يسلكه النظام فى مرحلته القادمة.

علاقات دولية

النص الكامل لحوار أحمدى نجاد مع أعضاء مجلس السياسة الخارجية الأمريكي

■ كيهان(الدنيا) ٨/١٠/٢٠٠٦

نشر على الموقع الإليكترونى الخاص بالرئيس محمود أحمدى نجاد النص الكامل لحواره مع أعضاء مجلس السياسة الخارجية الأمريكي. فى البداية قدم أحمدى نجاد توضيحا حول تأسيس موقعه الإليكترونى وكتب يقول: "نظراً لأن الهدف من إنشاء هذا الموقع هو إجراء الاتصال المباشر والمتبادل مع المتلقين فإننى أفضل بعد نشر الموضوع الأول أن أكرس كل الوقت المخصص للاطلاع على الموقع من أجل قراءة آراء ورؤى زائريه لأننى كنت أشعر أن معظم من يكتب إلى رسائل انتقاد أو اقتراحات أو تساؤلات يأملون أن أقرأ رسائلهم بنفسي. وقد وعدت أن أنشر تفاصيل لقائى مع أعضاء مجلس السياسة الخارجية الأمريكي الذى يعد مجلسا مستقلا غير حكومى يمكن أن يساعد شعوب العالم على معرفة المستوى الفكرى لما يسمى بالنخبة والمؤثرين فى السياسة الأمريكية. وفى هذا اللقاء كنت أتوقع أسئلة محورية وتخصصية ولكن مستوى الأسئلة لم يكن أعلى من مستوى الأسئلة التى تطرح عادة فى اللقاءات الصحفية والإعلامية والتى سبقت الإجابة عليها أكثر من مرة.

وقد أثبت لى هذا اللقاء مرة أخرى أن السبب الأساسى فى فشل القرارات الأمريكية على الساحة السياسية والدولية يكمن فى عدم إدراكهم لحقائق العالم ووقوع صانعى القرار الأمريكيين فى أسر الدعاية غير الحقيقية".

ثم عرض رئيس الجمهورية النص الكامل لحواره مع أعضاء مجلس السياسة الخارجية الأمريكى على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عجل لوليك الفرج والعافية والنصر واجعلنا من خير أعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه

أشكركم على التفسيرات التى قدمتموها وأفضل ما قلتم هو أنكم مستقلون ولكن الأمور التى ذكرتموها كانت أمورا خاصة بينما هناك العديد من القضايا فى العالم ولا يجب أن نحصر أنفسنا فى مطالب بعض القوى أو الأحزاب الخاصة. فلننظر إلى الظروف العالمية. فأنا لا أدرى ما هى رؤيتكم للظروف العالمية الحالية وأنا أعتقد أن العلاقات التى تشكلت منذ الحرب العالمية الثانية قد وصلت إلى نهايتها ولا يمكن أن تستمر. رغم أنه ربما يكون هناك بعض الأفراد الذين يريدون تحقيق مصالحهم إلا أن الغالبية غير راضية عن الظروف العالمية الحالية. وقليلون هم الذين يتمتعون بالتفاؤل تجاة رؤية الأحداث العالمية الحالية وتطوراتها. فكل يوم تتسع المسافات وتزيد التوترات والضغائن. وقضية اليوم هى قضية فلسطين والعراق بل وقضية أفغانستان رغم أنها قطعت مرحلة مرضية كما نواجه مشكلات معلقة فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية.

لا زالت أدبيات بعض القوى أدبيات تهديد. ورغم الالتزامات الوقتية والكلامية مازال التسابق على امتلاك الأسلحة النووية مستمرا. وإذا كان المفترض أننا بعد الحرب العالمية الثانية قد توجهنا نحو السلام والاستقرار لكان من الضرورى أن يكون هذا السباق قد توقف. فسباق التسلح النووى وتجربة الجيل الثانى والثالث تدل على أنه بالرغم من الأقوال الظاهرية لا زال المناخ مناخ تهديد وقلق. كما أن تدخل بعض القوى فى الشئون الداخلية لدول العالم يتزايد يوما بعد يوم. ولا زالت هذه المشاهد مستمرة فى العراق وأفغانستان. أى أننا لم نتحرك نحو النقطة المرجوة طوال الستين عاما الماضية. إن من يظنون أنهم محبون للإنسانية يجب أن يعيدوا النظر ويفكروا فى وسيلة للحل. وقد أدى التخلى عن الأخلاق فى العلاقات السياسية إلى توجيه لطمة قوية للعلاقة بين الدول والشعوب. فقد تحولت الدبلوماسية اليوم إلى ساحة للكذب والغش والظلم وقلما نرى اثنين من السياسيين يجلسون معا

ويتحدثون بصدق فبينما يبتسمان يكون ذهن كل منهم مشغولا بالتخطيط للتفوق على الآخر وسلب مصالحه. إلى أين سيؤدي هذا الطريق؟ هل هناك من يظن أن هذا سيؤدي بالعالم إلى السلام والاستقرار؟ أنا أستبعد هذا. فآراء الشعوب في الدول المختلفة وخاصة في منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للحكومات التابعة للقوى الكبرى لا تعطي مؤشرات طيبة. يجب أن نضع على قائمة أعمالنا اليوم إصلاح الوضع. وبالطبع يمكن القول إن تصرفات بعض القوى تمثل دورا محددا في تشكيل هذه الأوضاع. وهي القوى التي تتصرف فيما يتعارض حتى مع مصالحها القومية والشعبية. ونحن نشهد الآن في الشرق الأوسط سلوكا يدل على تخبط بعض القوى. فهم لا يعرفون الشعوب وقد دخلوا إلى الساحة السياسية والاجتماعية لهذه الشعوب لتحقيق أهدافهم النفعية ودمروا العلاقات وجعلوا الظروف عصيبة كما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان ولبنان. بعض القوى يجب أن تعيد النظر في تصرفاتها وخاصة الولايات المتحدة. فالحكومة الأمريكية توجه ضرباتها إلى الشعوب وها هي اليوم بالإضافة إلى ذلك توجه أكبر ضربة لأمريكا نفسها ولشعبها. فالنهج الذي تتبعه الولايات المتحدة اليوم في الشرق الأوسط قد أدى إلى عزلتها في عقول وقلوب شعوب المنطقة وزاد من غضب وحنق أكثر من مليار إنسان على الولايات المتحدة. فهذه السياسات خاطئة فالظروف الحالية تختلف عن الظروف قبل ستين عاما فقبل ستين عاما كانت هناك حرب وقد انتهت والذين انتصروا في هذه الحرب منحوا أنفسهم امتيازات خاصة للتدخل في إدارة العالم. ولكن الآن قد مر جيلين على هذه الفترة واستيقظت الشعوب لتطالب بالحد الأدنى من مطالبها واحتياجاتها الطبيعية. أنا أعتقد أن الوقت قد حان لإعادة النظر. ولكن إعادة النظر يجب أن تكون مبنية على مبدأ. فإذا كانت نظرتنا إلى العالم مثل نظرتنا قبل ستين عاما بل وإذا أعدنا النظر في الأساليب فإنه لن يحدث شئ ذو بال. فالعالم اليوم يحتاج إلى العدالة العالم اليوم يحتاج إلى الأخلاق، يحتاج إلى احترام الإنسان وكلنا يجب أن نؤمن بهذه المبادئ. وبالطبع أنا أريد أن أمنحكم وقتا أكثر حتى يتم اللقاء على شكل حوار.

× السيد الرئيس، لقد نفيت في حديثك وجود الهولوكوست. وقلت أنه أسطورة اختلقت لتحقيق مصالح اليهود. وأنا قد شهدت بنفسي كيف كان يتم قتل اليهود جماعيا. أتمنى أن تدرك أن الشعب الأمريكي غير راض عن إنكار هذه الكارثة التاريخية. كما أنك طالبت أكثر من مرة بإزالة إسرائيل من الخريطة وكان هذا مدعاة للقلق الشديد وأنت تعارض اليهود. فلماذا تنكر الهولوكوست؟

- أشكرك ؤ كرا جزيلا. وقد تحدثت في كلامك باسم الشعب الأمريكي أكثر من مرة. وأنا لا أنفي. ولكني أعتقد أن كلامك يحتاج إلى شواهد وأدلة. وبالطبع لديك شواهد قلتها في معرض حديثك، ولكنك لم تعرض الشواهد. ولكني لم أسمع أن الشعب الأمريكي قد عبر عن رأيه بهذا الشأن في أي مكان.

الكلام الذي قلته واضح تماما. لقد طرحت عدة أسئلة، وللأسف هي أسئلة لم يجب عنها حتى من جانب أولئك الذين ينادون بحرية الفكر. وأنا بوصفي رئيسا للجمهورية ومواطناً وأستاذاً جامعياً طرحت عدة أسئلة ولكن لم أتلق جوابا سوى التهديد.

أسئلتي واضحة للغاية. السؤال الأول: لقد قتل في الحرب العالمية الثانية أكثر من ٦٠ مليوناً من البشر منهم حوالي مليونين من العسكريين والباقي من المدنيين كانوا مواطنين عاديين لا دخل لهم في الحرب وقتلوا بأشكال عديدة وكلهم كانوا محترمين، فلماذا تم التركيز على عدد معين منهم؟ والسؤال الثاني: إذا وقع حدث تاريخي لماذا لا يسمح للجماعات المحايدة ببحثها والتحقيق فيها؟ لماذا يحاكم المواطنون الأوروبيون ويسجنون بجريمة التعبير عن رأيهم المخالف لرأي الحكام؟ بينما نسمح بالبحث في أكثر حقائق العالم قطعية وحسما. نسمح بالبحث حول الله والأنبياء وحرية الإنسان وحقوقه والديمقراطية. وقد أجريت أبحاث حول كل هذا وهناك من ينقضونها ولا يتعرض له أحد. لا نسمح لأحد أن يبحث أو يحقق في حادث تاريخي مر عليه حوالي ستين عاما. أليس هذا أمرا مثيرا للتساؤل؟ نحن نعتقد أنه إذا كان الأمر حقيقي فإنه سيصير أكثر شفافية ووضوحاً إذا تم بحثه والتحقيق فيه ولكن السؤال الأساسي الذي لم يشر إليه أحد هو إذا كان هذا الحادث قد وقع في أوروبا فلماذا يجب على الفلسطينيين أن يدفعوا ثمنه؟ فهم لم يكن لهم أي دور في الحرب العالمية الثانية فلماذا بدعوى وقوع هذه الحادثة يتم تشريد أكثر من خمسة ملايين فلسطيني ليعيشوا لاجئين أكثر من ستين عاما وقد مات الكثيرون منهم في انتظار العودة إلى وطنهم. هذا هو السؤال الأساسي والمهم. إنني لا أبدي رأيا قاطعا حول الأحداث التاريخية، ولكن لماذا لا يسمح للجماعات المحايدة بالبحث والتحقيق؟ والإجابة بالطبع واضحة لي، فعندما أرى عصبية الجماعات الصهيونية عندما أرى الذين شردوا خمسة ملايين فلسطيني بحجة الهولوكوست واحتلوا أرضهم تنتابهم العصبية من هذا السؤال أفهم ما الذي حدث.

ولكن السؤال المهم هو ما الذنب الذى ارتكبه الشعب الفلسطيني؟ ماذا كان دورهم فى الحادث؟ لماذا يجب احتلال أرضهم؟ لماذا يجب أن يدفعوا هم الثمن؟ أولئك الذين لم يكن لهم دور فى الحرب أرضهم محتلة الآن ويعيشون تحت الضغط منذ ستين عاما وكل يوم تضرب بيوتهم بالقنابل ويقتل شبابهم فى الشوارع ونساؤهم فى البيوت وتهدم بيوتهم على رءوسهم. فبأى جرم؟ وعندما يصرخون يقال عنهم إنهم إرهابيون. عندما يظهر من يتساءل تنتاب كل من يتعلق بهذه القضية حالة من العصبية ويصفونه بالإرهابى والمعادى لليهود. لا نحن لسنا معادين لليهود. وفى بلدنا يعيش اليهود جنبا إلى جنب المسلمين فى سلام وهدوء وهم يتمتعون فى حكومتنا بقدر يتناسب مع عددهم. ولكنى أقول لماذا يجب أن يدفع الفلسطينيون ثمن جريمة ارتكبت قبل ستين عاما. وأنا أنتظر جوابا على هذا السؤال. وإذا كان منكم أحد لديه إجابة واضحة عنه فليطرحها.

× وأنا أيضا لدى سؤال وأسألك هل هناك فرق بين الجنود العسكريين الذين يقتلون فى الحرب وبين المدنيين الذين تتم تصفيتهم؟

– نعم، بالطبع هناك فرق. ولكن الشعب الفلسطينى الآن يتعرض لعملية تصفية منظمة. فهل دمهم يختلف عن دم الآخرين؟ هل لدينا فى العالم نوعان من البشر؟ لم أسمع أن الأصدقاء قد أبدوا رأيهم فيما يتعلق بقتل الفلسطينيين.

× السيد الرئيس أنا لا أعتقد أنك أجبت عن السؤال. فقد كنت أنا نفسى فى الحرب فى ذلك الجيش ورأيت بعينى ما حدث؟

– كم عمرك؟

× عمرى ٨١ عاما.

– كنت هناك ونجوت. تهانينا

×السيد الرئيس من المؤكد أنه حدث شئ. وأنا أسألك هل تنفى حدوث الهولوكوست؟

– أنا أعتقد أن تساؤلاتى واضحة. وإذا كنت تعتقد أن هذا الأمر حقيقى فيجب أن تطالب الدول الأوروبية بالتحقيق فيه فلماذا لا يسمحون بالتحقيق والبحث؟ لدينا الآن باحثون فى السجون بسبب قيامهم بالبحث والتحقيق فى قضية الهولوكوست. وليس لدينا فى التاريخ سابقة على وجود باحث تاريخى فى السجن بسبب عمله. ألا يخطر ببالك أن هذا الأمر يعد معضلة؟

× السيد الرئيس ظهر من كلامك عدم معرفتك بالحقائق. فمن أين حصلت على المعلومات؟ ولكننا لدينا من الأدلة والوثائق ما يزيد عن ضعف هذا الصالون. وقد كنا هناك وشهدنا عمق الكارثة. وأنت لا تعرف أصل القضية. هل تعتقد أن ما يجرى فى فلسطين اليوم له علاقة بالهولوكوست؟ القضية فى فلسطين قضية أرض وتاريخ ودين وحلها صعب للغاية. فهناك حجج عديدة لدى كل من الطرفين. فهل تعتقد أن الاشتباكات فى فلسطين سببها تعويض مذابح الهولوكوست؟ إن من أعطاك هذه المعلومات كان يقصد خداعك. فلماذا تصر على نفى هذه الحادثة التاريخية؟ ومن هم الباحثون الذين مازالوا فى السجن حتى الآن بسبب الهولوكوست؟

– أشكرك على أنك تكلمت بإحساس بالغ أنا أقول إذا وقعت حادثة تاريخية فلا يجب أن نفرض قيودا على قيام الأفراد بالبحث فيها. وأنت لا يجب أن تتوقع أن يؤمن الآخرون برأى هو مؤكد لديك وإذا رفض أحد رأيك تتهمه بالإرهاب ومعاداة اليهود. أنت قد اقتنعت ببعض التحقيقات فهل تتوقع أن يقتنع بها الجميع؟ هذا التوقع خاطئ. ألا تعتقد أن هذا التوقع هو أمر ذاتي؟ وإذا لم تكن حجة الغرب فى حماية النظام المحتل هى الهولوكوست فلماذا هذه العصبية الشديدة تجاه الهولوكوست؟ فما فائدة التعصب الشديد تجاه الدفاع عن حقيقة الهولوكوست سوى أن ثمارها تقطف فى فلسطين؟

أنا أعتقد أننا يجب أن نتحلى بالشفافية، ومن هذه الشفافية أننا يجب أن نغير نظرتنا لبعض ما قلت. فلا يمكن إخفاء الحقائق. الحقيقة أن فى الأرض الفلسطينية بشر تجمعوا من أنحاء العالم وأقاموا دولة على أرض الآخرين ونحن نرى قدر الحساسية تجاه هذه القضية التى يبلغ عمرها ستين عاما، نحن لدينا أحداث تاريخية عديدة ولكن يتم التعبير عن الرأى فيها وفى التاريخ وقعت حوادث تصفية ومذابح عديدة ولكن ليس هناك أية حساسية تجاهها. الحقيقة أن النتيجة التى توصلنا إليها بشأن الهولوكوست أنها مرتبطة بالقضايا الحالية. فبماذا يرتبط الهولوكوست بحيث يحيط بها هذا القدر من العصبية؟ أنا أعتقد أننا يجب أن نغير نظرتنا قليلا فهذه الأدبيات أدبيات تدير مطالب العالم لمدة ستين عاما ونحن نرى أنها لم تنجح. ونحن نحتاج إلى إعادة النظر. بأى سبب يقتل أبناء فلسطين؟

ما هو موطن والد السيد أولمرت؟ من أين جاء؟ لماذا يتشرد أبناء فلسطين؟ لماذا ليس لديهم الحق فى تقرير مصيرهم؟ ولكن هؤلاء الذين جاءوا من كافة أنحاء العالم. ألا ترى أن الشعب الفلسطينى له الحق فى الحياة؟ ألم نرى فى السنوات القليلة الماضية عملية تصفية فى البلقان؟ أليست نتائج التحقيق فيها معلومة للكافة؟ ألا يمكن للأفراد أن تكون لهم آراء متباينة فيها؟ بالطبع أنا لدى آرائى فيما يخص هذا المعسكر ولكنى لا

أريد أن أخوض فيها. أنا أريد أن توضحوا لنا علاقة القضية بفلسطين لأنه لم يرتفع صوت في مجلس العلاقات الخارجية لصالح الشعب الفلسطيني، أليسوا بشرا؟

× السيد الرئيس، أنا أريدك أن تجيب على سؤالي، ما هى الدول التى تدين الباحثين حول الهولوكوست؟

– فى النمسا، فى ألمانيا، فى فرنسا، من المؤكد أنكم على علم بهذا، وأنا أرى التساؤل حول الهولوكوست يوضح كثيرا من الادعاءات ويشير إلى كثير من الإمكانيات، فقد تساءل شخص عن الهولوكوست فما هو الرمز الذى فى الهولوكوست بحيث يتعرض لهذا القدر من الهجوم؟بل إنه تعرض للتهديد فلماذا؟ هذه أسئلة جادة نحن أصدقاء لكم ونحب أن نعرف الحقيقة جميعا هذه الأسئلة حقيقية إذا كان أحد يعتقد أن الهجوم على أحمدى نجاد سوف يمحو هذه الأسئلة من أذهان الناس فى العالم فإنه مخطئ. فهناك الآن مليارات من البشر حتى فى أمريكا نفسها يفكرون فى هذه القضية. ونحن مستعدون للاتفاق معكم ولتقم مؤسسة مستقلة بإجراء استطلاع للرأى فى الولايات المتحدة. لماذا تصور أن الشعب الأمريكى البالغ تعداده ٣٠٠ مليون نسمة يؤيد المصالح الصهيونية بالإجماع؟ أنا لا أعتقد هذا.

× السيد الرئيس، ما هو نوع سؤالك حول الهولوكوست؟ هل تسعى لإجراء بحث علمى أم هو سؤال سياسي؟ إذا كنت تسعى للبحث العلمي، فنحن على استعداد أن نقدم لكم وثائق عديدة توضح لكم هذه القضية. ونقترح أن تكلف مجموعة من أفضل باحثيكم بالبحث حول قضية الهولوكوست وليأتوا إلى المناطق المختلفة وسوف نساعدهم لكى تطلعوا على أبعاد القضية.

والأمر الثانى هل أنتم مشفقون على أوضاع الفلسطينيين؟ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تقدم بلادكم المساعدة لإقرار السلام فى فلسطين، لماذا كنتم دائما تدمرون عملية السلام بعد أن وصلت إلى مراحل طيبة عن طريق مساعدة الجماعات الإرهابية مثل حماس والجهاد الإسلامي. هل أنتم فعلا مشفقون على الفلسطينيين؟

– شكرا جزيلا لك. يبدوا أنك تعتقد أن معلوماتك أكثر من معلوماتي. حسنا أنا لا أريد أن أتكلم معك فى هذا الشأن ولكن تأكد أن معلوماتى إذا لم تكن أكثر من معلوماتك فهى ليست أقل. سؤالى واضح للغاية لماذا لا يسمح بالتحقيق؟ هل تسمح لى بالتحقيق؟ تسمح لى أن أرسل فريقا من الباحثين المحايدين التابعين لمختلف الدول لإجراء تحقيق جماعى وهل تقدم لى وعدا بأنهم لن يتعرضوا لهجومكم بعد أن يعلنوا رأيهم؟ إذا ضمنت لى هذا فإننى سأنفذ هذا الأمر.

وبالنسبة لقضية فلسطين فالنقاش كبير بالطبع، هل تعتقد أن عدم النجاح فى فلسطين هو إيران؟ هذا خطؤكم الثاني. إذا كنا نريد حل الأزمة فعلينا حل جذور الأزمة، فتغطية المشكلة لا يحلها. واقتراحنا اقتراح واضح للغاية نحن نقول إن الفلسطينيين جميعا يجب أن يشتركوا فى تقرير مصيرهم. كل فلسطيني، يهودى أو مسيحى أو مسلم وليعد اللاجئون إلى وطنهم ويتخذ الفلسطينيون قرارهم. أنا أعتقد أن السبب الأساسى وراء فشل الاقتراحات هو أنها من جانب واحد وتفتقر إلى العدالة. إذا كنتم تعتقدون أن إيران هى السبب فى عدم التوصل إلى نتيجة فهذا خطأ كبير و لن تستطيعوا أداء أى دور مفيد أبدا. القضية الفلسطينية ليست قضية إيران وقد كانت حتى أعوام قليلة قضية كل المسلمين. ولكنكم اليوم تقولون لى إنها قضية كل الإنسانية. ألا ترون أن شعوب أمريكا الجنوبية أو أفريقيا ليست لديهم هذه الحساسية تجاه فلسطين لأن الكرامة الإنسانية مهدرة هناك ومنطق القوة هو الحاكم وهذا أمر يضر بالإنسانية. نحن نقول إن العدالة يجب أن تنفذ، فهل تعارضون العدالة؟ هل تعارضون إجراء استفتاء حر للشعب الفلسطيني؟ نحن نقول اسمحوا للفلسطينيين باتخاذ قرارهم.

من الذى ملأ مخازن النظام المحتل للقدس بقنابل الليزر؟ إذا كان أحد يتصور أنه سيساعد النظام المحتل بكل قوته وأن شعوب المنطقة ستكتفى بالمشاهدة والاستماع، فإنه مخطئ. أنتم لا تعتقدون أن الدول العربية غير راضية عن وجود النظام المحتل. نحن سكتنا أمام المقترحات السلمية ظاهريا فيما يتعلق بالقضية الفلسطيني. هل تعتقدون أن القبض على أعضاء الحكومة والبرلمان الفلسطينى مؤشرا طيبا للسلام؟ هل ترون أن شعوب المنطقة تتلقى رسالة سلام من خلال قمع الشعب الفلسطيني؟ أنتم مخطئون. أنا فى الواقع أريد إنقاذكم من الخطأ. إذا كانت هذه هى فكرتكم فإن جميع المقترحات ستبوء بالفشل لأنكم تتجاهلون الحقائق. فالقضية الفلسطينية ليست قضية إيران. هى قضية أكثر من ألف مليون إنسان. أنتم الذين تقولون إنكم أهل البحث والدراسة يجب أن تنظروا فى القضية بعمق، وهذه نصيحة مخلصة من صديق.

× أنت متأثر من أجل تحرير الشعب الفلسطينى بينما تنتهك الحريات فى إيران. فقد أغلق العديد من الصحف فى إيران فى السنوات الأخيرة وهناك رقابة شديدة على الصحافة وهناك العديد من الباحثين فى السجون كما أغلقت مؤسسة شيرين عبادى الحاصلة

على جائزة نوبل. أنت تتحدث عن أهمية الانتخابات فى فلسطين بينما فى إيران يرفض مجلس صيانة الدستور صلاحية المرشحين. وعندما يقوم سائقو الأتوبيسات بإضراب تلقون القبض على متزعميهم وتفصلون بعضهم. تتكلمون عن السلام بينما تساعد الصواريخ التى أعطيتموها لحزب الله فى قتل الفلسطينيين. وأنا أتساءل عن هذه التناقضات.

- أشكرك كثيرا على تعاطفك مع الشعب الإيرانى والشعب الفلسطيني. نحن نرفض بشدة قتل البشر فى أى مكان. وإيران بلد كبير وتحدث فيه أحداث كما تحدث فى أى بلد آلاف الأحداث الطيبة وبعض الأحداث السيئة. إذا كنت تظن أن بعض الأحداث السيئة تسبب مشكلة فأنت مخطئ ففى الولايات المتحدة ثلاثة ملايين سجين أى واحد بالمائة من عدد الأمريكيين بينما تبلغ نسبة المسجونين فى إيران ٠٫٠٢٪ من عدد الإيرانيين أى خمس النسبة فى الولايات المتحدة. ما يقرب من تسعين بالمائة من المسجونين فى إيران من المتهمين بتهريب المخدرات أى أننا ندفع ثمن عدم وصول المخدرات إلى أوروبا والولايات المتحدة. هل تقول لماذا أودع هؤلاء الملايين الثلاثة السجون؟ هل أودعتهم حكومتكم السجون بدون سبب؟

فى كل بلد قوانين ويجب على الجميع مراعاتها. فالحرية تتحقق فى ظل تنفيذ القانون. وليس فى بلدنا أحد مسجون بتهمة البحث. نعم إذا قام أحد باحتقار أحد آخر وإهدار حقه وتقدم هذا الأخير بالشكوى فإنه يحاكم فى المحكمة بحضور القاضى والمحامى وهذا أمر واضح للغاية. حتى تعرفوا إن القانون هو الحاكم فى بلادنا. واعلموا أنه منذ ثلاثة أشهر فقط أدينت صحيفة تابعة للدولة بسبب ارتكابها مخالفة وشكوى قدمت ضدها ومازالت مغلقة حتى الآن. فلا تخطئوا فالعديد من القضايا المهمة بالنسبة لكم ليست مهمة بالنسبة للآخرين. إذا تقدم أحد بشكوى ضد جريدة فإنها يجب أن تحاكم فى حضور هيئة تحكيم. وليس معنى هذا أن من يمتلك جريدة له الحق ومن لا يمتلك جريدة ليس له حق أو أن من لديه وسيلة إعلام يستطيع أن يهدر حقوق الآخرين. نعم نحن مستعدون للعمل على أساس ما نقول وهو ما يحدث بالفعل. وأنا أسألك هل تمكن حتى الآن أى أحد من خارج الحزبين الحاكمين من الوصول إلى رئاسة الجمهورية؟ أنت تعرف أكثر منى أن السلطة فى أمريكا تتركز بالكامل فى يد جماعتين. فهل تلخصت كل ميول الأمريكيين فى جماعتين فقط؟ هل تسمحون لأحد من خارج هذين الحزبين بالترشيح لرئاسة الجمهورية؟ إذا كانت هناك حالة واحدة فى تاريخكم فلتعلنوها. ولكن فى بلدنا هناك حرية وبالطبع وفقا للقانون تقدم للترشيح ثمانية أفراد من المعارضين ومن المؤمنين بالاقتصاد الحر ومن المؤيدين للنظام مائة بالمائة واشترك الجميع فى الانتخابات. إذا كنتم تظنون أن وجود ألف مرشح للرئاسة هو أمر طيب فلتسمحوا من فضلكم بأن يحدث هذا فى الولايات المتحدة فسيكون هذا أمرا طيبا للغاية وسنتعلمه منكم. فى بلدنا القانون هو الحاكم. ولتسمحوا من فضلكم بألا نتطرق إلى الشئون الداخلية لأن هذا سيؤدى إلى طرح العديد من القضايا وأرجو أن تصححوا أفكاركم عن الشعب الإيراني. لدينا أكثر أنواع الانتخابات حرية. وأنا معلم وقد تحدثت إلى الناس فانتخبونى والناس أنفسهم شكلوا جماعات شعبية وقاموا بالدعاية على نفقتهم الخاصة. وهذه ديموقراطية خالصة وأصيلة. نحن لا يجب أن نغمض أعيننا عن هذا بينما لا يمكن أن يحدث مثل هذا فى بلدكم وأكرر لا يمكن أن يحدث. فأى بلد هى الأكثر حرية وأى بلد هى الأكثر ديموقراطية. نحن على استعداد للنقاش فى لقاء خاص ولكننا مستعدون لتنفيذ ما نقول فى أى وقت وأى مكان.

اسمحوا للشعب الفلسطينى باتخاذ القرار فلا يجب تضييع حق الشعب الفلسطيني. ولتذكروا أن من يزرع الريح يحصد الإعصار. نحن لا نريد أن يحدث هذا. نحن نريد أن تكون الولايات المتحدة صديقة لشعوب المنطقة ولا نريد أن تتصرف على نحو يزيد الضغائن ضدها. ارسلوا فريقا إلى منطقتنا لتقييم آراء الشعوب فى بلدكم، فحتى فى مصر التى حكومتها صديقة لكم أو فى السعودية أو الأردن أو العراق ودول الخليج واليمن والسودان وجميع الدول وانظروا ما هو رأى الناس فى بلدكم. أنا أعتقد أن أشياء كثيرة سوف تتغير.

× السيد الرئيس، ليس هناك مما طرحت ما يوازى الأسلحة النووية فى أهميته. فتخصيب اليورانيوم هو وسيلة لصناعة القنبلة النووية وأيضا وسيلة لإنتاج الطاقة الكهربية. والولايات المتحدة تتهم بلدكم بأنها تسعى للحصول على السلاح النووى وأنتم تقولون إنكم تسعون إلى تحقيق الأهداف النووية السلمية. وإذا افترضنا أن أهدافكم النووية سلمية وسمح لكم بتخصيب اليورانيوم فعندئذ سوف تطالب بقية الدول مثل مصر والسعودية وغيرهما بهذه الإمكانية وعندئذ ألن تتزايد مشكلات المنطقة؟ هل هكذا تفكرون فى عالم خال من الأسلحة النووية؟

- أشكرك على محاولتك تقديم نصيحة ودية. وأنا لدى سؤال لك هل تؤمن مبدئيا بحق كل الشعوب فى الاستفادة من الطاقة النووية أم لا؟ وهل معاهدة الحد

من انتشار الاسلحة النووية تسمح لجميع الشعوب بامتلاك التكنولوجيا النووية أم لا؟

× نعم يمكن، والمعاهدة تسمح.

– كيف؟ بتصريح الولايات المتحدة أم فى إطار مقررات الوكالة؟ أنظر إذا كنا قبلنا بحق فيجب أن نسمح بتطبيقه. وإذا كنا متخوفين فيجب وقف الأبحاث الكيميائية والأبحاث البيولوجية أيضا. هل يمكن أن يقبل أى عاقل بهذا؟ هل مجرد أن الآخرين يريدون شيئا يعد سببا فى سلب شعب حقه؟ أليس الذين يمكنهم صناعة القنابل الجديدة فى وقت وجيز يشكلون خطرا على العالم؟ هل هناك آخرون فى منطقتنا لديهم السلاح؟ لديهم السلاح ولكن حكومة أمريكا لا تشعر بالقلق، لماذا؟ هل هم فعلا يعارضون وجود السلاح؟ القضية النووية قضية سياسية وليست قضية قانونية. هل يحق لنا أن نقول للبلاد الأخرى توقفوا عن التنقيب عن النفط؟ هل يمكننا تعطيل حق الآخرين؟ لا.

نحن عضو بالوكالة. وقد وقعنا على المعاهدة ونعمل فى إطارها. فما المشكلة فى أن يستفيد كل أعضائها من حقوقهم؟ هل نعتقد أنه إذا استفادت كل الشعوب من الطاقة النووية فإنها بالضرورة ستصنع القنابل النووية؟ هذا خطأ. إن من ينصح الآخرين بشئ يجب أن يفعله هو أولا. أنا أعتقد أن هذه الدول الأربع أو الخمس إذا تخلصت من أسلحتها النووية فإنها سترى بالها ولن تكون مصدر قلق للآخرين. إن أنشطتنا سلمية. ونحن متأكدون تماما إلى درجة أننا فى العام الماضى تقدمنا إلى الأمم المتحدة باقتراح بأن يأتى الجميع ويشاركونا فى أنشطتنا.

نحن متأكدون إلى درجة أننا فتحنا الأبواب وأحضرنا المراسلين وعرضنا عليهم منشآتنا النووية. وقلنا إن هذه معدات لخدمة الطب والطاقة والزراعة. لماذا تزورونها ثم تتحرف بعد ذلك؟ ليجعلوا كل أمورهم شفافة. فلتتسم أمريكا وإنجلترا أيضا بالشفافية. وقد تقدمت فى العام الماضى باقتراح تشكيل لجنة لنزع السلاح وطلبت التصويت من الجمعية العامة للأمم المتحدة ولكنهم لم يسمحوا بذلك. فليذهب من يمتلكون السلاح النووي ويتخلصوا منه ويريحوا العالم. نحن فى بداية الطريق نحو تخصيب اليورانيوم فهل هذا المستوى على القدر الذى يستحق كل هذه الضجة؟ بينما فى منطقتنا من أمدتهم الحكومة الأمريكية بالسلاح النووي. نحن نعتقد أن عصر الأسلحة النووية قد انتهى وأن كل من استثمر فيها قد أخطأ. وأمريكا أيضا أخطأت. لأنها ليست لديها فرصة لاستخدامها كما أنها ليس لها تأثير. فالشعوب لم تعد تستسلم للقنابل والقنبلة الذرية لا يمكنها أن تحافظ على حكومة. وإلا لأمكن أن تحافظ على الاتحاد السوفيتي، فالاتحاد السوفيتى كان يمتلك رءوسا نووية أكثر مما لدى الولايات المتحدة ولكنه انهار رغم ذلك. فاليوم لا يحقق السلاح النووى تفوقا لصاحبه.

ولكن فيما يتعلق بالطاقة السلمية، فهى ضرورة فى هذا العصر. فأنتم ترون وضع النفط، الاحتياطى آخذ فى النفاد. ولكن الاحتياج إلى الطاقة النووية يتزايد كل يوم ونحن نحتاج إلى الطاقة النظيفة. فأى طاقة هى أفضل من الطاقة النووية؟ أنا أعتقد أن النظام يجب أن يتغير. يجب أن يتمكن جميع أعضاء الوكالة من الحصول على الطاقة النووية. ولكن الفرق التى تقوم بالتفتيش يجب أن تكون فرقاً قوية لكى تمنع. وكذلك الحال بالنسبة للأسلحة الكيميائية والبيولوجية لأن هذه أيضا أسلحة قاتلة، والحرمان من التكنولوجيا والمعرفة لا يؤدى إلى شئ. يجب أن نتعلم وأن نستفيد استفادة صحيحة وهو أمر ممكن.

× قلت فى الجزء الأول إنكم تتمتعون بهذا الحق، وهذا صحيح. ولكن لماذا تصرون على هذا الأمر إلى هذه الدرجة التى سببت مشاكل للعالم؟ هل أنتم مستعدون لامتلاك التكنولوجيا النووية دون أن تقوموا بتخصيب اليورانيوم. يمكنكم الآن الحصول على التكنولوجيا النووية دون أن تقوموا بتخصيب اليورانيوم. أنت لا تتكلم معنا بوضوح لماذا تسببون المشاكل فى العالم بالإصرار على تخصيب اليورانيوم؟

– شكرا جزيلا، هناك سؤال مطروح: لماذا يصر البعض على ألا نمتلك هذه التكنولوجيا بينما يقول إن لدينا الحق فى امتلاكها طبقا للقانون، فإذا كان حقنا فلماذا تصرون على ألا نحصل عليه؟ لماذا؟

× نحن لا نريد أن ينتشر السلاح النووى ونحن لا نقصد الشعب الإيرانى فقط، فنحن لا نريد أن ينتشر السلاح النووي.

– أنا أدرك شعورك ولكنى أرى أن تلقوا نظرة حولكم. فقبل منع من يقوم بتخصيب اليورانيوم، نريد أن نمنع من يصنع القنابل النووية. فعندئذ ستحل المشكلة. ما الجهود التى بذلتموها لمنع صناعة القنابل النووية فى أمريكا؟ نحن نعرف أنكم لا تستطيعون لأنكم لا قبل لكم بذلك فأنتم تضغطون علينا لأن قوتكم لا تصل لقوة أصحاب القوة. وهناك الكثيرون مثلكم. ولكن هناك عدة أمور، قلتم إن العالم كله قلق. ليس الأمر كذلك، فأمريكا ليست هى العالم كله حتى إذا كانت كل أوروبا مع أمريكا فإنهم ليسوا العالم كله. فى الأسبوع الماضى حضرنا اجتماع عدم الانحياز وكانت ١١٨ دولة تدافع عن حق إيران. وهم أيضا دول وأعضاء فى المجتمع الدولي، فالقلق إذن فى أمريكا وفى دولتين أو ثلاث فى أوروبا.

ولماذا أنتم قلقون؟ لا تقلقوا. أما ما قلت من أننا لا نصنع ونشترى من الآخرين فهل تعتقد أن هذا اقتراح قانونى أن تقول لشخص يمكنه أن ينتج شيئا لا تنتجه واشتره من الآخرين، لماذا؟ أنا أستطيع أن أنتجه كما أنتج القمح، وكما أنتج الأرز. هل أستطيع أن أقول لكم لا تستخرجوا النفط وسوف أبيعه لكم؟ فلا أقول للأوروبيين لا تصبوا اليورانيوم وأنا سوف أبيع لكم النفط فهل يوافقون؟ ليس من الصواب ألا أنتج النفط بنفسى ثم أذهب إلى الآخرين وأرجوهم أن يعطونى النفط، هل يصح هذا؟ هل تعتقد أن هذا المطلب صحيح؟ إن الشعوب تتمتع بالحقوق القانونية. واسمحوا لى أن أقول لكم بعض التجارب التاريخية أنتم تعلمون أن خطتنا هى إنتاج ٢٠ ميجاوات من الطاقة وحتى الآن قمنا بتوقيع عدة اتفاقيات مع الغربيين كلها لم تسفر عن نتيجة وقد أخلوا بالتزاماتهم وقد وقعنا مع الولايات المتحدة اتفاقية منذ خمسين عاما وقد ألغت التزاماتها من جانب واحد ووقعنا مع ألمانيا اتفاقية لبناء محطة طاقة وألغتها من طرف واحد، ووقعنا مع فرنسا اتفاقية لإنتاج الوقود والتعاون وظلا لسنوات يحرسون مصادرنا ثم لم ينفذوا التزاماتهم وكذلك مع كندا. فكيف يمكننا أن نثق. نحن لا نثق لأن الاتفاقيات التى كانت لدينا لم تنفذ. ولنذهب أبعد من الطاقة النووية فالاتفاقيات الخاصة بشراء المروحيات وقطع غيار طائرات الركاب لم تنفذ. فمنذ خمسة وعشرين عاما لم تقم الدول الأوروبية ببيع طائرات لنا. فبأى ضمان ننفذ ما يقولون؟ بينما نحن أنفسنا يمكن أن ننتج فى إطار القوانين ونحن تحت إشراف ورقابة الوكالة ونبدى غاية التعاون. ونحن أيضا مكلفون بعدم السعى لامتلاك الأسلحة النووية للاعتبارات الدينية أيضا. فنحن حكومة دينية ولا نستطيع أن نفعل ذلك. مفاعل بوشهر لديه اتفاقية منذ متى. منذ ثلاثين عاما لأنه كان تابعا للقرارات السياسية. لا يمكننا أن نترك مصير بلادنا للقرارات السياسية يجب أن نعمل على تقدم بلادنا وننتج بأنفسنا. وأنا أقترح أن تقوم الولايات المتحدة بوقف إنتاج الوقود بعد خمس سنوات ونحن مستعدون بعد خمس سنوات لبيع الوقود النووى لها بخصم ٥٠٪ وبالضمان. نحن بلد وفينا بجميع التزاماتنا حتى الآن وليس لدينا التزام واحد لم نفى به ونحن منضبطون على عكس أصدقائنا الغربيين.

× بالأمس أكدتم فى الأمم المتحدة على ضرورة خروج المحتلين من العراق بينما لم يتحقق الأمن فى العراق، فماذا فعلتم من أجل أمن العراق؟ يقال إنكم عنصر من عناصر انعدام الأمن فى العراق. فما هى سياستكم تجاه العراق وهل أنتم مستعدون للتعاون مع أمريكا فيما يتعلق بالعراق؟

- يعانى صناع القرار الأمريكيون من التخبط فى التعامل مع القضية العراقية. وهم لا يعرفون ماذا يفعلون ولهذا يتهمون الآخرين نحن ليست لنا قوات فى العراق. وأمريكا لديها ١٦٠ ألف جندى فى العراق ونحن نريد الأمن للعراق ونؤيد الحكومة العراقية تماما. فالحكومة العراقية جاءت وفقا لرأى الشعب العراقي. وانعدام الأمن فى العراق يضر بالجميع بالإضافة إلى الشعب العراقى وشعبنا مرتبط عاطفيا بالشعب العراقى فقد عاشا معا ألف سنة وهناك صلات عائلية تربط بين الشعبين، فعندما يتعرض أى شخص فى العراق لمشكلة فإنها تنعكس فى إيران.

وانعدام الأمن فى العراق يخل بالأمن فى بعض مدننا وبالطبع سمعتم عن تفجيرات الأهواز حيث قتل عدد من الأشخاص، وهناك خلل أمنى فى بعض المدن الأخرى ونحن نؤيد إقرار الأمن فى العراق، فعندما جاء الأمريكيون إلى العراق وأسقطوا صدام تصور الكثيرون أن سياسة أمريكا فى حماية صدام وزرع الفتن فى المنطقة قد تغيرت وأرادوا نسيان ذكريات حرب الثمانى سنوات ولكن بعد الإطاحة بصدام أعلنت أمريكا أنها ستبقى.

وهم يقيمون قواعد ثابتة ومواقع عسكرية كبيرة فهل هذا للذهاب أم للبقاء؟ إن من يريد الذهاب يسرع بنقل السلطة إلى الحكومة المنتخبة ولا يمارس الضغوط على الحكومة والبرلمان. منذ شهرين أو ثلاثة قال وزير الداخلية العراقى فى حوار له إن القوات الأمريكية وراء الكثير من الهجمات الإرهابية، أى أن القوات الأمريكية تقتل العراقيين، وتضربهم بالصواريخ وهذا ليس أمرا طيبا. فالشعب العراقى شعب قوى لا يرضى عن الوجود الأمريكى فى العراق.

أنا أعتقد أن الواجب على الأمريكيين بدلا من توجيه الاتهامات للآخرين أن يتعرفوا على الظروف جيدا وأنا أقول لكم بصدق إن السياسات الأمريكية فى المنطقة ليست فى صالح الولايات المتحدة. فأنتم لا تعرفون الشعوب، وأنتم دخلتم أماكن كثيرة فى ضوء مصابيح الإنجليز والإنجليز كانوا يعرفون الشعوب فى وقت من الأوقات ولكن الظروف تغيرت الآن وهم لا يعرفون ماذا يحدث فعلا ويقدمون معلومات غير صحيحة تتخذ حكومتكم القرارات بناءً عليها فتزداد الأمور تعقيدا كل يوم. عندما سقط صدام سعد الجميع وقالوا إن الولايات المتحدة على صواب ولكن الإجراءات الأمريكية التالية حولت الأمل فى النفوس إلى يأس. وأنا أقول لكم إن سلوك حكومتكم فى المنطقة قد أثار مشاعر الشعوب

ضدكم، نحن نرحب بالتعاون فى أى مشروع يهدف إلى تقوية الحكومة العراقية الشعبية وتقدم العراق، وقد أعلنا هذا أكثر من مرة.

× إن عدم وجود علاقات مع الولايات المتحدة يضر كثيرا بمصالح الشعب الإيراني، وقد قال بوش بالأمس إنه يتفهم أن الحصول على الطاقة النووية هو حق للشعب الإيرانى ولكن مواجهتكم لأمريكا تتسبب فى استمرار معاناتكم. لماذا لا تقيمون علاقات مع أمريكا؟ هل أنتم مستعدون للتباحث مع المسئولين الأمريكيين وإعادة فتح السفارة الأمريكية فى طهران؟

- أشكرك كثيرا على تعاطفك مع الشعب الإيرانى وربما تكون أكثر تعاطفا مني. الأصل فى السياسة الخارجية هو وجود العلاقات، وعندما قام شعبنا بالثورة وانتصر أعلن الإمام الخمينى صراحة أننا مستعدون لإقامة علاقات ثنائية ودية مع جميع الدول باستثناء إسرائيل غير الشرعية بل إن الإمام تجاوز عن التصرفات العدائية الأمريكية ولكن الساسة الأمريكيين لم يدركوا قيمة عظمة الإمام هذه وقطعوا علاقتهم معنا لمدة ٢٧ عاما وبالطبع نحن نرحب ولكننا لم نقطع وقد ظلوا يؤيدون صدام لمدة ثمانية أعوام فى الحرب لماذا؟ فماذا قلنا؟ قلنا إننا نريد أن نكون أحرارا، لا نريد الديكتاتور نحن نريد انتخابات حرة. نريد أن نعيش حياة إسلامية. صوت شعبنا للجمهورية الإسلامية بنسبة ٩٨,٢٪ وللأسف لم يحترموا ذلك وقاموا باغتيال أفراد من شعبنا وكان الإرهابيون يتمتعون بتأييد الكونجرس الأمريكي. كل هذه تصرفات سيئة والآن أمريكا نفسها كلما فشلت فى أى مكان تتهم إيران. أنا أعتقد أنكم يجب أن تعيدوا النظر فى سلوككم. يمكن أن تكون لكم علاقات طيبة إذا عدلتم قليلا من سلوككم. فنحن لسنا سعداء بهذا الوضع ولكنهم لا يصلحون أبدا. إن من يفسد شيئا يصلحه ويمكنهم أن يفعلوا الصواب.

× مدير اللقاء:

نشكرك على الوقت الذى خصصته للقاء اليوم وإذا كان لديك ما تقوله فى النهاية فلتتفضل.

- وأنا أيضا أشكركم وقد قلتم فى البداية إنكم مستقلون، وقد قبلت ولكنكم تكلمتم من موقف الحكومة تقريبا وبالطبع لا مشكلة فى هذا وأنا أعتقد أن الاستماع أفضل من الكلام ويمكن أن تسمع من مسافة بعيدة أيضا، فحسن الاستماع يساعد فى حل المسائل. أتمنى لكم التوفيق.

إنجازات الدبلوماسية النووية الإيرانية

■ **مهدى عليخانى** ■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/١٠/١١

بعد مرور عام على إيقاف تعليق الأنشطة النووية الإيرانية، واستئناف تخصيب اليورانيوم، أصبحت الحاجة إلى دراسة وتقييم إنجازات العام الماضى وما به من تحولات فى الملف النووى الإيرانى أكثر من ماسة.

وخلال عملية التأمل والتحليل تلك يمكن أن يؤدى نقد الآليات السابقة وكذلك التأكيد على نقاط القوة وتعظيمها إلى تصحيح المسار، واتخاذ آليات أكثر فاعلية فى إطار الدبلوماسية النووية الإيرانية.

وما يمكن أن نعتبره جدير بالتأمل فى هذا الإطار ما يلى:

توجيه بعض النقد حول الدبلوماسية النووية لا يعنى بأى حال من الأحوال تجاهل جهود الأفراد الذين لازالوا حتى الآن يتولون مسئولية الملف النووى، والحقيقة أن العين الفاحصة تلحظ ابتكارات دبلوماسية وأساليب عمل جديرة بالاهتمام فى الأداء الدبلوماسى الإيرانى والتى يجب اعتبارها ضمن الخبرات القيمة المفيدة للسياسة الخارجية الإيرانية.

لكن على مدار ما يقرب من عام مضى، عندما أعلمت إيران فى اليوم الأول من شهر أغسطس الأطراف الأوروبية المتباحثة معها بقرارها الخاص بتشغيل موقع أصفهان بعض أنشطتها النووية، وذلك برسالة رسمية عن طريق ممثليها فى مكتب الأمم المتحدة فى فيينا، ولا شك فى أن الغرب نظر إلى هذه الرسالة بذهول وعدم تصديق، حتى فى داخل إيران كان كثيرون يعتقدون أن تبعات هذا الإجراء ستكون أكبر مما استعدت له إيران، واتهموا الحكومة الإيرانية الجديدة بأنها لا تريد أن تبذل جهداً فى مسار خلق الثقة لدى الطرف الأوروبى فى المفاوضات. كان قرار حكومة أحمدى نجاد نتيجة ليأس إيران من نتائج المباحثات المطولة مع الدول الأوروبية الثلاث، والحقيقة أن التردد الأوروبى فى الاعتراف بالرسمى بحق إيران فى مواصلة أنشطتها النووية السلمية كان يضع أوروبا فى موضع صعب.

أوروبا كانت ترى أنه على الرغم من البيانات والتصريحات المتكررة الصادرة عن الدول الغربية لإثناء

إيران عن عزمها مواصلة برامجها النووية إلا أن إيران تخطو خطوات جادة فى طريق التمسك بحقوقها المشروعة حتى وإن كانت هذه الخطوات ذات تكلفة عالية على الصعيد الدولى وختاماً فقد أنهى أحمدى نجاد فى شهر سبتمبر دورة المباحثات مع الأوروبيين، وأصدر أمراً لرئيس هيئة الطاقة النووية الإيرانية باستئناف تخصيب اليورانيوم.

على الرغم من أن أحمدى نجاد أعلن آنذاك أنه من غير المخطط له فى النظرية العسكرية الإيرانية، الحصول على أسلحة نووية أو استخدامها، كما أن الحكومة الجديدة لا تميل إلى المواجهة مع الغرب، وتسعى إلى استئناف المباحثات النووية، لكن البعض يوجه لها انتقادات حادة فى هذا المجال لاختياره الوقوف فى صف معارضة الحكومة كموقف عام دون النظر فى جزئيات أداء الحكومة.

مما لاشك فيه أن المصالح القومية محور السياسة الخارجية للدول فى العالم المعاصر، وإيران من منطلق مصالحها القومية قد لجأت إلى التعليق المؤقت لفترة وعندما لم تصل مباحثاتها مع الغرب لنتيجة اتخذت إيران قرار استئناف عمليات التخصيب، الأمر الذى أصلح التوازن الإقليمى لصالح إيران.

فى هذه الفترة الحساسة استطاعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الرغم من الحظر الأمريكى والضغط على جميع الدول لعدم التعاون فى المشروعات النووية الإيرانية استكمال الكثير من المشروعات النووية الإيرانية والوصول إلى نتائج مثل:

تكنولوجيا إنتاج الماء الثقيل، تصنيع أجهزة الطرد المركزى P1، P2. لدرجة أنه على الرغم من ضعف أداء وسائل الإعلام الإيرانية فى هذا الشأن، الأمر الذى حال دون رسم صورة واضحة عن حجم وأهمية العمل الذى أنجز لدى الرأى العام الإيرانى، لكن الإنجاز الذى تحقق أثار إعجاب العالم، ولم يكن لدى الغرب من رد فعل حيال إبراز القوة والاقتدار الإيرانى سوى التحير والدهشة. لاشك أن السير فى هذا الطريق حق مسلم به لإيران ولا يمكن انتزاعه منها طبقاً لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية (NPT) التى تتحمل إيران بمقتضاها قيوداً على نشاطاتها لمدة تزيد عن ثلاث عقود مضت، والغرب مع عدم وجود أى دليل لديه على انحراف الأنشطة النووية الإيرانية يعلن تشككه حول نوايا إيران المستقبلية. من أجل فهم أفضل لإنجازات العام الماضى التى حققتها الدبلوماسية الإيرانية من الضرورى تناول أحداث ومجريات عامين من التعامل الإيرانى مع الغرب فى إطار أطروحة خلق الثقة واختبار النوايا.

لقد تم تعليق جميع الأنشطة الإيرانية الحساسة الاستثنائية فى مجال تخصيب اليورانيوم بدءً من أكتوبر ٢٠٠٣ حتى سبتمبر ٢٠٠٥ كإجراء لخلق الثقة. إيران فى المرحلة الأولى أوقفت أنشطتها فى مجال التحويلات الكيميائية فى أصفهان لمجرد خلق الثقة، كما أوقفت كذلك مصنعا يعمل فى مجال تصنيع وتجميع أجهزة الطرد المركزى.

فى المرحلة الثانية صدق مجلس الشورى الإسلامى على توقيع إيران على البروتوكول الإضافى لاتفاقية (NPT) وبدأت فى تطبيقه فعلياً وفى إطار مواصلة عملية خلق الثقة، أتاحت حصول مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية لمعلومات كثيرة تزيد عما يفرضه البروتوكول الإضافى. كما قدمت إيران للوكالة (بغض النظر عن الناحية القانونية الملزمة) مذكرة شاملة للتوصيف التاريخى الدقيق لعملية تنمية قدراتها التقنية النووية، والتى لازال قسم الاتفاقيات بالوكالة عاكف على اختبار صدقها، وإلى الآن لم يلحظ ثمة اختلاف بين المعلومات التى تصل إليها الوكالة وما قدمته إيران من معلومات طواعية.

فى نهاية الأمر على الرغم من أن إيران قد قامت بالإجراءات سالفة الذكر والتى كان بعضها يشوبه روح المخاطرة، بهدف خلق الثقة، نجد تعامل الغرب مع إيران على مدار العامين مثير للتأمل من عدة جهات، لأنه بشكل عام انصرفت جهود الغرب فى هذا الخصوص إلى إجبار إيران على التخلى عن مواصلة أنشطتها النووية بجميع الوسائل والأساليب.

الغرب فى مواصلته لهذا التوجه الاستعمارى وتجاهله التام لجميع الخطوط الحمراء للسياسة النووية الإيرانية، كان هدفه النهائى أن يحرم الجمهورية الإسلامية الإيرانية من امتلاك أجهزة الطرد المركزى وسلبها حق تخصيب اليورانيوم على أراضيها من خلال إثارة الشبهات حول النوايا الإيرانية وشن حرب دعائية ضد الأنشطة النووية السلمية فى إيران.

بعد أن قررت إيران فى ديسمبر ٢٠٠٥ استئناف تخصيب اليورانيوم فى مركزين داخل منشآت ناتانز، وافق على الفور الأعضاء الخمس الدائمون بمجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا فى فبراير ٢٠٠٦ على تحويل الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن.

على الرغم من أن إيران أعلنت أن تدخل مجلس الأمن فى الموضوع النووى الإيرانى الذى هو سلمى تماماً سيلحق الضربة القاضية لقاعدة خلق الثقة لدى الجانب الإيرانى، لكن ألمانيا وفرنسا وبريطانيا بترديد اتهاماتهم وتقديم تقرير حول تنفيذ بنود البروتوكول الإضافى لمعاهدة (NPT) فى إيران لمجلس خبراء الوكالة طالبوا بتحويل الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن، لكن إيران على الرغم من

تعاملات الغرب الخارجة عن حدود العرف والقانون أبقت الطريق لمؤسساتها النووية مفتوحاً أمام مفتشى الوكالة وذلك للتحقق من صدق النوايا الإيرانية.

بتواصل الإنجازات الإيرانية فى هذه المرحلة من خلال إعلان إيران نبأ النجاح فى تخصيب اليورانيوم بنسبة ٣,٥٪ تغيرت مكانة إيران فى مواجهة الغرب تغيرا واضحاً، لدرجة أن وسائل الإعلام الغربية اعتبرت توصل إيران لهذه التقنية الجديدة حدثاً كبيراً وأذاعت بالبث المباشر خطاب أحمدى نجاد الذى ألقاه فى مدينة مشهد والذى أعلن فيه هذا النبأ.

ومع التحسن الملحوظ فى موقف إيران فى القضية النووية بالإضافة إلى تزايد أهمية الموقع الجيوبوليتيكى لإيران على المستوى الإقليمى، بدأ الغرب يسعى فى إطار صيغة المباحثات (٥ + ١) فضلاً عن تقديم بعض الحوافز لإيران إلى الإيقاف الكامل لتخصيب اليورانيوم، وتعليق بعض الأنشطة النووية الأخرى، كما هدد باتخاذ بعض الإجراءات العقابية فى حالة عدم قبول إيران النظام الجديد للمباحثات النووية التى دعى إيران للدخول فيها.

على الرغم من أنه منذ بداية تقديم مجموعة الإغراءات للمسئولين الإيرانيين على يد خافيير سولانا، أعلن أحمدى نجاد أن إيران سترد رسمياً على المقترحات الغربية فى نهاية أغسطس ٢٠٠٦، لكن الطرف الغربى تحت ضغط من الولايات المتحدة قام من خلال مواصلة استراتيجية الفرار للأمام باتهام الحكومة الإيرانية بالتسويف وإضاعة الوقت، وطالب إيران فى إطار قرار مجلس الأمن رقم ١٦٩٦ بإيقاف جميع الأنشطة النووية نهائياً قبل ١ سبتمبر ٢٠٠٦ وإلا ستواجه عقوبات دولية، وبهذا الإجراء من قبل الغرب اتخذ الملف النووى الإيرانى طابعاً سياسياً خالصا.

إن إيران كدولة موقعة على اتفاقية منع انتشار أسلحة الدمار الشامل (NPT) لم ترتكب أى انتهاكاً للاتفاقية، وكدولة موقعة على هذه الاتفاقية كان لها الحق الكامل ولازالت فى القيام بأبحاث نووية وأن تستفيد من الطاقة النووية فى الأنشطة السلمية.

وفق هذه المستجدات اختارت الدبلوماسية النووية الإيرانية انتهاج استراتيجية المقاومة كأفضل استراتيجية ممكنة، على الرغم من أن كثيرين فى الداخل والخارج دعوا الحكومة الإيرانية إلى الانحناء فى وجه العاصفة واضعين فى اعتبارهم العقوبات الدولية المتوقع تطبيقها على إيران.

لاستراتيجية المقاومة الإيرانية بنية تماثل شكل توضيحى بمعنى أنه عندما تصل دورة رد الفعل السلبى إلى ذروتها تستطيع إيران العبور من هذه المرحلة بتحمل أقصى مستويات الضغط الدولى وبانقضاء مراحل الغليان والأزمة يتم إجبار الغرب على التوجه صوب ردود الأفعال الإيجابية بإعلان إيران التوصل إلى تقنيات نووية عديدة وبالتالى زيادة مصادر القوة فى مواجهة الغرب، وتتحول العملية إلى شد وجذب سياسى بحيث تكون المباحثات هى أفضل خيار ممكن فى هذه الظروف.

لكن مع الردود الإيرانية المطولة فى الوقت السابق على تنفيذ العقوبات الدولية وعدم الاهتمام بالقرار السياسى رقم ١٦٩٦ الصادر عن مجلس الأمن والمباحثات التى تلته وقع خلاف فى وجهات النظر بين أعضاء الطرف الغربى فيما يتعلق بالعقوبات المزمع تطبيقها على إيران مما جعل الاتحاد القائم فى صيغة ٥+١ يواجه احتمال الفشل والتفسخ بشكل متزايد فى كل لحظة.

فى هذه الأثناء، كانت المكانة السياسية والقدرات النووية لإيران كلطمة موج استقرت فى أذن الغرب وفتحت منافذها المسدودة، وأصبح الأطراف الأوروبيون الذين علموا حديثاً بأن إيران قد حصلت على مثل هذه التقنية النووية ولم يكونون يسمعون أصواتنا، اليوم أحسوا بأنهم مجبرين على تغيير أسلوبهم وأن يستمعوا بدقة لكلمات إيران، ولو اتخذت إيران قراراً ما فإنهم يختارون الصمت تحت أى مسمى خشية أن تنقطع عملية المباحثات.

وكما أجبرت القدرات النووية الغرب أن يقترح امتيازات وحوافز لم يكن مستعداً حتى لمناقشتها تحت أى ظرف من الظروف، اليوم يطلب الغرب من إيران أن تصرف النظر عن جزء من تقنياتها النووية (دورة الوقود) فى مقابل تدعيم التعاون فى قطاع آخر من التقنيات النووية (محطات الطاقة)، فى حين أنه على مدار العامين الماضيين كانت الساسة الحاسمة الغربية تعتقد أن جميع التقنيات النووية فى حكم الموضوعات الممنوعة على أى دولة مثل إيران.

اليوم من الواضح تماماً أن الغرب من تلقاء نفسه تراجع عن كثير من الخطوط الحمراء التى سبق أن وضعها لإيران، وهذا يوضح إلى أى حد استطاعت الدبلوماسية النووية الإيرانية خلال عام واحد أن ترتقى بالمكانة الاستراتيجية لإيران، وأن ترفع من القدرات الإيرانية على التفاوض على الصعيد الدولى.

فى الوقت الحالى وضعت أوروبا عملية البحث عن وسيلة للتحكم فى المسألة النووية الإيرانية بشكل سلمى تصالحى يحفظ ماء وجهها على رأس قائمة جدول أعمالها خاصة وأنها تشهد انشقاقاً يحدث بين جانبى الأطلنطى يتزايد عمقاً يوماً بعد يوم.

لكن كما ذكر سلفا، مع تزايد الإشارات الدالة على معارضة الدول الأوروبية والصين لفرض عقوبات

اقتصادية على إيران، وعدم اتفاق أعضاء صيغة ٥+١ على تنفيذ العقوبات الدولية طبقاً للبند السابع فى ميثاق الأمم المتحدة نجد البوشيين (طيف من الجمهوريين والديمقراطيين المؤيدين لسياسة حكومة بوش القاضية بفرض عقوبات على إيران) يستعدون لتكوين تحالف مستقل لتصميم سلسلة العقوبات التى تضم (عقوبات متعددة المراحل) سياسية - اقتصادية من قبيل: فرض عزلة سياسية على إيران، فرض حظر تكنولوجى، تجميد رؤوس الأموال الإيرانية، فرض حظر تجارى على إيران.

هذا فى حين أنه على الرغم من أن بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا وأسبانيا تتقارب مع رأى روسيا والصين القاضى بعدم ضرورة تنفيذ عقوبات على إيران، نجد الولايات المتحدة وبريطانيا تتجهان لاتخاذ سياسات أحادية الجانب، وفى حين نجد طيف الأوروبيين الملوحين بالجزرة فى حالة تزايد ونمو، نرى الولايات المتحدة على النقيض تريد أن تحتفظ متفردة بالعصا.

على هذا الأساس تسعى الولايات المتحدة بعيداً عن الأمم المتحدة فى اتباع دبلوماسية خاصة تهدف فى مرحلتها الأولى إلى تكوين تحالف من مجموعة من الدول لفرض عقوبات مثل منع تصدير التكنولوجيا والمواد النووية إلى إيران، مدعومة فى ذلك بمساندة بريطانيا، وكانت قد دخلت فى مشاورات مع البنوك الأوروبية واليابانية لتحجيم التجارة مع إيران.

مما لا شك فيه أن فرض عقوبات على إيران أمر ليس بجديد، حيث واجهت إيران منذ عام ١٩٧٩ مع نجاح الثورة الإسلامية تنفيذ عقوبات أحادية الجانب من قبل الولايات المتحدة، وقد وسعت العقوبات عام ١٩٨٧ حتى أصبح لزاماً على الشركات الأمريكية أن تحصل على تصريح من الحكومة الأمريكية حتى لأداء بعض المعاملات المحدودة فى مجالات الزراعة والطب، وأعطت الولايات المتحدة لنفسها الحق وبشكل منفرد طبقاً لقوانين مكافحة الإرهاب أن تزيد بعض العقوبات ومن بينها حظر المعاملات المالية مع إيران، لكن إيران لم تلق بالا لهذه الأمور كثيراً، لأنه على مدار العقود الماضية استطاعت تحت سياسة الحظر والعقوبات المختلفة أن تحقق إنجازات محلية عديدة فى مجالات متعددة من بينها المعدات العسكرية والطبية وحتى تقنيات المفاعلات النووية وإنتاج الماء الثقيل.

فى هذه الآونة ينبغى على سياسيى واشنطن ألا يغفلوا عن ما يلى:

أن التجربة أثبتت أن سياسات الحظر والعقوبات لم تكن فاعلة على الصعيد الدولى ولم تثبت جدواها حتى الآن، حتى أن فرض عقوبات على حكومة مثل حكومة صدام حسين التى تختلف كثيراً من الناحية البنيوية مع الحكومة الإيرانية، لم تكن مؤثرة كذلك، ويتساوى مع العقوبات فى عدم جدواها الإجراءات العسكرية الهادفة إلى تركيع الدول، وفى ظل حقيقة أن الاقتصاد العالمى مثل سلسلة متصلة الحلقات، فإن تنفيذ خطر أحادى الجانب على إيران لن يكون عملياً، من ناحية أخرى على مدار العام الماضى زادت القدرات الإيرانية فى منطقة الشرق الأوسط، وعلى أى حال إذا لم يكن فرض العقوبات على إيران متعدد الأطراف فسيكون بلا جدوى وغير فعال.

ينبغى على البوشيين والمحافظين الجدد أمثال اليوت إبرامز ومايكل دوران أن ينظروا بنظرة أكثر واقعية للملف النووى الإيرانى، لأن عملية الخروج من التحالف الأمريكى الخاص بفرض عقوبات على إيران ستستمر بالطبع - وإن اتخاذ الدول الأوروبية لسياسات مستقلة فضلاً عن قوانين الوكالة الدولية للطاقة النووية توضح أن الملف النووى الإيرانى لا يخرج عن إطار بحوث الطاقة النووية.

تتمتع الدبلوماسية النووية الإيرانية الآن بمعرفة واقعية بالإمكانات السياسية الاقتصادية للغرب وقد تجاهلت عدة مرات تحديات التلويح الخادع بالجزرة والتى تجعل المصالح القومية الإيرانية ضحية تحت أقدام المصالح الأمريكية.

إن الرسالة الواضحة للدبلوماسية الإيرانية والموجهة للولايات المتحدة كمؤسس للإرهاب النووى ولحلفائها المحتملين هى أن السياسات النووية الإيرانية قد أصبحت بمثابة تحرك سيارة مستخدمة النور العالى بدلاً من التحرك باستخدام النور المنخفض، وفى حين أن أوروبا سعت على مدار العام الماضى إلى التحقق من الأمر وعندما تيقنت تجنبت المواجهة مع إيران، وهذا النور من الممكن أن يخرج الولايات المتحدة وحلفائها المحتملين عن الطريق وقطعاً سيؤدى هذا الأمر إلى إلحاق الضرر بالولايات المتحدة.

يعتقد كثير من الخبراء أنه فى حالة تنفيذ عقوبات على إيران، تستطيع إيران إحداث صدمة فى المعروض من الصادرات النفطية أو تطيح بالتوازن الدولى بين الدولار واليورو إذا ما عرضت نفطها للبيع باليورو، ومثل هذا الإجراء سيكون مؤلماً جداً للاقتصاد الأمريكى، ويفوق الحصول على أسلحة نووية بكثير، ومما لا شك فيه أنه فى النهاية ينبغى على العالم أن يعترف رسمياً بإيران النووية وأن يتعلم العيش إلى جوارها.

ظلال تجربة كوريا الشمالية على الملف النووي الإيراني «إيران تختلف عن كوريا»

■ مردم سالاري (الديمقراطية) ٢٠٠٦/١٠/١١

بدون شك سوف يكون للتجربة النووية لكوريا الشمالية تداعيات مباشرة على الملف النووي الإيراني، وفي هذا السياق زعم الرئيس الأمريكي جورج بوش أن كوريا الشمالية أحد المصدرين للتقنية الصاروخية لإيران وسوريا. وأدان بوش التجربة النووية لكوريا الشمالية التي اعتبرها تهديدا للسلم والأمن الدوليين. كما ادعى أن النظام الكوري الشمالي يعد واحداً من المصدرين الكبار للتقنية الصاروخية والتي انتقلت إلى كل من إيران وسوريا.

وأضاف بوش أن انتقال السلاح النووي عن طريق كوريا إلى الشركات الحكومية وغير الحكومية هو تهديد جدي لأمريكا ونحمل كوريا بشكل كامل تداعيات هذه الخطوة وفي ذات الوقت تعهد بوش بالحفاظ على مصالح بلاده.

وقد رفضت الدول الأوروبية المقارنة بين الحالة النووية الإيرانية والحالة النووية لكوريا الشمالية ورأوا أن كلتاهما مشكلتين متباينتين ويحتاجان لحلول متباينة.

وقد أدانت الحكومات الغربية كوريا الشمالية على قيامها بالتجربة النووية تحت الأرض في هذه الدولة ولكن الغرب يشك في أن إيران تسعى وراء السلاح النووي وإيران من جانبها تكذب هذا الادعاء ولهذا أكدت الحكومات الغربية على أن هناك اختلاف بين إيران وكوريا الشمالية.

وبناءً على هذا فإن هناك مصدر في الحكومة البريطانية رفض الإفصاح عن اسمه وقال: إيران دولة ديمقراطية وكوريا الشمالية ديكتاتورية تحت إمرة زعيم شعبي لا يعرف الشعب عنه الكثير.

على الرغم من أن جورج بوش قد عرف كلتا الدولتين بمحور الشر ولكن أحد المسئولين الأمريكيين الذي رفض ذكر اسمه قال أن الأمر بالنسبة لكوريا الشمالية مختلف وأنا لا أتوقع أن استراتيجيتنا بالنسبة لإيران سوف تتغير.

وقد وافقت دول مجموعة (٥+١) وهي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين إضافة إلى ألمانيا على العقوبات المتوقعة للأمم المتحدة ضد طهران بسبب امتناعها عن التوقف عن تخصيب اليورانيوم وكذلك يتوقع أن يعقد مجلس الأمن جلسة على وجه السرعة لبحث الأزمة النووية لكوريا الشمالية.

وفي ذات الوقت قال جو فونكر أستاذ العلوم السياسية في جامعة "فريم" في برلين أن التجربة النووية لكوريا الشمالية لا يمكن لإيران أن تقوم بها.

وأضاف أن إيران في الوقت الراهن قد اختارت سياسة ثابتة قبالة الغرب كما أنها تساند من قبل روسيا والصين وهي دولة نفطية.

وأضاف هذا الأستاذ الجامعي، أن التجربة النووية لكوريا الشمالية لن يكون لها تأثير قط على مشروع الاتحاد الأوروبي في الضغط دبلوماسياً على إيران في مجلس الأمن للتصويت من جانب واحد على العقوبات ضد إيران.

وأضاف فونكر: في حين أن كوريا الشمالية من الممكن أن يكون لديها قنابل نووية إلا أن هناك مسافة بين إيران وتلك النقطة، وتشير التقارير إلى أنه لو أن إيران لديها نية لإنتاج هذا السلاح فتفصلها سنوات عن السلاح النووي.

وقد جاء رد الفعل الإيراني والرسمي مستتراً من التجربة النووية الشمالية، فقد امتنعت إيران عن إدانة كوريا الشمالية وصرح أحد المسئولين الإيرانيين الذي طلب عدم ذكر اسمه: أن كل إجراء يعرض السلم والأمن الدوليين للخطر هو إجراء غير مقبول من جانبنا.

ويمكن أن تجبر التجربة لكوريا الشمالية الغرب على أن يعيد التفكير في إيجاد حلول بشأن الملف النووي الإيراني مرة أخرى.

إن إيران عضو في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ووفقاً لبنود هذه المعاهدة يتاح لها القيام بالتقنية السلمية. وقد كانت كوريا الشمالية عضواً في هذه المعاهدة، لكن في سنة ٢٠٠٣ انسحبت من هذه المعاهدة بعد قيامها بعملية تخصيب اليورانيوم وطرد المفتشين الدوليين.

وفي إطار القلق الإسرائيلي من التجربة النووية لكوريا الشمالية صرح أحد الدبلوماسيين البارزين الإسرائيليين قائلاً: إن كوريا الشمالية على استعداد للتعاون مع إيران وتسريع البرنامج النووي الإيراني. يجوز أن تكون كوريا الشمالية قد أنهت تجاربها النووية ولكن هذا الأمر يجعل إيران أكثر قوة في تماديها وعصيانها لمجلس الأمن والولايات المتحدة حيال برنامجها النووي.

تحالف إيران - روسيا أم اختلاف واشنطن - موسكو؟

■ مهدى عليقانى ■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/١٠/٨

رغم أن مفاعل بوشهر النووى يعتبر مظهراً من مظاهر التحالف الاستراتيجى بين إيران وروسيا، إلا أنه فى الوقت نفسه مصدر خلاف بين واشنطن وموسكو، ولذلك لم يتم إعلان تاريخ محدد لإتمامه وتشغيله حتى الآن، ولمبررات عدة يعلن المسئولون الروس عن تأجيل تشغيل المفاعل. الآن وبعد مرور ثلاث عقود على بداية مشروع مفاعل بوشهر النووى كنموذج تطبيقى للاستفادة السلمية من الطاقة النووية فى إيران لازال الحال كما هو من التسويف الروسى.

لقد أعلنت إيران فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٤ أن روسيا وافقت من خلال صفقة قيمتها ٧٨٠ مليون دولار على استكمال المفاعل فى بوشهر والذى كانت شركات ألمانية قد بدأت إنشائه فى عهد الشاه، ولم يكن أحد يعتقد أن استكمال المشروع سيستمر حتى الآن، لكن إيران من منطلق حسن الظن وقعت الاتفاقية مع روسيا فى ٨ يناير ١٩٩٥ والتى نصت على أن تنهى روسيا استكمال المفاعل الأول قبل عام ٢٠٠٠، والغريب فى الأمر أن قيمة العقد قد زادت وقت التوقيع إلى ٨٥٠ مليون دولار.

جدير بالذكر أن بناء المنشآت الأساسية والعوامات الفولاذية لأحد المفاعلات فى بوشهر كان قد استكمل وقت سقوط الشاه بنسبة ٨٥٪ وكان قد تم بناء مفاعل آخر تقريباً.

استطاعت روسيا بسرعة تشغيل حوالى ١٥٠ متخصص بعد توقيع الاتفاقية مع إيران لاستكمال محطة بوشهر، وفى هذا الإطار بدأت إرسال المعدات فى عام ١٩٩٦، وأعلنت أنها تنوى تشغيل ٢٠٠٠ خبير روسى على الأكثر وتدريب حوالى ٥٠٠ متخصص إيرانى.

على أية حال فإن تكميل المحطة وقيمة العقد تتعلق بالمذكرة التى تحدد مدى استفادة روسيا بالمعدات الموجودة بالفعل أو بمشروع مفاعلها الخاص المسمى بـ (VVER 1000) الذى تنفذه لاستكمال المحطة.

لقد تم تدمير معدات المفاعلين السابق ذكرهما أثناء الحرب مع العراق، وهناك اختلافات بين المفاعل الألمانى (زيمنس) وقدرته ١٣٠٠ ميجاوات والمفاعل الروسى (VVER) ، إضافة إلى ذلك فإن الشركة الألمانية (زيمنس) لم تكن قد ركبت المفاعلات ومولدات البخار التى تولد البخار للتوربينات.

لقد قام الخبراء والمتخصصون الروس بفحص كلا المفاعلين عام ١٩٩٤ م وتوصلوا إلى نتيجة أن نسبة التدمير فى المفاعلين مرتفعة جداً، ولذا فإن ضياع المستندات الفنية الألمانية يمكن أن يلحق ضرراً بالغاً بعملهم، وعلى هذا الأساس كان انبساطهم النهائى، تغيير المشروع القديم للمفاعلات الذى يرجع إلى عقد السبعينيات، ووضع تصميم جديد للمنشآت لاستخدم المفاعل الروسى بقدرة ألف ميجاوات والمسمى بـ (VVER 1000) والذى يعمل بالماء.

أعلنت روسيا فى ١٨ مارس ١٩٩٦م أن المشكلة الرئيسية فى تنفيذ برنامج إعادة تأهيل المفاعلات تكمن فى عدم القدرة على الحصول على المستندات التقنية للمعدات المصنعة بألمانيا والموجودة فى بوشهر، وأنه على روسيا - فى حالة عدم قدرة إيران على إعداد المستندات المذكورة لن يرغب الألمان أيضاً فى تقديمها - أن تصنع معدات جديدة بديلة للمعدات الألمانية، وبناء محطة جديدة سيكون أسهل فى هذه الحالة، ولكن إيران تصر على استكمال المفاعل السابق.

على الرغم من أن رضا أمر اللهى رئيس هيئة الطاقة النووية الإيرانية آنذاك قد أعلن فى أغسطس ١٩٩٧ م أن المفاعل المذكور سيتم تشغيله فى عام ٢٠٠٠، وأن المحاولات الروسية السابقة الرامية إلى تصدير مفاعلات جديدة أدت إلى تأخير تنفيذ المشروع وزيادة تكلفته، وبالطبع داخل إطار المجاملات المعتادة، أعلن رضا أمر اللهى أنه سيتم استخدام المعدات المصممة للمفاعلين المذكورين واللذين صنعتهما ألمانيا على الرغم من اختلافهما التام عن التقنية الروسية.

فى هذه الأثناء سعت الولايات المتحدة إلى وضع عقبات أمام إيران عن طريق تشجيع أوكرانيا على منع شركتها الحكومية المسماة (AOA Jurboa Ton) من تقديم العون لمحطة بوشهر، فى ٦ مارس ١٩٩٨م وقعت كل من الولايات المتحدة وأوكرانيا مسودة اتفاقية تسمح للشركات الأمريكية بالتعاون مع مجمعات المحطات النووية الأوكرانية، وعندما يتم التوقيع النهائى على هذه الاتفاقية تلتزم أوكرانيا بعدم تقديم أى تقنية نووية لإيران.

فى نوفمبر ١٩٩٨ طالبت إيران بتسريع بناء مجمع محطة بوشهر النووية، وكانت تطالب بإتمام العملية قبل منتصف مايو ٢٠٠٣، وفى هذا الإطار أكد يوجمن

آدمرف وزير الطاقة النووية الروسى خلال زيارته لإيران على أن روسيا ستواصل بناء مجمع محطة بوشهر النووية باستخدام مفاعل (VVER 1000) على الرغم من المعارضة الأمريكية الإسرائيلية.

لكن مع مرور هذا التاريخ لم يتم استكمال محطة بوشهر النووية لاسباب مختلفة مثل مشكلة اتفاق الوقود النووى بين إيران وروسيا، وعلى الرغم من إنفاق مبالغ طائلة تعادل أضعاف الاتفاق الأول وتعطيل رؤوس أموال تقدر بعدة مليارات أعلن رئيس الوكالة الاتحادية للطاقة النووية الروسية سيرجى كرينكو فى آخر تصريحاته بشأن الجدول الزمنى لتشغيل هذه المحطة أن محطة بوشهر سيتم تشغيلها فى خريف ٢٠٠٧م، تصريحات كرينكو بشأن استكمال محطة بوشهر أثناء لقائه مع غلام رضا أقازاده تجعل سؤالا يتبادر إلى الذهن: إلى متى ينبغى أن تسير إيران خلف الوعود الروسية وتتحمل الضرر الناجم عنها؟

هذا فى حين أنه فى شهر فبراير الماضى أثناء اللقاء السابق الذى جمع بين كرينكو وأقازاده أعلن الطرف الروسى أنه لا توجد أى موانع سياسية لاستكمال محطة بوشهر، وأن روسيا ستشغل محطة بوشهر النووية فى نهاية عام ٢٠٠٦ .

فى هذه الأثناء على الرغم من أن إيران تسعى إلى أن تبدو هذه المحطة عند الحد الذى تنتظره منها وأن تشغل هذا المشروع الاستراتيجى القومى من خلال الاتفاق مع روسيا على نقل الوقود النووى وكذلك دفع ١٠ مليون دولار مقدماً من مجموع ٦٠ مليون دولار هى قيمة الوقود النووى، لكن يبدو أن التأخيرات الروسية المتوالية ناشئة عن الضغوط الأمريكية على روسيا، ويأتى هذا فى ظل الصراع بين طهران وواشنطن وبالتحديد بعد أن أعلنت إيران عن استئناف تخصيب اليورانيوم.

ولأن التعلل فى استكمال وتشغيل محطة بوشهر النووية أمر يتعلق بطرفى الاتفاق، ينبغى على وزارة الخارجية وهيئة الطاقة النووية فى كل من البلدين تحديد المسئول عن استمرار ما حدث، ولذا فإن الجدول الزمنى الأخير الذى لم يتم التصديق عليه من قبل الطرفين حتى الآن أيضاً، لا يمكن أن يعد أساساً مطمئناً لاستكمال هذه المحطة.

ومما لا شك فيه أن المصالح القومية الإيرانية تستوجب حالياً تشكيل لجنة خاصة تضم وزارة الخارجية وهيئة الطاقة النووية الإيرانية لمتابعة هذا الموضوع، ووضع جدول زمنى مقبول لإتمام هذا المشروع مع الطرف الروسى، وهذه اللجنة ستوقف استمرار الخسارات المالية من خلال تقديم تقارير شهرية، وعلى إيران أن تطالب بالتعويض فى حالة تعلل الطرف الروسى دون مبررات حقيقية.

المساعى الأمريكية للحد من نفوذ روسيا فى آسيا الوسطى والقوقاز: حالة جورجيا

■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/١٠/٦

كانت آسيا الوسطى والقوقاز محط أطماع دائمة لامتلاكها موارد ضخمة من النفط والغاز فضلاً عن الموقع الجيو استراتيجى المتميز، ومن ثم حظيت بأهمية خاصة بل واستثنائية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية للأسباب السابق ذكرها مضاف إليها الجوار مع روسيا الاتحادية، لذا كان الوجود المباشر أو غير المباشر فى هذه المنطقة من الأحلام الوردية التى تراود الأمريكيين، لكن وجود الأحلاف الإقليمية فضلاً عن الوجود القوى لروسيا الاتحادية كوريث للاتحاد السوفيتى السابق حال دون وصول واشنطن إلى تحقيق أحلامها، فى المقابل تعد الجهود الأمريكية لخلق نفوذ داخل دول الكومنولث الروسى وإبعادهم عن روسيا الاتحادية من ضمن الاستراتيجيات الأمريكية الناجحة فى هذا الصدد، وكان تغيير الحكومات فى كل من أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزستان بدعم كامل من الغرب إضافة إلى إنشاء العديد من القواعد العسكرية فى بعض دول المنطقة نقطة البداية لتفعيل مشروعات فرض النفوذ الأمريكى فى المنطقة.

بعد تصاعد الأزمة بين موسكو وتفليس أعلنت روسيا أنها علقت قرارها بشأن إخراج أعداد أكبر من القوات الروسية المتمركزة بجورجيا.

هذا فى حين أن روسيا كانت بصدد إخراج قواتها ومعداتها من قاعدتين عسكريتين فى جورجيا، وقررت أن تغلق قواعدها فى نهاية عام ٢٠٠٨م.

لقد تم الاتفاق على خروج القوات الروسية من جورجيا العام الماضى بعد مباحثات أجريت بين الدولتين، وعد هذا الأمر انتصاراً لرئيس جورجيا ميخائيل ساكاشويلى.

تزايدت حدة التوترات بين روسيا وجورجيا منذ تولى ساكاشويلى مقاليد السلطة فى جورجيا عام ٢٠٠٣م،

وتعمقت بعد اعتقال أربعة ضباط روس بتهمة القيام بأعمال تجسسية فى جورجيا، وعلى إثر هذا الإجراء استدعت روسيا سفيرها من جورجيا، وأخرجت بعض دبلوماسييها بأسرهم من هذه الدولة، وقدمت اعتراضاً رسمياً إلى الأمم المتحدة.

فى المقابل قامت جورجيا باتهام روسيا بإعادة نشر قوات إضافية بالقرب من الحدود المشتركة بين البلدين.

تعهد ساكاشويلى منذ نجاح ثورة الورد الأحمر بإخراج جورجيا من دائرة النفوذ الروسى. واستعادة السيطرة على إقليمى أبخازيا وأوستيا الجنوبية والانضمام إلى حلف الناتو عام ٢٠٠٨م.

فى هذه الأثناء طلبت الولايات المتحدة من روسيا وجورجيا إتباع أساليب الحل الدبلوماسى فى المشاحنات التى بينهما، ورفضت وزارة الخارجية الأمريكية طلب روسيا طرح هذه القضية على مجلس الأمن.

الواقع أن الهدف الرئيسى للولايات المتحدة تقليل النفوذ الروسى فى هذه المنطقة إلى أقصى قدر باستخدام زعماء مثل ساكاشويلى، والحيلولة دون عودة موسكو إلى منافس قوى لها فى المستقبل القريب.

وقد بذل البيت الأبيض جهوداً موسعة ومتواصلة لإنشاء اتحادات داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق تميل للغرب والولايات المتحدة وتعادى روسيا الاتحادية، وقد استمرت هذه الجهود فى الوقت الحالى إذ تتشكل فعلياً اتحادات داخل منطقة القوقاز الجنوبى وأسيا الوسطى ودول غرب روسيا، وفضلاً عن الوضع الذى أوجدته الولايات المتحدة وأوربا فى أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزستان، وخروج هذه الدول عملياً من دائرة النفوذ الروسى، فإن بيلا روسيا أيضاً تسعى وراء نفس الهدف فى هذه الأيام.

طبقاً للمخطط الأمريكى ستشكل دول جورجيا وأذربيجان وقزاقستان اتحاداً هدفه الأساسى تقليل النفوذ الروسى فى القوقاز وبحر قزوين.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وجهت الولايات المتحدة اهتماماً أكبر لبحر قزوين وفى السنوات الثلاث الأخيرة تم مد خط أنابيب نفط باكو جيهان بهدف إعطاء دور أكبر لبحر قزوين فى توفير النفط للسوق العالمى والتنافس مع الشرق الأوسط، وركزت الولايات المتحدة على أنشطتها فى هذه المنطقة أكثر من غيرها.

من ناحية أخرى ازداد تعاون جورجيا مع حلف الناتو بعدتولى ساكاشويلى مقاليد السلطة. وكان ثمرة هذا إرسال جورجيا لقوات عسكرية إلى كل من العراق وأفغانستان، ومؤخراً حضر فريق من الخبراء الأمريكيين للبدء فى تنفيذ برنامج تدريب عسكرى مشترك بين الولايات المتحدة وجورجيا تقدر تكلفته بـ ٣٢ مليون دولار.

جورجيا كانت دائماً إحدى الدول التى تتعلق الأنظار بها فى عملية توسع حلف الناتو صوب الشرق، كذلك حكومة تفليس راغبة بشدة فى الانضمام لعضوية الحلف بعد أوكرانيا، ويحتمل حصولها على العضوية فى عام ٢٠٠٧ أو ٢٠٠٨، منذ عام ١٩٩٤ وما تلاها تشترك جورجيا فى البنى الفرعية وترتيبات حلف الناتو مثل مشروع المشاركة من أجل السلام الذى ينفذه الحلف من منطقة أسيا الوسطى والقوقاز، خاصة وأنه تم فتح مكتب ممثلية للناتو فى جورجيا، كما اشتركت جورجيا فى مناورات الحلف.

توضح الأحداث الأخيرة فى جورجيا أن الولايات المتحدة بصدد تشكيل تحالف جديد بالقرب من الحدود الروسية ووضع هذه الدولة (جورجيا) فى مواجهة دول الكومنولث، هذا التحالف تقرر أن يضم أوكرانيا وجورجيا وبلغاريا ورومانيا ومولدافيا وسلوفاكيا والمجر والتشيك وبولندا ودول البلطيق الثلاث، على أن تكون المهمة الرئيسية لهذا التحالف تنفيذ السياسات الأمريكية فى هذه المنطقة من العالم والتى من بينها المساعدة على تولية الحكومات المسماة بالديمقراطية والمؤيدة لواشنطن داخل دول الكومنولث وبخاصة روسيا البيضاء وروسيا الاتحادية.

فى إطار السياسات الأمريكية الرامية إلى إبعاد دول أسيا الوسطى والقوقاز عن روسيا، لم يمر كثير من الوقت حتى أعلنت كل من أوكرانيا وجورجيا أن خروجهما من الكومنولث موضع دراسة.

تشكل الكومنولث فى عام ١٩٩١م على إثر انهيار الاتحاد السوفيتى السابق وهو يضم فى عضويته حالياً كلا من روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء ومولدافيا وأرمينيا وجورجيا وأذربيجان وقزاقتان وطاجيكستان وأوزبكستان وتركمنستان وقرغيزستان، وقد استطاع هذا التحالف على مدار عمره الذى امتد ١٥ عاماً أن يهيئ الظروف اللازمة للتعاون بين جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق.

تستفيد موسكو من هذا التحالف فى التأثير على جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق والحفاظ على نفوذها داخل هذه الدول، وتبذل قصارى جهدها للحيلولة دون القضاء على هذا النفوذ وزيادة فاعلية بنيته فى حال الإمكان من خلال إجراء الإصلاحات اللازمة فى هياكل الكومنولث.

بعد أن أعلنت كل من أوكرانيا وجورجيا أن الخروج من الكومنولث مسألة قيد البحث لديهما، أعلنت روسيا

انه فى حـالة خـروج هاتين الدولتين من الكومنولث سيعاد النظر فى جميع الاتفاقيات المبرمة معهما فى إطار الكومنولث وحذرت من أن هذه القضية ستكون مضرة وبخاصة بالنسبة لجورجيا التى تعتمد على روسيا فى توفير قسم كبير من الطاقة والكهرباء المستهلكة فيها.

من ناحية أخرى تساور موسكو مخاوف من أن تؤدى التحركات الأمريكية فى المستقبل إلى تهديد مناطق سيبيريا والأورال الروسى الذى تتركز فيه مراكز الصناعات الدفاعية الروسية، ولهذا التصور يولى الكرملين أهمية خاصة لتحركات واشنطن فى منطقة القوقاز.

نقطة أخرى جديرة بالذكر هى أن الولايات المتحدة تقوم حالياً بجهود حثيثة للإطاحة بحكومة الكسندر لوكاشنكو فى روسيا البيضاء، وهدف الولايات المتحدة من تولية حكومة موالية لها فى روسيا البيضاء إقامة سد فى مواجهة روسيا يحول دون ارتباطها بأوروبا، هذا السد الذى تكون من دول البلطيق وأوكرانيا وجورجيا، يوجد به خلل واحد يتمثل فى روسيا البيضاء.

ليس من المستبعد فى تصور السنوات القليلة القادمة أن تتولى حكومة ذات ميول غربية مقاليد السلطة فى روسيا البيضاء، وفى هذه الحالة سيتشكل تحالف قوى فى أوروبا الشرقية على امتداد الحدود الغربية لروسيا الأمر الذى بلا شك سيحول الوضع الجيوبولوتيكى لهذه المنطقة لصالح الغرب.

إن دمج جورجيا فى البنية اليورواطلانطية وطلب دخولها حلف الناتو وخروجها من دائرة النفوذ الروسى ووجود قوات عسكرية غربية فى جورجيا وتصفية القواعد العسكرية الروسية فى جورجيا جميعها أمور قد أضرت بشدة بأمن الحدود الجنوبية الغربية لروسيا، ولهذا السبب ليس لدى روسيا القدرة على تحمل فقد حليفها التقليدى فى القوقاز، ولا تريد أن ترى وجود القوات الغربية بالقرب من حدودها الحساسة فى القوقاز.

هذه الحدود مهمة لدرجة أن روسيا تعتبرها قضية حياة أو موت وكانت قد حافظت على آخر قواعدها العسكرية فى أخالكلاكى وتفليس وباتومى وسخومى، ولكن من خلال جهود الحكومة المركزية فى تفليس والضغط على أصلان أباشيدزه زعيم آجاريا استطاع ساكاشويلى بمساعدة الاتحاد الأوروبى فى إعادة آجاريا لتنضوى تحت العلم الجورجى وبالتالى انتهاء عهد الحكم الذاتى لإقليم آجاريا الذى يضم على أراضيه معظم القواعد العسكرية الروسية، وبناء على هذا فإن روسيا لا تستطيع الحفاظ على قاعدة باتومى العسكرية أكثر من ذلك نتيجة الضغط الواقع عليها من الغرب وستضطر إلى التخلى عنها.

ليس من الخفى أن جورجيا تريد إضعاف الوجود العسكرى الروسى فى القوقاز من خلال إغلاق هذه القواعد، ومن ناحية أخرى تمهد السبيل لانضمامها لحلف الناتو.

بعد إخلاء قواعد وازيانى فى تفليس وقاعدة أخالكلاكى لم يعد لروسيا حالياً مكان فى جورجيا، والنقطة الوحيدة للضغط على جورجيا هى قاعدة سوخومى التى فى يد حكومة جمهورية الحكم الذاتى فى آبخازيا.

لقد أعلنت أوسيتسيا الجنوبية منذ استقلال جورجيا، استقلالها هى أيضاً مع أبخازيا وانفصلا عن جورجيا، وهما يعدان من نقاط التأزم فى جورجيا وبمثابة كعب أخيل لها، وفى كلا المنطقتين تمركزت قوات حفظ سلام والتى تعترض على وجودها الحكومة المركزية فى جورجيا.

بناء على هذا فإن تغيير بنية هذه القوات وتقليل دور القوات الروسية يعد مطلباً أساسياً للحكومة المركزية فى جورجيا، ويدعم الحلفاء الغربيين جورجيا فى مطلبها هذا، ولكن روسيا تعترض عليه بشدة وغير مستعدة أن تحدث تغييراً فى تركيب وتعداد قواتها داخل جورجيا، ولهذا تتهم جورجيا حكومة روسيا بتأييد الانفصاليين فى أوسيتيا الجنوبية آبخازيا.

كذلك كان لأزمة الشيشان دوراً هاماً فى إفساد العلاقات الجورجية الروسية، فحيث أن جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتى تتجاور حدودياً مع جورجيا، تتهم روسيا الحكومة الجورجية بالتعاون مع الشيشانيين وإيوائهم، وفى بعض الحالات تقوم المقاتلات الروسية بتعقب الانفصاليين الشيشانيين وتنتهك المجال الجوى الجورجى، الأمر الذى اعترضت عليه جورجيا رسمياً، فى المقابل تتهم روسيا الحكومة الجورجية بتدريب المتطوعين الشيشانيين فى وادى بانكيس وإيوائهم على أراضيها.

كيف يكتب الإيرانيون؟

■ زينب محمد بشار
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر

يمكن التمييز بين أربع مراحل مختلفة خلال تاريخ التأليف باللغة الفارسية الطويل حتى العصر الحديث وهى باختصار:

١- العصر السامانى (٢٦١-٣٨٩ هـ / ٨٢٠- ٩٩٨م):
وقد تميز النثر فى هذه الفترة بالبساطة والسلاسة والاختصار واعتبر شديد القرب من لغة يتحدث بها شخص متعلم فى هذا الوقت.

٢- العصر الغزنوى والسلجوقى والخوارزمى (٣٨٩-٦١٧هـ /٩٩٨ - ١٢٢٠م): وفى هذه الفترة أدى الاستخدام المتزايد للصيغ العربية إلى ازدياد التنميق فى اللغة بالرغم من سيادة أسلوب الفترة السابقة.

٣- العصر المغولى والتيمورى (٦١٧- ٩٠٦ هـ / ١٢٢٠ - ١٥٠٢م): وفيه وصلت الكتابة فى مجال التاريخ والعلوم النظرية والإنسانيات إلى ذروتها بينما اضمحل النثر الفنى عموما.

٤- العصر الصفوى(٩٠٧ - ١٢١٠ هـ / ١٥٠٢ - ١٧٩٦م): وفيه سادت الموضوعات المذهبية الحافلة بالمحسنات، وقد سقط النثر فى هذه الفترة فى اضطراب لا نظير له عندما جمع بين الأسلوب الأدبى الذى تطغى عليه الصنعة، والأسلوب البسيط القريب من العامية، وكانت الكتابات الدينية تشكل أساس الأدب الصفوى وكانت تكتب لطلاب العلوم الدينية بأساليب بسيطة حتى يمكن تحقيق الاستفادة القصوى من معناها فى خدمة نشر المذهب الشيعى وتأصيله فى المجتمع، فضلا عن امتلائها بصيغ النحو العربى للتأكيد على اتجاه التشيع فى إيران، وإضافة لأن بعضها كتب بأقلام دعاة الشيعة القادمين من بلاد العرب وخاصة لبنان، والذين كتبوا بأساليب فارسية معربة.

وكان حسنات العصر الصفوى ظهور الكتابات القصصية التاريخية والدينية فضلا عن ترجمة القصص عن السنسكريتية والهندية الدارجة مثل: (رزم نامه = كتاب الحرب - والرامينا والمهابهارتا والشوكاستبانا). وقد كتبت هذه القصص فى صيغ بسيطة، واعتبر هذا الأدب الدارج إرهاصا شرعيا للتيارات المعاصرة فى الأدب الفارسى .

أما فى العصر الحديث فقد اتسع نطاق النثر فى أشكاله وموضوعاته، وأخذ يتناول القضايا السياسية والاجتماعية والأساطير والعلوم الجديدة والنقد الاجتماعى وغيرها.

و قد ظهرت نهضة أدبية محسوسة فى بداية القرن التاسع عشر نتيجة لعدة عوامل وأسباب أدت إلى نهضة الحياة الثقافية والفكرية فى إيران ومن أهمها:

-الاهتمام بإنشاء المدارس والجامعات وإرسال البعثات التعليمية إلى الخارج: وكان ذلك نتيجة لجهود بعض المثقفين والمفكرين فى الدولة كـ "ميرزا تقى أمير كبير"، و" ميرزا ملكم خان" ،وغيرهما الكثير والذين بذلوا قصارى جهدهم فى تطوير الفكر والثقافة الإيرانية خلال العصر الحديث . وكانت مدرسة "سبهسالار" من أبرز هذه المدارس ، والتى أقامها " ميرزا حسين سبهسالار " أحد المصلحين فى العصر القاجاري، بطهران عام ١٨٧٨م وكانت تضم مكتبة ضخمة تزخر بالعديد من الكتب القديمة . كما كانت هناك مدرسة " دار الفنون" التى أنشأها الوزير " ميرزا تقيخان أمير كبير " عام ١٨٤٩م فى عهد " ناصر الدين شاه" القاجارى ، وكان لها أثر كبير فى نمو الحركة الثقافية داخل إيران ؛ حيث اهتمت بتدريس العلوم الحديثة ، وكان يقوم بالتدريس بها أساتذة وخبراء أجانب . وكان للذين تخرجوا من هذه المدرسة النصيب الأكبر فى التطوير الثقافى الإيرانى مما كان له أثر كبير على الأدب الفارسي.

- **حركة الترجمة:** لعبت الترجمة فى الحركة الأدبية الإيرانية المعاصرة دوراً بناءاً لا يمكن التغافل عنه ؛ إذ

فتحت نافذة كبيرة بوجه الأدب الفارسى أطل من خلالها على روائع الآداب العالمية . وتركت ترجمة هذه الروائع العالمية إلى اللغة الفارسية تأثيراتها الواضحة على الأدب الفارسى الحديث - لا سيما النثر - خاصة، وقد رافقت عملية الترجمة انتشار المطابع ونمو الطبقة المتعلمة. وكان من أهم تأثيرات تلك الترجمة إيجاد نزعة عند الكاتب الإيرانى للكتابة بأسلوب نثرى بسيط والتخلى عن التعقيدات النثرية التى شهدها النثر الفارسى خلال المرحلة السابقة. وكانت الكتابات الفارسية فى نهاية القرن التاسع عشر فى معظمها ترجمة وتقليداً لآثار الكتاب الغربيين، لا سيما الفرنسيين منهم كموليير، ودوما، وجول فيرن، وفكتور هيجو. كما كانت هناك ترجمات عن العربية والإنجليزية والروسية والتركية. وقد بدأت هذه الحركة بترجمة الكتب العلمية فى الطب والرياضة والكيمياء ، وكان ذلك بغرض تدريسها فى " دار الفنون" ، ثم ترجمت الأعمال الأدبية بعد ذلك لكبار الأدباء فى العالم ، ومن أهم هذه الكتب التى تركت الأثر الأكبر فى الثقافة الإيرانية: كتاب " تلماك " للقس والكاتب الفرنسى " فرنسوا فنلن " حيث قام " على خان ناظم العلوم" بترجمته ، وطبع عام(١٨٨٦م=١٢٦٥ش) .كما ترجم " شاهزاده محمد طاهر ميرزا " بعض أعمال " فرنسوا دلنشينى " مثل: رواية "الكونت دى مونت كريستو " وقد طبعت هذه الترجمة فى تبريز عام (١٩٠٤م=١٢٨٣ش)، كما ترجم " لوئى چهار دهم وعصرش" " لويس الرابع عشر وعصره " عن آلكساندر دوما " وطبعت فى تبريز عام (١٩٠٥م= ١٢٨٤ش) ، ورواية " ميستررد و پاري" (أسرار پاريس) عن " أجن سو" (١٨٠٤- ١٨٥٧ م=١١٨٣-١٢٣٦ش) . كما قام " ذكاء الملك " بترجمة بعض الكتب الفرنسية ومنها: حول العالم فى ثمانين يوماً عن " جول فيرن "، الكوخ الهندى عن " برناردى سان بيير " ، مغامرات ابن السراج عن " شاتو بريان " . كما ترجم " محمد كرمانشاهى " بترجمة " جيل بلا " عن " لى ساج " . وإبراهيم نشاط "بول وفرجينى" عن برناردى سان بيير " وطبعها "عليقلى خان" عام (١٩٠٧م=١٢٨٦ش) ، و" على مقدم السلطنة " "طبيب رغم أنفه "عن "موليير" . كما أثرت ترجمة " عبد الحسين ميرزا قاجار" لبعض روايات " جورجى زيدان " على تطور الذوق الأدبى وموضوعاته . فكانت هذه الترجمات عظيمة الفائدة ؛ لأن المترجمين نهجوا أسلوب المؤلفات الأصلية فى الكتابة عند نقل المتون الأجنبية إلى لغتهم الفارسية، وتخلصوا فى هذه الترجمات من القيود اللفظية والصنائع البديعية ، ونقلوا الترجمة بأسلوب سهل بسيط. كما أن ترجمة بعض المسرحيات " لموليير" قد أثرت فى تقدم فن المسرح وكتابة المسرحيات، وكان هذا الفن لم يعرف بعد فى إيران حتى ذلك الوقت .

- إنشاء العديد من الصحف والمجلات:

أ- الصحف الصادرة داخل إيران: ظهرت أول صحيفة فى طهران بفضل جهود "أمير كبير"، وهى صحيفة "وقايع اتفاقيه" فى العام الثالث من حكم " ناصر الدين شاه" وصدر العدد الأول منها عام (١٨٥٠م= ١٢٢٩ش) ، وكانت تهتم بنشر أخبار إيران والخارج ، بالإضافة إلى المقالات العلمية المفيدة . وظلت تصدر بنفس الاسم لمدة عشر سنوات إلى أن تم تغييرها عام (١٨٦٠م=١٢٣٩ش)، وأصبح اسمها " روزنامهء دولت عليه ايران " وظلت تصدر بشكل غير منتظم حتى عام (١٨٧٠م =١٢٤٩ش) ثم أوقفت بعد ذلك ، وصدرت مرة أخرى باسم " روزنامهء علميهء دولت عليه ايران "، ثم باسم " روزنامهءملت سنيه ايران" وكانت جريدة شهرية تصدر فى "دار الفنون" تحت إشراف "شاهزاده اعتضاد السلطنة وزير العلوم " .

وقد ظهر عدد قليل من الصحف داخل إيران قبل الدستور عام ١٩٠٥م ، وكانت تهتم بالسياسة إلى حد ما ، لكنها كانت تحتوى على الكثير من المقالات الشعرية والأدبية فى الأساس . ومن أبرز الصحف التى كانت تصدر فى الداخل:

١-" صحيفة تربيت" (١٨٩٦- ١٩٠٦م= ١٢٧٥ - ١٢٨٥ش) ، وكانت تصدر أسبوعياً فى "طهران" فى بداية حكم "مظفر الدين شاه" وكان يصدرها "محمد حسين فروغى" الملقب "بذكاء الملك" ، وكانت هذه الصحيفة ذات ثقل سياسى .

والواقع أنها كانت ناطقة بلسان الحكم المستبد ، وربما كانت ذات أهمية خاصة من الناحية الأدبية فحسب ؛ حيث كان صاحبها كاتباً وشاعراً مرموقاً . وقد تحولت الجريدة إلى معلم من المعالم الأدبية فى ذلك الوقت بسبب الموضوعات التى كان يكتبها ، وكثير من السير المهمة والمقالات العلمية والترجمات التى كانت تنشر مسلسلة .

٢- شرافت: وكانت صحيفة مصورة تصدر فى طهران باسم " شرف " تحت إشراف " محمد خان اعتماد السلطنة " واستمرت تصدر تسع سنوات (١٨٨٣-

١٨٩٢م=١٢٦٢ -١٢٧١ ش) ، ثم عادت فى أوائل حكم " مظفر الدين شاه " عام (١٨٩٧م =١٢٧٦ش) باسم " شرافت " بإشراف "محمد باقر خان اعتماد السلطنة" .

٣- خلاصة الحوادث: وكانت أول صحيفة رسمية يومية وصدرت فى عهد " مظفر الدين شاه " عام (١٢٧٨ش=١٨٩٩م)، واستمر صدورها خمس سنوات .

هذا بالإضافة إلى الصحف والمجلات التى كانت تصدر خارج العاصمة فى المدن الأخرى مثل: (ادب - كمال - كنجينه فنون - روزنامهء تبريز - الحديد - احتياج - فارس - فرهنگ) وغيرها . وقد أثرت هذه الصحف فى تشكيل الأفكار ،وتدريب الكتاب الجدد ، وتجديد النثر الفارسي. كما قدمت صحف المعارضة التى كانت تصدر فى الخارج معظم الأشكال الأدبية الجديدة، وبثت التأثير الفكرى الحقيقى فى جماهير الشعب الإيرانى ، وكانت تصل خفية إلى الناس عن طريق التجار والمسافرين والزوار فى القفقاز وتركيا والعراق ومصر ولندن ، وكانت تتحدث عن أوضاع إيران بحرية ، ومن أبرز هذه الصحف:

١- جريدة " اختر" ،وهى أول صحيفة إيرانية تصدر فى الخارج بأسلوب جديد وكانت تصدر أسبوعياً فى اسطنبــــــول من (١٨٧٥ - ١٨٩٥م=١٢٥٤-١٢٧٤ش)، باهتمام " ميرزا نجفقلى خان تبريزى " أحد المسئولين الإيرانيين فى تركيا ، وكان يديرها " آقا محمد طاهر تبريزي" وكان كتاب هذه الجريدة من المفكرين الأكفاء أنصار الحرية مثل: (ميرزا آقا خان كرماني- شيخ أحمد روحى - ميرزا مهديخان تبريزى) وكانت ذات نغمة معتدلة ونقطة تجمع لكثير من الوطنيين فى المنفى .

٢- جريدة " قانون " الأسبوعية ، وقد ظهرت فى لندن (١٨٩٠: ١٨٩٣ م = ١٢٦٩: ١٢٧٢ ش) ، حيث قام بنشرها " ملكم خان" ، بالتعاون مع أنصار الحرية. وتمتعت هذه الصحيفة بأهمية كبيرة من بين صحف ما قبل الدستور فى نشر الوعى السياسى والفكرى والاجتماعى الإيرانى، وقد أدى أسلوبها المبسط إلى جلب الناس لقراءتها ،كما ساهمت فى تأسيس أساليب جديدة فى الكتابة.

٣- حكمت: وهى جريدة أسبوعية صدرت فى القاهرة عام (١٢٧٢ش=١٨٩٣م) ، وكان كاتبها " ميرزا مهدى خان تبريزى زعيم الدولة" وكانت تصدر باللغة الفارسية وتهتم بالإقلال من التركيبات العربية وكانت مقالاتها شديدة التأثير.

٤- جريدة " الثريا " (١٩٨٩- ١٩٠٠م=١٢٦٨-١٢٧٩ش) ، و" پرورش " (١٩٠٠- ١٩٠١م=١٢٧٩-١٢٨٠ش) وكانتا تصدران فى القاهرة على يد " ميرزا محمد خان كاشاني" ، وبرغم قصر عمرهما إلا انهما اكتسبتا شهرة واسعة.

وتعد صحيفة " پرورش " من أفضل وأهم الصحف الإيرانية ، ولها أسلوب جيد فى الكتابة ، وكان بها العديد من الأفكار النابغة ، كما أنها كانت أحد موجبات الانقلاب الفكرى فى إيران؛ حيث كانت تعكس فساد المجتمع الإيرانى .

٥- " الحبل المتين " ، وكانت تصدر أسبوعياً فى " كلكتا "على يد " سيد جلال الدين كاشانى مؤيد الإسلام" ، وقد بدأ ظهورها عام (١٨٩٣م =١٢٧٢ش) ، وكانت واحدة من أكثر الصحف انتظاماً فى تلك الفترة ؛ وذلك لتمتعها بتأييد مستمر من الدوائر الدينية حيث كان يخصص جزء منها للموضوعات الدينية . ولأنها كانت تصدر فى الهند ؛ فكانت تؤثر بهجومها المركز على العيوب السياسية والاجتماعية فى اتجاه كثير من الأحداث السياسية ، وتقدم خدمات ملحوظة للشعب، وكان دورها لا يقل تأثيراً عن جريدة " كولوكول" (جرس) هرتسن فى روسيا .

- وتزامناً مع الثورة الدستورية (١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م) ظهرت صحيفة "صور اسرافيل". وكان يديرها شاب متحمس يدعى "جهانكير خان الشيرازي" الذى استطاع من خلال هذه الصحيفة أن يلفت اهتمام كافة الأوساط الاجتماعية ومختلف الطبقات.

و قد كتب فيها "دهخدا" صاحب الموسوعة الفارسية الشهيرة "لغتنامه" سلسلة من المقالات تحت عنوان "چرند وپرند" "ثرثرة" وكان يذيلها باسم "دخو" وكانت هذه المقالات سبباً من أسباب اشتهار هذه الصحيفة. وقدمت هذه المقالات الساخرة خدمة قيمة للأدب الحديث فضلاً عن تأثيرها الاجتماعى وبث الوعى بين الناس.

وكانت مقالات "دهخدا" مصدراً لإلهام ثانى أساتذة الأدب الفارسى الحديث ـ اى محمد على جمال زاده ـ حيث ألف مجموعته القصصية" يكى بود يكى نبود"(كان يا ما كان) متأثرا بـ" چرند وپرند " دهخدا، ولم يكن محمد على جمال زاده قد فتح الباب ببراعة بوجه النثر الحديث فحسب، بل يعد أيضاً واضع حجر الأساس للقصة القصيرة فى الأدب الفارسى بالرغم من استخدامه للعامية.

وفى السنوات الأخيرة من العهد القاجارى ظهرت

مجله "بهار" التى كان يديرها "ميرزا يوسف اعتصام الملك" وذلك فى عام ١٣٢٩ هـ ، ولم تستمر أكثر من عام واحد ثم ظهرت ثانية بعد عشر سنوات وذلك فى عام ١٣٣٩ هـ وكانت تميل فى أسلوبها الأدبى إلى الأسلوبين العربى والتركى ،كما كان لمجله "دانشكده" الشهرية التى صدرت فى عام (١٣٣٦ هـ) دور واضح فى التحول الأدبى وساعدت على خلق حركة أدبية جديدة. وقد أبدل اسمها فيما بعد إلى "نوبهار".

وقد لعبت بعض المجلات مثل "سخن" و"يغما" دوراً كذلك، لا سيما على صعيد التحقيق والنقد الأدبى الذى ساهم فى تحديد نقاط الضعف وتقوية نقاط القوة، وبث الآراء الجديدة والأخذ بزمام الحركة الأدبية نحو مزيد من التبلور والازدهار.

وقد أدت هذه الصحف السابقة وصحف أخرى إلى ما هو أكثر من إيقاظ الوعى السياسى الذى أدى إلى الثورة الدستورية؛ حيث أثرت فى قيام حركة أدبية ظهرت منذ ذلك الوقت بوضوح وجلاء فى النثر الفارسى المعاصر. وكانت الانكسارات المتلاحقة التى تعرضت لها إيران فى حروبها مع روسيا فى العهد القاجارى وضعفها فى مواجهة البلدان الغربية قد أثارت قلق بعض الشخصيات الوطنية آنذاك ودفعها للتفكير بالحل. وكان ميرزا تقى خان المعروف بـ"اميركبير" من بين تلك الشخصيات التى فكرت بإيجاد حل للأوضاع المتردية التى تشهدها البلاد. وأصبح الأدب فى عهده مرآة تعكس الآمال والطموحات والشعور بالحاجة إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية وقطع الاعتماد على البلدان الخارجية، ويعد كل من عبد الحسين الكرمانى وعبد الكريم طالبوف وزين العابدين المراغى ممن لعبوا دوراً جديراً بالملاحظة فى تطور النثر الفارسى خلال العصر الحديث. فبالرغم من أنّ آثارهم لا تتميز بقيمة أدبية كبيرة، إلا أنهم طرحوا من خلالها أفكاراً جديدة وتميزت بأسلوب جديد أيضاً.

فعبد الحسين الكرمانى المعروف بـ" ميرزا آقاخان" كان ذا أسلوب مؤثر متميز بروح التمرد .. التمرد على الجهل والأوهام والخرافات الناجمة عن استبداد ناصر الدين شاه، وقد هرب مع صديقه الشيخ أحمد روحى إلى اسطنبول وأخذ يكتب فى صحيفة "اختر" وينشر فيها أفكاره المتأثرة بآراء السيد "جمال الدين الأسد آبادي" ، داعياً مع الشيخ أحمد روحى إلى وحدة العالم الإسلامي. ومن آثاره قصة "تمساح الدولة" التى تطرق فيها إلى فساد حكام عصره وفقر المجتمع من خلال أسلوب لاذع أثار غضب السلطة وأدى فى النهاية إلى إعدامه مع رفيقه"الشيخ "احمد روحي". أما "عبد الكريم طالبوف" فقد ولد فى تبريز ثم غادر إلى تفليس وأتقن اللغة الروسية وذهب منها إلى داغستان حيث أمضى بقية عمره هناك. ومن آثاره "السفينة الطالبية". وهو عبارة عن حوار بين مؤلف وابنه "أحمد" الذى لعب فى هذا الكتاب نفس الدور الذى لعبه "اميل" فى كتاب جان جاك روسو. وكان لهذا الكتاب تأثير واضح على الفكر والأدب الفارسي.

وهناك كاتب أرمنى يدعى "ملكم خان" يعد من مروجى الثقافة الغربية، وأفكاره فى الغالب عبارة عن تلفيق بين مذهب "اوجست كونت" الفرنسي، وآراء جان ستيورات الإنجليزي. وكان شديد الرغبة فى الأخذ بالمدنية الغربية وترسيخ الأفكارالليبرالية، ورغم هذا فقد عدّ أحد أدباء طليعة الحركة الأدبية فى العصر الحديث؛ لما اعتمده من أسلوب بسيط خال من التعقيد.

و قد اعتبر "سعيد نفيسي" فى كتابه "روائع النثر الفارسى المعاصر" كلاً من طالبوف ودهخدا على رأس المجددين فى النثر الفارسي، وعدّ محمد على جمال زاده وصادق هدايت من أبرز السائرين على دربهما.

و بشكل عام تعد كتب الرحلات "سفرنامه" أولى ثمرات النثر الفارسى الجديد. وقد ألف ناصر الدين شاه نفسه اثنين من تلك الكتب، والتي طرق فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية فضلا عن تناوله لموضوعات جغرافية.

و يعد كتاب "سياحتنامه ابراهيم بيك " " لزين العابدين المراغي" من بين الكتب التى ذكر أنها كانت ذات تأثير كبير على حركة الأدب الفارسى الحديث.

-الاتجاه الروائي: أثرت الأحداث السياسية خلال هذه الفترة على الأدب الفارسى ، وتحول الكتاب إلى الكتابة الروائية الخالصة واختاروا القوالب الأسطورية ، فكان التعبير عن الوطنية يتم بتمجيد ماضى الأمة ، وبزغ إلى الوجود نوع من الرواية التاريخية، واعتبرت تطوراً للسير الشعبية الفارسية ، لكنها لا ترتفع إلى مستوى الرواية المعاصرة ؛ حيث لم يمكن إدراجها أثراً فنياً وأدبياً كاملاً ولكن انتشارها كان يعد حادثة أدبية مهمة ، ومقدمة وسابقة جديدة فى الآداب الإيرانية المنثورة ، وإن كانت قد تطورت بعد تعرف الكتاب على الرواية الأوربية من خلال الترجمات التى تمت لروايات " اسكندر دوماس " وأثرت إلى حد كبير فى تطوير أسلوب الكتابة باللغة

الفارسية مثل: رواية " شمس وطغرا " لمحمد باقر خسروى كرمانشاهى " ١٩٠٩م ،حيث مثلت هذه الرواية جسرا بين الأدب الفارسى القديم والحديث ، واعتبرت طليعة الرواية الحديثة فى إيران . أما الرواية التالية" عشق وسلطنت " لموسى نثرى" فكانت بحق الرواية الأولى التى تناولت تاريخ إيران القديم. كذلك الروايات التاريخية لغيرهم من الكتاب كحسن خان نصرت الوزراء بديع ، وصنعتزاده الكرمانى والتى ظهرت أعمالهم بين عامى (١٩٠٩ - ١٩٢١ م).

لقد شكل الاتجاه الروائى جانباً كبيراً من الحركة النثرية المعاصرة، وحظيت المؤلفات القصصية باهتمام ربما طغى على باقى الاهتمامات، أو بقول النقاد إن النثر الفارسى قد وقع خلال (١٩١٩- ١٩٣٠م) تحت هيمنة الرواية والقصة القصيرة، ففى بداية هذه الفترة (عهد رضا شاه)، ظهرت المجموعة القصصية القصيرة "كان يا ما كان" "لمحمد على جمال زاده" التى صدرت عام١٩٢٢م. وكانت بداية لظهور القصص الأسطورية. وتبلور أسلوبه فى الاستخدام الحر للتعابير الاصطلاحية والأمثال لإضفاء صبغة الحوار على لغته. ورغم أن ذلك قد أدى إلى اختراع أسلوب أدبى جديد كان له الأثر الكبيرعلى الكتابات النثرية فيما بعد، لكنه أثار فى نفس الوقت شبهة عدم اهتمامه بإيقاعات وخصائص الحوار الفارسي. ويعد الروائى "محمد مسعود" أحد أبرز كتاب العقد الثالث وكانت أعماله عبارة عن نقد للأوضاع الاجتماعية التى أصبحت فيها الرذائل فضائل ، فقد وضع أصابعه بمهارة على أسوأ أمراض المجتمع ولذلك اعتبر النقاد أعماله دعوة أدبية شجاعة وضعت حدا للأسلوب القديم والموضوعات البعيدة عن العصر، وكان نثره فى الغالب ناجحاً ومتحركاً. وقطع خطوة مهمة على طريق صناعة قالب قصصى متميز فى الأدب الإيرانى الجديد . كما برز "بزرك علوي" على السطح الأدبى كقاص ناجح وإن حاول فى بعض كتاباته الدعاية للجناح اليساري. غير أن رواية (جشمهايش) "عيونها" كانت تحظى بأهمية أدبية وتعد أول عمل كبير له ككاتب روائى وقد اعتبر "بزرك علوي" من كتاب الجيل الجديد الذين أظهروا مقدرة فائقة فى هضم التكنيكات الأوربية ، وفى الوقت خلقوا أعمالا فنية لا تزال إيرانية إلى أبعد الحدود. ويعد "صادق هدايت" ورغم اتجاهه الفكرى الغامض المضطرب من أبرز الناثرين والقصصيين الإيرانيين خلال القرن العشرين، وربما أطلق عليه البعض "النابغة الأدبية الإيرانية المعاصرة" . وقد خطى خطوات واسعة على الطريق الذى بدأه جمال زاده. وترك أسلوبه الأدبى الرصين أثراً كبيرا على الساحة الأدبية الفارسية. وكان متأثراً بالأدب الفرنسى إلى حد بعيد. كما أن الكاتب "جلال آل احمد" قد نزع كثيراً نحوالأدب العالمى وتأثر به، وانعكس ذلك التأثر على مجمل كتاباته النثرية، المقالات منها والقصص. وقد لجأ إلى قالب القصص العامية وركز على لغة الحوار فى نقد المجتمع ورسم حركته. والنموذج البارز على هذا الصعيد هو "نون والقلم"، و"سيرة حياة الخلايا" التى شبّه فيها المجتمع الايرانى بالنحل ... وربما كان متأثراً فى ذلك بـ "كارل جابك" فى كتابه (لعبة الحشرة).

وأخيرا فقد برهنت الحركة الأدبية الإيرانية الحديثة على أن النبوغ الأدبى الإيرانى لم يقتصر على الأزمان المندثرة، فلا زال هذا النبوغ فياضاً حتى اليوم يتجدد بتجدد الزمن ويبدع كلما دعت الحاجة إلى الإبداع .

المراجع:

(١) ادوارد براون : تاريخ مطبوعات إيران در دوره مشروطيت ، ترجمه محمد عباس ، جلد دوم ، تهران ١٣٣٧ش.

(٢) حسن كمشاد : النثر الفنى فى الأدب الفارسى المعاصر - ترجمة: إبراهيم الدسوقى شتا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٢م.

(٣) ذبيح الله صفا : مختصر درتاريخ تحول نظم ونثر فارسى - چاپ دوم - تهران ١٣٣٣ش .

(٤) سعيد نفيسي: شاهكارهاى نثر فارسى معاصر - ناشر كانون معرفت - تهران - بى تاريخ .

(٥) محمد تقى بهار: سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى - جلد سوم - چاپ دوم - تهران ١٣٣٧ش .

(٦) محمد استعلامي: بررسى ادبيات امروز- دفتر نخست - كتابفروشى زوار - شاه آباد - تهران - ١٣٥١ش .

(٧) يحيى آرين پور: از صبا تا نيما - جلد ١ ، ٢ - تهران ١٣٥٤ش.

الزاوية الاجتماعية

من عادات الشعب الإيرانى وتقاليده

■ د/ يحيى داود عباس
أستاذ اللغة الفارسية بجامعة الأزهر

لكل شعب عادات وتقاليد خاصة به يمتاز بها عن الشعوب الأخرى، وتتطور عادات الشعوب وتقاليدها بتطور الشعوب نفسها. والسلوك الفردى عندما تقبله الجماعة، ويتكرر فى المواقف المختلفة، ثم يتوارث عبر عدة أجيال ويتوسع وينمو، ويتحول إلى عادة شعبية. والعادة فعل جماعى موروث متكرر بالشكل نفسه فى المناسبة نفسها، وهى ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية. والعادات الاجتماعية أو الشعبية ظاهرة تاريخية ومعاصرة فى نفس الوقت، وهذه العادات تتعرض لعملية تغير دائم تتجدد بتجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها، وتؤدى وظيفة، وتشبع حاجات ملحة فى كل طور من أطوار حياة المجتمع، وهى فى أدائها لهذه الوظيفة ترتبط بظروف المجتمع وواقعه. ومما لا شك فيه أن العادات والتقاليد الشعبية تقدم لنا صورة متكاملة عن حياة أى مجتمع، وأن الاتصال أو التقارب الثقافى والغزو الثقافى لهما أثر على عناصر أو مكونات البناء الاجتماعى الثقافى، وأن العادات والتقاليد تشكل بعداً رئيسياً وملمحاً واضحاً، يترك الغزو الثقافى بصماته فى جوانبه.

وتتميز إيران بالتنوع السكانى، ففيها طوائف وقوميات وأجناس متعددة، كما تتميز بالتنوع المناخى واللغوى والدينى، وكل هذا التنوع أدى إلى تنوع نمط الحياة والمعيشة فى إيران، وإلى تنوع وتباين الثقافات والعادات والتقاليد. وكانت الأساليب الشرقية قد سادت فى الحياة والفكر فى إيران فى العصر الأكمينى (الهخامنشى) (٥٥٠- ٣٣٠ ق.م)، وحلت هذه الأساليب محل العادات القبلية القديمة. وقد لاحظ المؤرخ اليونانى "هيرودوت" هذا الميل من الفرس نحو اقتباس الأساليب الأجنبية والتأثر بها، حينما كتب يقول: "لا يوجد شعب يقبل العادات الأجنبية باستعداد تام مثل الفرس، وهم إذا سمعوا بأى نوع من أنواع الترف، فإنهم يجعلونه- فى الحال- خاصاً بهم".

ويشبه البعض إيران بمعسكر كبير أو خيمة كبيرة حطت رحالها فيها قوافل عديدة مثل: الكلدانيون والاشوريون واليونانيون والرومان واليهود والأتراك والعرب والمغول ومما لا شك فيه أن الاحتكاك والاتصال والامتزاج الذى حدث بين السكان الأصليين وبين العناصر الوافدة، كان له تأثيره فى العادات والتقاليد والأفكار والأخلاق.

ويرى صادق هدايت- الأديب الإيرانى المعروف- ١٩٠٣- ١٩٥١م- أن العناصر التى وفدت على إيران فى مراحل تاريخية مختلفة جاءت بمعتقداتها بل وخرافاتها، وأن الخرافات والسحر وتقديم القرابين وسعد الأيام والساعات ونحسها وتأثير النجوم فى مصير الإنسان وأفكار القضاء والقدر والعزاء والحزن وقراءة الطالع والاستعانة بالجن، كلها ثقافات ومعتقدات وردت إلى إيران مع العناصر التى وفدت إليها من خارجها.

وبعد انتشار الإسلام فى إيران حدثت تغيرات جذرية فى جميع الشئون المدنية والاجتماعية الإيرانية، فقد تغير الكثير من معتقدات وآداب وعادات وتقاليد الشعب الإيرانى، كما حدث تغير ملحوظ فى الأوضاع الأسرية، واختلفت وضع الطبقات الاجتماعية فى إيران، وطال التغيير كيفية الزواج، فبعد أن كان الزواج بالمحارم مباحاً وعادياً فى الدين الزرادشتى أصبح هذا الأمر حراماً وغير مشروع فى الدين الجديد، وتغيرت العادات الدينية والأخلاقية والقوانين المدنية والحقوقية والجزائية تغييراً كلياً وجذرياً حتى قوانين الميراث تغيرت، فبعد أن كان ميراث المتوفى يوضع تحت تصرف الابن الأكبر فى الأسرة، أصبح عدد كبير من الأفراد يستفيدون من هذا الميراث، وأصبح نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى (للذكر مثل حظ الأنثيين).

وقد تأثرت إيران بأوروبا وبالحضارة الغربية منذ

عصر فتحعليشاه القاجارى (١٢١٢ /١٢٦٠ هـ)، وأخذ الحكام الإيرانيون يوفدون البعثات إلى أوروبا للاستفادة من علوم الغرب، واقتباس ما حققه أهل الغرب من تقدم فى مختلف ميادين الحياة. وقد أدى اتصال إيران بأوروبا- وبخاصة بعد الثورة الفرنسية- إلى انتقال كثير من الأفكار الأوروبية إلى المجتمع الإيرانى، كما ساعد هذا الاتصال على انتقال الأزياء الأوروبية وكثير من العادات والتقاليد الأوروبية إلى البيئة الإيرانية، كما أدى إنشاء المدارس الأجنبية إلى انتقال ثقافة الغرب وعاداته وتقاليده إلى المجتمع الإيرانى عن طريق هذه المدارس، إلى جانب البعثات التى كانت ترسل باستمرار إلى بلاد الغرب.

ومن السمات العامة للإيرانيين أنهم قوم عاطفيون بفطرتهم، ولديهم قدرة فائقة على هضم الثقافات الأجنبية، وإضافة ما يصلح منها إلى ثقافتهم القومية، مع الاحتفاظ بطابعهم ولهم عبارات لطيفة وأدب خاص بالمجاملة والترحيب بالزائر يصل -أحياناً-إلى حد المبالغة. والإيرانيون ميالون إلى السفر والهجرة إلى خارج بلادهم، فقلما نجد بلداً فى أدنى الأرض أو فى أقصاها إلا وبه جماعات أو أفراد من إيران. وفيهم ظاهرة الدعابة والمزاح، وهم يلطفون كلامهم بالنوادر والأمثال، ويمزجون أحاديثهم بالقصص القصيرة أسوة بكتابهم وشعرائهم.

ومن أخص صفات الإيرانيين ميلهم الذاتى إلى الشعر، فلا ترى إيرانياً- ولو لم يعرف القراءة والكتابة- إلا تجد له ولعاً بالشعر، ويحفظ الكثير من شعر الغزل والحكمة. ومن سجاياهم إكرام الضعيف، وقد تحدث الرحالة "ابن بطوطة" عن كرم ضيافة الإيرانيين عندما زار أصفهان. ولهم أيام شؤم وأيام سعد، ومن عاداتهم القديمة أنهم يعتبرون اليوم الثالث عشر من السنة الإيرانية الجديدة يوم نحس، كما يعتبرون يوم الأربعاء يوم شؤم ونحس. وهم يعتقدون فى الأحلام وتفسيرها وفى الاستخارات، كما يعتقدون فى الحسد والعين الشريرة، ويضعون الآيتين: "وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين" (الآيتان ٥١، ٥٢ من سورة القلم) على أبواب منازلهم كتميمة لمنع الحسد أو تعويذة من إصابة العين، ويكتبون عبارة: برجشم بد لعنت (اللعنة على العين الشريرة) على سياراتهم وفى أماكن أخرى.

والمائدة الإيرانية متنوعة، وهذا ناتج عن تنوع الثقافة والطبيعة، وتتميز كل منطقة بوجبات خاصة بها. ومن عاداتهم وتقاليدهم المتعلقة بالمأكل والمشرب: الاعتماد فى غذائهم اليومى على الخبز الذى يتم إعداده فى إيران بأساليب عديدة، وهو معروف برقته وحلاوة مذاقه، وقد أدت شهرته وجودته إلى انتشاره فى دول أخرى. وأنواع الخبز الإيرانى هى : اللواش- التافقون- السنكك- البربى.

ويكثر الإيرانيون من أكل الأرز، والأرز الإيرانى من النوع الجيد الذى تمتاز حبته بأنها طويلة ورفيعة نوعاً ما ولها عطر مميز، والأرز عنصر رئيسى فى الغذاء فى إيران، وهم يعدونه بطرق شتى. ومن بين أطعمتهم المفضلة نوع يسمونه "جلوكباب" وهو مكون من لحم الشواء المخلوط بالأرز والمضاف إليه الزبد. و "جلو كباب" هو الأكلة الشعبية فى إيران، ويعرف البعض الأكلة الشعبية بأنها طعام معين يتميز بالانتشار فى منطقة كبيرة، ويتجاوز الإعجاب عد حدود طبقة اجتماعية معينة أو منطقة محدودة.

ويطيب للإيرانيين تناول اللبن الرائب البارد مع طعامهم، بدلاً من الماء. ومن المأكولات الإيرانية المشهورة: قرمه سبزى، وهى تشمل على لحم وخضراوات ولوبيا حمراء. ويعتبر الجمبرى الإيرانى من أفضل الأطعمة البحرية، ويتم صنع أغذية شهية منه، وهو كبير الحجم والشاى هو المشروب القومى فى إيران، وهم يكثرون من تناوله فى الصباح والمساء وفى الزيارات وكلما اجتمعوا فى مناسبة من المناسبات، وهو أول شئ يقدم للضيف. ومن عاداتهم أن يضع محتسى الشاى قطعة السكر فى فمه ويرتشف الشاى من خلالها أو من فوقها. وتتميز الحلوى الإيرانية المتعددة بطبق إيرانى شهير هو "شك زرد" وهو شبيه بالأرز باللبن المصرى، مضافاً إليه الزعفران الإيرانى مع المكسرات الإيرانية الشهيرة، مثل الفستق.

وهم يشاركون سائر المسلمين فى الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوى الشريف، بيد أنهم يبالغون فى الاحتفال بعيد "النوروز" الذى يوافق أول يوم من فصل الربيع، وهو اليوم الحادى والعشرون من شهر مارس، أول أيام السنة الشمسية التى يجرى عليها التاريخ الإيرانى القائم على دورة الأرض حول الشمس، ويوافق بداية شهر "فروردين" أول شهور السنة الشمسية. وعيد "النوروز" أكبر وأهم وأقدم الأعياد القومية الإيرانية، ومن أسمائه: عيد الربيع وعيد العام الجديد. ومن تقاليد الإيرانيين فى هذا العيد: اجتماع أفراد الأسرة حول مائدة عليها عدد من المأكولات والمشروبات



انتظاراً للحظة التحويل (تحول الزمان من سنة قديمة إلى سنة جديدة)، وما أن يعلن المذياع تحول العام حتى يقبل أفراد الأسرة بعضهم بعضاً، ويتبادلوا التهنئة بالعيد والهدايا، ويقرءوا عدداً من الآيات القرآنية. ومن أدعيتهم وقت التحويل: يا مقلب القلوب والأبصار، يا مدبر الليل والنهار، يا محول الحول والأحوال حول حالنا إلى أحسن الحال. وبعد التحويل يقومون بتناول ما كانوا قد أعدوه سلفاً من المأكولات والمشروبات. ويحصل الصغار على العيدية من الكبار.

وتتكون المائدة وقت تحويل العام الجديد من سبعة أنواع من الطعام تبدأ بحرف السين، ولهذا تسمى: هفت سين أى "السينات السبعة"، وهى: سبزى (خضراوات) - سركه (خل) - سماق (فاكهة مرة المذاق) - سمنو (نوع من الحلوى) - سنجد (فاكهة صفراء حلوة المذاق) - سيب (تفاح) - سير (ثوم). وهم يتخذونها رمزاً للتفاؤل بالسلامة والسعادة والشباب والخضرة والنماء.

ومن العادات المألوفة عند الإيرانيين: الاحتفال بيوم الأربعاء الأخير من العام المنصرم، وهى ما يسمى بعيد "جهارشنبه سورى" أى الأربعاء الأحمر بسبب إيقاد النيران فى تلك الليلة، وهو أحد الأعياد الاجتماعية القومية القديمة المرتبطة بدورة العام والمنبثقة عن العادات والمعتقدات الموروثة.

والاحتفالات فى هذه الليلة يعد استعداداً لعيد النوروز، وبشيراً بقرب حلوله. ومن طقوسهم فى هذا العيد: إيقاد النيران، وتحلق أفراد الأسرة حولها، والقفز فوقها فى سعادة وسرور، ومخاطبة النيران بعبارات تدور حول طلب منح الصحة والعافية، وإبعاد الألم والمرض عنهم. وهم يرون أن عادة إيقاد النيران رمز لحرق نحس العام كله والقضاء عليه، وأن النار تحرق قبح العام المنصرم.

ويردد سكان العاصمة طهران لحظة القفز فوق النيران أغان وأهازيج يخاطبون فيها النيران، مثل: خذى منى اصفرارى ومرضى، وأمنحينى إحمرارك ونضارتك. وتختلف الأغانى والأهازيج التى تنشد فى هذا العيد من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى.

ومن الطقوس أيضاً: كسر الأوانى الفخارية أو الخزفية، أو القذف بها خارج المنزل وشراء أخرى جديدة، وتناول النقل، وبخاصة النقل الذى يسمى: النقل حلال المشاكل، وأخذ الفأل بطرق مختلفة ومنها: فتح القرآن، استخدام المسبحة أو فنجان القهوة، والتسمع لأخذ الفأل، وفأل الإناء، وأخذ الفأل من ديوان الشاعر المشهور حافظ الشيرازى (٧٢٦ / ٧٩٢ هـ)، وذلك عن طريق فتح الديوان كيفما اتفق، وتتم قراءة السطر الأول من الصفحة، ثم يؤول تبعاً لحالة آخذ الفأل، وقد قام بعض المؤلفين بوضع كتب حول تفسير غزليات الشاعر حافظ الشيرازى، وطريقة أخذ الفأل منها. وطريقة حل العقدة أو جلب الحظ وفتحه، وخاصة بالنسبة للفتيات اللائى ينتظرن زوجاً مناسباً والنساء العاقرات أو اللائى تأخر حملهم، وطريقة الطرق بالملعقة، وحرق البخور لرفع الحسد وحل المشكلات.

والاحتفال فى هذه الليلة يختلف باختلاف المدن والقرى، وباختلاف الأجيال وتعاقب القرون. لكن موقف زعماء الثورة الإسلامية يختلف عن سائر الحكام السابقين، فهم يسعون إلى إلغاء بعض مظاهر الاحتفالات والعادات أو تقييدها، حتى لا تتعارض طقوسها مع الثورة الثقافية التى يريد النظام الجديد إحداثها فى المجتمع الإيرانى. كما يطالب البعض بتنقية احتفالات عيد "جهارشنبه سورى" من العادات الخطيرة وغير الصحيحة مثل: فرقعة البمب والقنابل، واستخدام الألعاب النارية والمفرقعات والمواد الحارقة خشية تعرض الأهالى وبخاصة الأطفال للإصابة بالحروق أو التعرض للموت.

وإذا كان عيد النوروز يبدأ بعيد "جهارشنبه سورى"، فإنه ينتهى بعيد "سيزده بدر" الذى يقام فى اليوم الثالث عشر من شهر فروردين (أول شهور السنة الإيرانية)، ومعنى سيزده بدر هو: التواجد يوم الثالث عشر خارج المنزل أو بعيداً عن باب المنزل. فالناس يغادرون منازلهم فى هذا اليوم إلى البساتين والحدائق والمروج، ذلك لأنهم يتطيرون من رقم (١٣)، وهم يقضون نهارهم فى اللهو والمرح والرقص وسماع الموسيقى والأغانى، ويمارسون بعض الألعاب الرياضية، وتردد الفتيات هذه الأغنية:

-فى اليوم الثالث عشر من السنة التالية فى منزل الزوج، وطفل تحت الإبط.

أما عن شهر رمضان المبارك، فقد جرت العادة فى إيران على أن يصوم البعض أياماً من شهرى رجب وشعبان استعداداً لصيام شهر رمضان. وشهر شعبان يعد شهراً للسعادة والسرور لدى أفراد الشعب الإيرانى، لأن به مناسبات وأعياد ميلاد العديد من أئمة الشيعة. وفى هذه المناسبات وهذه الأعياد تزين المبانى السكنية والتجارية فى المدن والقرى بالأنوار وأنواع الزينة الأخرى، وينتهز البعض الفرصة، ويقدم على الخطوبة والزواج فى هذه المناسبات السعيدة.

وفى الأسبوع الأخير من شهر شعبان يتم إعداد

المساجد لاستقبال الشهر الكريم واستقبال المصلين، كما يتم تنظيف وتجديد وتزيين المساجد. ومن التقاليد الشائعة فى إيران أن يعلن كل مسجد مع بدء حلول شهر رمضان عن برامجه الدينية والثقافية، وعن استضافته لعلماء الدين والمحاضرين، وعن إقامة جلسات تحفيظ وتجويد وختم القرآن الكريم، وعن تنظيم المسابقات القرآنية، وللسيدات أيام وأوقات خاصة بهم، كما تقام المعارض التى تباع فيها الكتب الدينية (العربية والفارسية) والمصاحف وتعقد الأمسيات الدينية والأدبية التى يحاضر فيها كبار علماء الدين وغيرهم من الشخصيات الثقافية. ويسهر البعض حتى انبلاج الفجر ولاسيما فى ليالى القدر، ويتناول سكان المدينة سحورهم فى المطاعم أو الولائم الجماعية.

ويتكفل بعض الأغنياء بتوفير وتوزيع السلع الاستهلاكية اللازمة للفقراء فى شهر رمضان، ويتكفل البعض منهم بسداد تكاليف الخبز إلى المخابز، لتوزيعها بالمجان على الصائمين.

ومن المتداول فى العديد من المساجد إعداد مائدة طعام يتناول المشاركون فى صلاة المغرب أو عابرو السبيل طعام الإفطار، ويطلق على هذه الموائد اسم: موائد الإمام على بن أبى طالب، وهى تشبه موائد الرحمن فى مصر. وتتبادل بعض العائلات الضيافة وتناول طعام الإفطار، وكذلك يفعل بعض الأصدقاء. ويشاهد المسحراتى فى القرى والنجوع الإيرانية، ويقوم اتحاد الإذاعة والتليفزيون بدور المسحراتى فى المدن الكبرى، وتبث ابتهالات وأدعية دينية أثناء تناول طعام الإفطار.

ويتناول الإيرانيون - عادة - إفطارهم على وجبتين، تتكون الوجبة الأولى وهى خفيفة من: تمر - جبن - خبز - خضراوات - حساء - شاى - حلوى. أما الوجبة الثانية، وهى الأهم، فيتم تناولها بعد الانتهاء من صلاة المغرب بقليل، وتشتمل على المأكولات الدسمة. وفى أيام الأربعاء يفضل الكثير من الإيرانيين إضافة السمك إلى مائدة الإفطار، لما ورد فى بعض الروايات عن استحباب تناوله يوم الأربعاء. ولتعويد الأطفال على الصيام عند البلوغ يصوم الأطفال فترات متقطعة من النهار، وهو ما يسمى بصيام: رأس العصفورة، فالطفل يتناول السحور مع والديه، ويتناول بعض الأطعمة الخفيفة ظهراً، ثم يتناول طعام الإفطار فى المغرب مع أفراد العائلة.

وإذا كان شهر شعبان شهر فرح وسرور لدى الشيعة، فإن أيام النصف الثانى من شهر رمضان أيام حزن وحداد لمصادفتها ذكرى استشهاد الإمام على بن أبى طالب، حيث تسود فى إيران حالة من الحزن والأسى من يوم ١٩ رمضان وهو اليوم الذى قتل فيه، وحتى يوم ٢٧ رمضان، ويرتدى الناس ملابس الحداد السوداء فى هذه الأيام، ويرفعون أعلام الحداد على المبانى العامة والخاصة.

وفى الأعياد يتبادل الإيرانيون الزيارات، ويقدم الكبار العيديات إلى الصغار، ويتبرك البعض بأخذ عيديتهم من العلماء والكبار، ويحتفظون بها للذكرى. ويقوم البعض بزيارة الموتى فى مقابرهم.

ونظراً لشدة البرد فى الشتاء، تهتم الأسرة الإيرانية بالحصول على الوقود للتدفئة، ولذلك يستعملون الفحم النباتى الذى يصنعونه محلياً من أخشاب الغابات، وهم يستعملون مدفأة خاصة باسم: كرسى، وهى تتكون من موقد به فحم نباتى يشتعل ببطء، ويوضع تحت منضدة دارية أو مستطيلة تتناثر حولها الحشايا، وتفرش عليها الأغطية، ويجلسون فى النهار حولها مادين أرجلهم تحت الأغطية، ويحتسون المشروبات الساخنة وبخاصة الشاى، لتقلل من شعورهم بالبرودة، كما ينامون حولها ليلاً، لكنهم لا ينسون إخراج الموقد من الحجرة خشية الاختناق بغاز الفحم. ويرفع هذا الكرسى فى نهاية الشتاء.

ويقام فى إيران حفل يسمى: "جشن تكليف"، وهو حفل يقام للفتيات اللائى بلغت أعمارهم تسع سنوات، حيث ترتدى الفتاة الحجاب والزى الإسلاميين، ويقام لها حفل تقدم فيها الجوائز والنصائح الإسلامية اللازمة لها، وتتم قراءة آيات من القرآن الكريم، وأناشيد دينية.

ويهتم الإيرانيون بتأدية فريضة الحج، ويحج الإيرانيون إلى قبر على بن ابى طالب فى النجف، وإلى قبر الحسين بن على فى كربلاء، وإلى قبر الإمام الثامن على الرضا فى مشهد، وإلى ضريح السيدة فاطمة أخت الإمام على الرضا فى قم (جنوبى طهران). وتنتشر فى إيران الأضرحة والمزارات التى تنسب لبعض الأئمة وغيرهم من زعماء الشيعة، وكان الإيرانيون قد أولوا المساجد ومراقد الأولياء والصالحين من آل البيت عناية كبيرة، وأقاموا أبنية لائقة على مراقد علماء الدين وأئمتهم، وذلك بعد الفتاح الإسلامى لإيران، وخلال العصور الإسلامية المختلفة، وذلك لقدسية المساجد، والاحترام الذى يحظى به الأولياء الصالحون وخاصة أئمة آل البيت وأبنائهم. وبعد الحج إلى مشهد يلقب الحاج بلقب: المشهدى، وتنتشر بينهم ألقاب: الكربلائى والنجفى والقمى. ولقد سار الفرس على سنة العرب فى استعمال الشهور العربية أعلاماً،

ففيهم من يتسمى بـ :صفر ورجب وشعبان ورمضان، وقد تركب هذه الأعلام مع اسم علىّ، فتصبح كأنها كلمة واحدة، ترسم على النحو التالى: رجبعلى، رمضانعلى، وصفرعلى.

وإذا كان التفاؤل والتشاؤم موجودين لدى جميع الأمم والشعوب، فإن للإيرانيين نصيباً منهما، فلديهم ما يسمى بالتفاؤل الخاص بأعضاء البدن، والجبهة العريضة الواسعة علامة على الحظ والسعادة لديهم، والجبهة غير العريضة علامة على ضيق ذات اليد. ولديهم التفاؤل والتشاؤم الخاص بالأوقات والأرقام، فهم يؤمنون بأن شهر "صفر" نحس وخاصة اليوم الثالث عشر منه، وأن السفر فى هذا الشهر يعرض المسافر للخطر. وأن الرقم (١٣) نحس، وأنه يجب عدم تناول الماء وقوفاً فى الليل.

وأن تقليم الأظافر وغسيل الثياب وكنس المنزل يوم الأربعاء فال سيئ. وهم يتفاءلون بكنس المنزل فى أول أيام الشهر. ويتشاءمون من الضيف الذى يزورهم مساء يوم الأربعاء، ويتحاشون زيارة المريض فى مساء يوم الأربعاء أيضاً، كما يتشاءمون من دماء الكلاب والقطط. ويعتقدون أن من يقطع الخبز بالسكين يكون مذنباً، وأن وجود الكلب فى المنزل يمنع دخول الملائكة فيه، وأن رش أو نثر المياه على شخص دليل على فتور العلاقة، وأن النوم وتناول الطعام والسفر يجب أن يكون فى جماعة. ويتفاءلون من سكب الماء عفواً على المائدة.

وهم يعتقدون أن الشخص الذى يبنى مقبرة خاصة به يطول عمره، والشخص الذى يبنى مسجداً ويتمه يموت بعدها، ولهذا السبب فإن الشخص الذى يبنى المسجد يترك جزءاً منه ناقصاً. ولديهم آداب خاصة بالزواج وعقد القران وليلة الدخلة والحمل. ولهم طقوس خاصة بولادة المولود، وهم يعتقدون أن المولود الذى يولد فى عيد الأضحى لابد أن يؤدى فريضة الحج حينما يكبر، وأن الطفل الذى يبكى كثيراً سيكون صاحب صوت حسن. وهم يؤمنون بان المولود يأتى برزقه معه، وعم ينخرون المولود لدفع المرض وعين الحسود عنه، ولديهم النذر والعقيقة.

ولديهم معتقدات خاصة بالسفر، وآداب خاصة بالشفاء من الأمراض، وآداب خاصة بتلبية الحاجات، مثل: تناول نقل حل المشكلات، وتناول أطعمة معينة فى أوقات معينة، وأداء صلاة مخصوصة فى أوقات معينة، وقراءة أدعية وأوراد خاصة لحل المشكلات وشفاء المرضى. ويعتقدون أن طول القامة دليل على الحماقة، وأن قصر القامة دليل على الذكاء والفطنة والمهارة. وهم يوقرون الماء والملح، ويقولون إنهما كانا مهر فاطمة الزهراء (ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوجة على بن أبى طالب)، لهذا يجب عدم تلويثهما، وعدم منعهما عمن يطلبهما، كما يجب عدم التبول فى المياه لنفس السبب.

كما يوقر الإيرانيون الضياء والخبز. ويؤمنون بمقولة أن من القلب إلى القلب رسول (طريق). ويعتقدون أن زواج ابن العم من ابنة العم زواج مبارك، وأن زواجهما يعقد فى عرش الرحمن.

وللإيرانيين أقسام كثيرة، فهم يقسمون بالله، وبالقرآن الكريم، وبالنبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبالأئمة وبخاصة: الإمام علىّ والإمام الحسين والإمام المهدى (المنتظر)، وبأبناء الأئمة وبخاصة أحمد بن موسى الكاظم (شقيق الإمام الرضا) المعروف بـ (شاه جرانج) الذى راجت عنه روايات كثيرة عن أن له معجزات خاصة بالشفاء، وبآل العباءة أو الكساء (النبى صلى علله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء)، وبالعباس (بن على بن ابى طالب الذى استشهد فى كربلاء). كما يقسمون بروح الأباء والأمهات والأجداد، وبموت الأولاد، وبالخبز والملح، وبالقبلة، ويقسم الإيرانى أحياناً ويقول: قسماً بروحى - قسما بروحك - قسماً بموتى - قسماً بلحيتك وشاربك والأقسام الخيرة تجرى على لسان العامة فى الغالب.

المراجع:

١ - إيران ماضيها وحاضرها: دونالدولبر، ترجمة عبد النعيم حسنين، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢ - إيران (سلسلة شعوب العالم - ٨)، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣ - الشرق الأدنى (مجتمعه وثقافته): كويلرينج، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤ - صفحات من إيران: صادق نشأت، مصطفى حجازى، ١٩٦٠م، القاهرة.

٥ - جهار شنبه سورى (ليلة الأربعاء الأخير من السنة الإيرانية الشمسية): يحيى داود عباس، ١٩٩٤م.

٦ - ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية، قطر، ١٩٨٥م.

٧ - سرزمين ومردم إيران: عبد الحسين سعيديان، تهران، ١٣٧٨هـ . ش.

٨ - نيرنكستان: صادق هدايت، جاب سوم، تهران، ١٣٤٢ هـ . ش.

٩ - لوتس - عدد أغسطس ٢٠٠٥م، (مجلة تصدرها منظمة الكتاب الأفريقيين والآسيويين).





الدكتور على شريعتى

أحد منظرى الثورة الإسلامية فى إيران

يعتبر الدكتور على شريعتى من كبار مفكرى إيران فى العصر الحاضر، فهو صاحب مدرسة فكرية فى علم الاجتماع السياسى المعاصر، وله تلامذة مازالوا يفخرون بالانتساب إليه، كما أنه أحد المفكرين المناضلين ضد نظام الشاه فى إيران. ولد على شريعتى فى قرية كاهك إحدى توابع سبزوار القريبة من مزينان بمحافظة خراسان، عام ١٩٣٣ م، وهو من أسرة متدينة فوالده السيد محمد تقى شريعتى أحد علماء مدينة مشهد، وكان له تأثيره الشديد فى نشأة ابنه وتعليمه. وقد انتقل إلى مشهد مع أسرته وهو فى السابعة من عمره حيث التحق هناك بمدرسة ابن يمين الابتدائية، ثم تابع تعليمه فى مدينة مشهد، فالتحق عام ١٩٤٦ م بمدرسة الفردوسى الإعدادية. وقد ظهرت عليه منذ الطفولة علامات الذكاء رغم هدوءه وانزوائه عن أقرانه، وكان يقضى معظم أوقاته داخل مكتبة أبيه، وبدأ وهو فى الثالثة عشرة من عمره فى مطالعة الكتب الفلسفية والصوفية ، فقرأ لكل من مترلينج وآناتول فرانس والحلاج والجنيد.

وقد بدأ شريعتى نشاطه السياسى فى سن مبكرة، حيث التحق بجمعية نشر الحقائق الإسلامية بمشهد عام ١٩٤٨ م، وكان فى الخامسة عشرة من عمره، كما انضم إلى السيد محمد نخشب أثناء الأحداث المواكبة لثورة محمد مصدق الوطنية، ثم صار عضواً فى جمعية عباد الله الاشتراكية. وفى العام نفسه أسس الجمعية الإسلامية للتلاميذ، وأدت مشاركته فى المظاهرات المناهضة لحكومة قوام السلطنة المؤقتة إلى القبض عليه ومكوثه نصف يوم داخل المعتقل، وفى عام ١٩٥٣ م انضم إلى جمعية المقاومة الوطنية.

وبعد أن أنهى فترة دراسته فى المعهد العلمى عام ١٩٥٢ م التحق بالعمل فى المجلس الثقافى بمشهد،

كما عمل بمهنة التدريس فى مدرسة كاتب پور أحمد آباد. بعد حصوله على الدبلوم، قرر الاشتراك فى الامتحان العام للالتحاق بالجامعة. وكان شريعتى يميل إلى دراسة علم الفيزياء، إلا أن والده عارض ذلك وحثه على دراسة الأدب، فالتحق بكلية الآداب بمشهد لدراسة اللغة والأدب الفارسي، وكان ذلك عام ١٩٥٥ م وهو نفس العام الذى تأسست فيه الجمعية الأدبية الطلابية فى مشهد، واختاره الدكتور على أكبر فياض عميد الكلية ليكون المسئول الأول فى هذه الجمعية.

وفى عام ١٩٥٧ م تم القبض عليه مع ستة عشرة عضواً من أعضاء حركة المقاومة الوطنية، وتم نقله معهم إلى سجن قزل قلعه فى طهران بطائرة عسكرية لتأييدهم لمصدق ونشر أفكاره.

وأنهى على شريعتى دراسته الجامعية عام ١٩٥٨ م وحصل على المركز الأول من قسم اللغة الفارسية وآدابها، وفى العام نفسه تزوج من ابنة الدكتور شريعت رضوى وتدعى بى بى فاطمه، وأنجب منها أربعة أبناء، هم: إحسان (فى ١٩٥٩ م)، سوسن (فى ١٩٦٢ م)، سارا (فى ١٩٦٣ م) ومونا (فى ١٩٧١ م). ونظراً لحصوله على المركز الأول منحته الجامعة بعثة علمية لاستكمال دراسته بالخارج فتوجه إلى فرنسا عام ١٩٥٩م والتحق بمدرسة الآليانس لتعلم اللغة الفرنسية، إلا أنه لم يكف عن ممارسة النشاط السياسى هناك، فانضم إلى منظمة تحرير الجزائر، وتم القبض عليه عام ١٩٦٠ م. وبعد إطلاق سراحه بدأ تعاونه عام ١٩٦١م مع اتحاد الطلاب الإيرانيين المقيمين فى فرنسا، وكذلك مع ممثلى الجبهة الوطنية وحركة التحرير، كما انضم إلى هيئة تحرير مجلة ايران آزاد، وتولى رئاسة تحريرها، كما تعاون مع مجلة فكر الجبهة الصادرة فى أمريكا، وكذلك مع نشرية نامه پارس، وأبدى تعاوناً ملموساً فى تدوين البيانات والتوصيات الخاصة بالاتحادات الطلابية المناضلة وكتابة المقالات الحماسية فى المجلات الحرة بتوقيع " شمع ". واستفاد من كتب الكاتب الثورى فرانتس فانون، كما شارك فى مظاهرات الزنوج التى قامت أمام السفارة البلجيكية فى باريس اعتراضاً على شهادة باتريس لومومبا عام ١٩٦١ م وتم القبض عليه وإيداعه سجن " سيته " بباريس.

فى عام ١٩٦٣ م أنهى دراسته فى جامعة السوربون وحصل على الدكتوراه فى العلوم الاجتماعية. وأثناء عودته مع أسرته براً إلى إيران ألقى جهاز السافاك القبض عليه على الحدود، وتم إيداعه سجن "خوى"، وبعد يومين انتقل إلى سجن " رضائيه " (أرومية الحالى)، ومن هناك انتقل إلى سجن " قزل قلعه " بطهران، بتهمة قيامه بنشاط مناهض للنظام خارج البلاد، وبعد إطلاق سراحه توجه إلى مشهد وعمل بالمجلس الثقافى هناك.

فى عام ١٩٦٥ م انتقل إلى طهران وتعاون مع السيد برقعى والسيد باهنر والدكتور بهشتى لفحص الكتب الدينية والإشراف على الكتب الدراسية. وفى العام نفسه أعلنت جامعة مشهد عن حاجتها إلى أعضاء هيئة تدريس فى تخصص علم التاريخ، وتم قبوله بعد اجتيازه الاختبارات التحريرية والشفهية والتدريس العملي، وعمل بشكل رسمى عام ١٩٦٦ م كأستاذ مساعد فى قسم التاريخ بجامعة مشهد، وكان يقوم بتدريس تاريخ إيران والتاريخ الإسلامي، وكان ذا أسلوب مميز فى وضعه لأسئلة الامتحانات، فكان على الطالبِ أن يتمتع بالقدرة على الفهم والإدراك كى يتمكن من استنباط الإجابة، وغالباً ما كان يترك قاعة الامتحان دون مراقب ولم يحدد وقتاً معيناً له. وكثر عدد طلابه وكان يرافقهم فى المعسكرات والأسفار ويصحبهم إلى كافيتريا الكلية لتناول الشاى وليتجاذب معهم أطراف الحديث. وكانت فصوله الدراسية تمتد لساعات أطول مما هو محدد لها.

فى عام ١٩٦٨ م أسس حسينية الإرشاد مع زميله داريوش فروهر، وكان يلقى محاضراته فيها ليالى الجمع أو خلال العطلات الرسمية حتى لا تؤثر بالسلب على الجامعة.

وفى عام ١٩٦٩ م توجه لأداء فريضة الحج، وهناك قام بتوطيد العلاقة بين اتحادى الطلاب الإيرانيين المناضلين المقيمين فى أوروبا وأمريكا والمقيمين فى إيران، وإيجاد رابطة مع الفلسطينيين والحركات التحررية الأخرى. وبناءاً على أوامر شفهية من قبل جهاز السافاك إلى رئيس الجامعة تم منعه رسمياً من إلقاء المحاضرات عام ١٩٧١ م ، ونقله إلى طهران للعمل فى وزارة العلوم والمعارف، كما صدرت إليه الأوامر بعدم دخول الوزارة ومواصلة عمله من داخل منزله. كما أغلق النظام حسينية الإرشاد، وتم منع الدكتور على شريعتى من إلقاء المحاضرات والخطب وحُددت إقامته. كان ذلك عام ١٩٧٢ م ليبدأ منذ ذلك الحين عهداً جديداً وحياةً قاسية، حيث أخذ يتنقل بين منازل أقاربه فى طهران سراً،

وعزمت أسرته على بيع المنزل الخاص بها فى مشهد والعودة إلى طهران، لكن جهاز الساواك هاجم المنزل، واستولى على كتبه ومؤلفاته، وفى نفس اليوم اقتحمت قوات الشرطة منزل والده السيد محمد تقى شريعتى فى مشهد، وكذلك منزل والد زوجته الدكتور شريعت رضوى فى طهران، واعتقلتهما، وبعد شهر تم إطلاق سراح الدكتور شريعت رضوى لكنهم تحفظوا على والده كرهينة لديهم، وهذا ما أثر على نفسية الدكتور على شريعتى فرغب فى تسليم نفسه، إلا أن أصدقاءه حالوا دون ذلك لعلمهم التام بقيام الشرطة بتعذيب والده أمامه لحثه على الاعتراف. لكنه قام بتسليم نفسه إلى الشرطة فى أوائل عام ١٩٧٣ م وتم التحفظ عليه داخل زنزانة فى السجن الانفرادى حتى شهر مارس من عام ١٩٧٥ م، حيث تم إطلاق سراحه بعد وساطة السيد عبد اللطيف الخميسى. وزير خارجية الجزائر آنذاك، وكان زميل الدراسة ورفيق النضال للدكتور على شريعتى. لدى الشاه أثناء زيارته للجزائر بغرض المشاركة فى مؤتمر رؤساء منظمة الأوبك.

بعد ذلك اتخذ قراره بالهجرة خارج البلاد، فتوجه فى عام ١٩٧٧ م من مطار مهر آباد إلى بروكسل، ومن هناك اتجه إلى الولايات المتحدة لزيارة ابنه إحسان، ثم اتجه إلى لندن وبعد فترة قليلة وافته المنية بشكل مفاجىء عن عمر يناهز الأربعة والأربعين عاماً، ونشرت صحيفتا كيهان واطلاعات أن الوفاة حدثت نتيجة إصابته بالسكتة القلبية، وأنه كان يعانى المرض منذ فترة، وقد حاول جهاز الساواك إحضار جثمانه إلى الأراضى الإيرانية دون جدوى، وتمكن أصدقاؤه وابنه إحسان من نقله إلى سوريا وتم دفنه هناك فى المسجد الزينبي.

وبالرغم من قصر عمره إلا أنه ترك ثروةً هائلة من المؤلفات والكتب والتراجم والمحاضرات التى تم جمعها وطبعها فى كتب منفصلة، ومن أهم آثاره : ترجمة كتاب " أبى ذر " لعبد الحميد جودة السحار، كتاب يشمل مجموع محاضراته فى الجمعية الإسلامية تحت عنوان " مكتب واسطه "، كتاب " تعليمات دينى وأخلاقي" ، ترجمة كتاب " فى النقد والأدب " لمحمد مندور، ترجمة كتاب " الضراعة " لألكسيس كارل، ترجمة كتاب " زبانية الأرض " لفرانتس فانون، كتاب " راهنماى خراسان "، ترجمة كتاب " سلمان الطاهر" للويس ماسينيون، كتاب " اسلام شناسى مشهد "، كتاب " محمد از هجرت تا وفات "، كتاب " توتم برستى "، كتاب " كوير"، كتاب " مكتب تعليم وتربيت "، كتاب " خود سازى انقلابى "، كتاب " بدر مادر ما متهميم "، كتاب " ياد وياد آوران "، كتاب " شهادت "، كتاب " انتظار "، كتاب " على: وحدت مكتب عدالت "، كتاب " على از ديدكاه فاطمه " وكتاب " على: إنسان كامل "، وكتاب " با مخاطبهاى آشنا" .

وقد استفاد قادة الثورة الإسلامية من أفكاره، كما ظل أستاذاً وملهماً للحركة الطلابية الإسلامية بعد انتصار الثورة الإسلامية، وما تزال تحتفل بذكراه كل عام.

قراءة في نتائج الانتخابات الإيرانية

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

رغم أن كثيرا من المحللين السياسيين أكدوا أن الانتخابات الإيرانية سواء في مجلس الخبراء أو المجالس المحلية لن تؤثر على مسيرة النظام، ولن تؤدي إلى أي تغيير في إيران، إلا أننا لا نستطيع أن نأخذ المسألة بهذا التعميم، فقد عكس الحضور الجماهيري الكبير إلى صناديق الاقتراع رغبة شعبية واضحة في الاشتراك في الإدارة وتوجيه السياسة في إيران، خاصة على الصعيد الداخلي، باعتبار أن هذه الانتخابات تتعلق بالمجالس المحلية ومجلس خبراء الزعامة وبعض المقاعد الشاغرة فى مجلس الشورى الإسلامى. لقد كانت هذه المشاركة الجماهيرية الكبيرة في الانتخابات مؤشرا على عودة الجماهير إلى الساحة السياسية، لا لتأييد حزب أو مناصرة فريق، وإنما تذكيرا بدور الجماهير في الثورة الإسلامية التي أتت بهذا النظام، ومديونية النظام للجماهير التي أيدته .إن هذه المشاركة الجماهيرية تشير إلى أنه ليس ثمة اعتراض شعبي على التوجه الأصولي للنظام مع المطالبة باعتداله وتوسطه، ولا اعتراض على المؤسسات السياسية التي أنشأها النظام، ولا على حجم الديمقراطية المتاح في ضوء التوجه الإسلامي، وإنما الرغبة في تأكيد هذه الديمقراطية، ومنع تيار سياسي بعينه من التسلط على خط النظام وتوجيهه. وهكذا دل الحضور الجماهيري الضخم في هذه الانتخابات، والنتائج التي تمخضت عنها على نضج الشعب الإيراني، وتقدمه خطوات واسعة في الممارسة الديمقراطية، ووعيه بقادته ومنهجهم، ووعيه بما يدور في المنطقة والعالم حوله، فضلا عن إحساسه بذاته، وقدرته على ضبط الأمور فاستحق تقدير ساسته وشكر زعيمه، وإعجاب شعوب المنطقة والعالم.

كان بوسع الجماهير الكبيرة التي شاركت في هذه الانتخابات أن تغير الخريطة السياسية لمصلحة أحد الأطراف، أو أن ترفض الجميع، لكنها لم تقدم على ذلك، واكتفت بالتعبير عن أن كل الأطراف في قبضة الشعب صاحب المصلحة الحقيقية والتوجه الأصيل، فلم تأت نتائج انتخابات مجلس الخبراء بجديد أو غريب، غير أنها انتصفت لمن تثق فيهم مجردين ممن يدعون أنهم مؤيدوهم أو حاشيتهم أو على خطهم، وهم في نفس الوقت ينالون من مكانتهم السياسية، لقد اختارت العاصمة طهران عن بكرة أبيها الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني ليتصدر قائمة الموثوق فيهم بلا منازع وبفارق كبير عمن تلاه، تقديرا لمكانته التي حاول بعض أعدائه النيل منها، وتأكيدا لدوره في النظام الذي حاول البعض الطعن عليه، وطلبا لاستمراره في العطاء بعد أن شكك البعض في قدرته وطالبوا باعتزاله، اختارته الجماهير ليظل أمين الأمة ومؤتمن الملة في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخها، لقد رفض رفسنجاني أن يتصدر أية قائمة من قوائم الائتلاف سواء للمحافظين أو الإصلاحيين، مؤكدا أنه لا ينضوي تحت جناح أي منها، فهو ملك للشعب وحده، مصمم على البقاء في خدمته، ومساعدة زعيمه، ومؤكدا على نهجه المعتدل الذي تحتاجه البلاد في هذا المنعطف المصيري، كانت رسالة الشعب واضحة لا غموض فيها سواء لرفسنجاني رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام، أو لرفسنجاني أحد أعمدة الثورة والنظام، أو لرفسنجاني الإنسان المعتدل واسع الحيلة صاحب المواقف التوفيقية، كما أن الرسالة كانت لزعيم النظام وتأكيد تمسكه

برفسنجاني، وكانت أيضا لأعداء رفسنجاني الذين حاولوا النيل منه، فضلا عن كونها رسالة للأجيال القادمة بعدم تقادم الثورية والوطنية والخدمة القومية، وعدم الاستغناء عن الخبرة والأصالة أمام تيار الحداثة والتجديد.

لقد اختار الشعب آية الله مصباح يزدي منافس رفسنجاني في صدارة مجلس الخبراء، تعبيرا عن أن المنافسة لا تعني الطرد والإبعاد، وأنه يمكن الاستفادة بخبرات المتنافسين معا، دون أن يتطرق إلى الظن أن نجاحهما بدعم أنصارهما، لأن أنصارهما قد فشلا في الحصول على أغلبية أصوات الجماهير، مما يعني أن الجماهير تنتقي من تثق به مجردا من أنصاره ومؤيديه، جاء مصباح يزدي في المرتبة السادسة بعد من هم أولى منه: علي مشكيني رئيس مجلس الخبراء السابق، ومحمد يزدي رئيس السلطة القضائية السابق، وإمامي كاشاني خطيب الجمعة في العاصمة، وأحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور، وتلاه من هم أقل منه: حسن روحاني ومحسن قمي وسيد محمد خرازي ومحسن كازروني وقربانعلي دري نجف آبادي ومحمد باقر كني ورضا استادي ومحمدي جيلاني ومحمد مرعشي وعبد النبي نمازي. لم يأت هذا الترتيب في الاختيار عشوائيا، وإنما جاء ليعبر عن تقدير الشعب لقياداته الدينية، ومراجعه الذين يسلم لهم أمر دينه ودنياه.

كان اختيار آية الله أحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور المصفي للمرشحين، في المركز الخامس رسالة من الشعب للمشككين في حياده، وإنصافا لدوره في حماية النظام وقوانينه، وثقة في إخلاصه للثورة والنظام الإسلامي، ودعما لمواقفه، كما كان اختيار حسن روحاني في المركز السابع علامة على تقدير الناس لدوره في خدمة الأمن القومي الذي كان أمينا لمجلسه الأعلى ثماني سنوات، وتأكيدا لأن اختيار غيره لهذا المنصب إنما هو تجديد لدمائه وتطوير لعمله، وليس انتقاصا من قدر من كان يشغله، بل لضرورة الاستفادة منه في مجال آخر، ربما يكون أكثر أهمية، ولقد كان اختياره وهو ينتمي للتيار الإصلاحي سابقة في تاريخ انتخابات هذا المجلس، مما يعني أن الجماهير تنتصف للإصلاحيين إذا أحسنوا العمل، وأنها لم تحذفهم من العمل السياسي، بل عاقبتهم على تطرفهم وشططهم، ونسيانهم ما قاموا لإصلاحه، واغترارهم بنجاحهم في كسب ثقة الجماهير، وتوجههم للاستعانة بقوى من الخارج لا يثق الشارع السياسي بصدق ادعاءاتها، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

لقد كان عدد المرشحين في هذه الانتخابات ٤٩٨ مرشحا أي ضعف عدد المرشحين في الانتخابات السابقة، مما يشير إلى أن شهية السياسيين كانت مفتوحة للعمل العام، وهذا يحسب للزعيم السيد علي خامنئي الذي هيأ المناخ المناسب للمشاركة السياسية، وللرئيس محمود أحمدي نجاد الذي كان متحمسا لخدمة البلاد، فأثار بحماسته الشباب والشيوخ، وأثار حوله الجدل فارتفعت حرارة الساحة السياسية، لقد فتح المجال للشباب، فأدرك الجميع أن المرحلة القادمة تتطلب من كل من يجد في نفسه الكفاءة لتمثيل الجماهير في هذه المؤسسات الحيوية التي تحمل طابع الخدمة الجماهيرية أن يتقدم ليحمل الأمانة، ويكمل المسيرة بغض النظر عن انتمائه الحزبي أو الفكري أو القبلي، بغض النظر عن سنه أو جنسه أو مؤهلاته، بغض النظر عن رؤيته الإصلاحية أو المحافظة أو المتشددة.

لقد أدى الاندفاع للمشاركة إلى نوع من التنظيم الفعال، فحرصت الأحزاب السياسية على أن تلتمس القوة من ائتلافها مع غيرها ممن يشاركها أهدافها، بغض النظر عن السياسات والأساليب، هذا الحرص على الأهداف في الائتلافات جعل الائتلاف وحدة، وهذا التساهل مع الأساليب والسياسات، وقبول أساليب الآخر مادام يعمل على نفس الهدف، قد أدى إلى التنوع المطلوب في الممارسة السياسية، لقد كان ينظر إلى الإصلاحيين على أنهم مدنيين ليبراليين، أصحاب فكر فلسفي مفتوح على الغرب، فحقق لهم الائتلاف فيما بينهم خروجا عن هذا الإطار الذي تقوقعوا فيه، وأدى إلى عزلتهم، وخروجهم من القيادة، كما سمح لهم الائتلاف أن يتعاملوا مع فريق كان يظن أنهم من الأصوليين، وخاصة بعض علماء الدين من المجددين، فاستطاعوا بذلك أن يدعموا رؤيتهم قبل أن يدعموا صفوفهم. كما سمح الائتلاف

لأحزاب الأصوليين أن يقوموا بعملية فرز صحية، بحيث يأتلف اليمينيين المحافظين منهم معا، فيكتسبوا صبغة أصولية خاصة لا تشوبها شائبة، وأن يأتلف الأصوليون الثوريون ليشكلوا جبهة تقدمية أصولية، ويتجمع المعتدلون ليحققوا المعادلة، وهكذا يستطيعون منع الانقسام بين الأصوليين، وزيادة مساحة الحركة لأحزابهم، واكتساب قطاعات جديدة من الجماهير العريضة تضمن لهم الأغلبية، لأنهم في النهاية ينتمون لمظلة واحدة يمكنهم التفاهم تحتها، ولهم خطوط مشتركة لا يتجاوزونها. هكذا كشفت الاستعدادات لهذه الانتخابات عن هذه الحركة الواعية للأحزاب السياسية الإيرانية، وذلك النضج الذي استمد جذوره من النضج السياسي للجماهير.

لقد أعلنت الائتلافات السياسية خمسة قوائم: قائمة الجامعتين، أي ائتلاف جمعية علماء الدين المناضلين وجمعية مدرسي الحوزة العلمية الدينية في قم، وبدعم من جمعية المؤتلفة الإسلامية، وتنظيم أتباع خط الإمام والزعامة، وهي القائمة التي تضم المحافظين التقليديين الذين سيطروا على مجلس الخبراء في دورتيه الثانية والثالثة وأغلبية الرابعة، وهم يمثلون اليمين التقليدي المحافظ بكل مبادئه وتوجهاته وجماعاته وأحزابه.

ثم تأتي قائمة النخبة في الحوزة والجامعات، وهم من أنصار آية الله مصباح يزدي، ومؤيدي اتجاه الرئيس أحمدي نجاد، والرافضين لاتجاه وسطية هاشمي رفسنجاني وحسن روحاني، واستهدفوا منع الإصلاحيين من الوصول إلى عضوية مجلس الخبراء، ورغم أن هذا التيار قد ظهر حديثا إلا أنه استحوذ على مواقع قيادية هامة خاصة في السلك العسكري والنظامي والإعلامي والحكومي، ويدعم هذا التيار القطاع الراديكالي من الأصوليين وحزب التعميريين، وهو اتجاه مغال في المذهبية، ويرفع شعار انتظار المهدي الموعود بتهيئة المجال وتحديث الأدوات والوسائل في العمل السياسي، سواء في تعقب الفساد، أو البحث عن العدالة أو رفع الظلم والحرمان عن المستضعفين، مستفيدين من ارتفاع نسبة الشباب في الشعب الإيراني، وقاعدة قوى التعبئة العامة (البسيج) وأنصار حزب الله، والجديد في هذا التيار أنه يريد أن يكسو التدين ثوبا شعبيا، لا أن يكون حكرا على المجتهدين في الحوزة، وذلك في سبيل تقوية بعد الإمامة وولاية الفقيه في القطاع الجماهيري العريض داخل إيران وخارجها.

أما القائمة الثالثة فهي قائمة الخبراء والمجربين، وهو تيار يسعى لأن يتخذ وجها غير سياسي، يرفع شعار الخبرة والتجربة، والاستفادة من العلوم الحديثة والتقنية العلمية، وهو ينتقي ممثليه من مختلف الاتجاهات السياسية مع شرط الكفاءة القائمة على العلم والخبرة، خاصة من بين صفوف الشباب من رجال العلم والجامعات والحوزات الدينية، ويتسمون بالحركة الناعمة دون صدام مع الأحزاب الأخرى، واتخاذ أسلوب عقلاني ومنطقي، وينطلقون من إظهار نظام ولاية الفقيه على أنه رد على الشبهات والخرافات بالعلم والمنطق والمعاصرة. وهكذا يبدو هذا التيار أكثر اعتدالا من التيارين السابقين، وغير معتمد على أي دعم حكومي، رغم انتمائه الأصولي.

القائمة الرابعة هي قائمة الإصلاحيين، وهي تضم أحزاب وجماعات الائتلاف القديم المسمى بائتلاف الثاني من خرداد، وهو يوم تولي الرئيس خاتمي، وهو يضم أيضا مجتهدين من علماء الدين وشباب الحوزات، وعدد من المفكرين السياسيين والليبراليين، وقد خيم طيف استبعاد كثير من مرشحيهم عن طريق مجلس صيانة الدستور لأسباب مختلفة، فضلا عن فشلهم في الانتخابات السابقة على حركتهم السياسية، فكانوا أكثر حدة وصخبا ونقدا للمحافظين واعتراضا على الإجراءات الجديدة للترشيح، وإرجاء إعلان نتائج الانتخابات بدعوى التثبت، إضافة إلى أن معظم مرشحيهم كانوا من الوجوه الجديدة التي تظهر تحت عباءة المخضرمين الذين كانوا يسيطرون على الدورة الأولى لمجلس الخبراء، ثم انحسر مدهم في مواجهة المحافظين.

القائمة الخامسة هي قائمة حزب الاعتماد الوطني، وهي في الواقع وإن كانت تحت مظلة هذا الحزب بأفكاره ومبادئه وأهدافه وتوجهاته، إلا أنها تمثل تكتلا من نوع خاص من الإصلاحيين الرافضين لليبرالية الغربية والمشجعين للتقدمية اليمينية، ومن هنا فقد ضمت تركيبة من الإصلاحيين الأوائل

والإصلاحيين اليمنيين، وقد تعرض هذا الائتلاف أيضا لنقص مرشحيه بسبب تصفية كثير من الإصلاحيين الأوائل.

الجدير بالملاحظة أن هذه القوائم الخمس رغم أن كل منها يتبع تيارا متبلور الرؤية إلا أنها ضمت أفرادا تكرر ترشيحهم بين القوائم، مما يعني أن هناك تداخلا بين رؤى الأحزاب والائتلافات من ناحية، وبحثا عن ثقل القائمة بمرشحين لهم قبول شعبي دون تعارض في الفكر من ناحية أخرى. والملاحظة الأخرى أنه قد تقدم للترشيح كمستقلين أعضاء في هذه الأحزاب والائتلافات السياسية، لم تتضمنهم قوائم أحزابهم، فضلا عن مستقلين آخرين خارج الأحزاب بحكم تمتعهم بدعم قبلي أو شعبي بعيد عن الأحزاب.

على كل حال فإن الجماهير لم تلتزم باختيار قائمة بعينها، واختارت ممثليها دون اعتبار لأحزابهم، فانتقت من تثق فيهم من كل قائمة، بل إنها أبدت اهتماما كبيرا بالمرشحين المستقلين، لا يقل عن اهتمامها بالقوائم الخمس، ومن هنا فقد تشكلت بأمر الشعب توليفة جديدة للمجالس، تمثل أهل الثقة الشعبية، وهو توجه شعبي جديد يحتاج إلى دراسة تفصيلية.

سوف نتابع قراءتنا في نتائج الانتخابات الإيرانية في العدد القادم بإذن الله.



هل سيجدد مجلس الخبراء "البيعة" لخامنئى؟

■ د. مدحت أحمد حماد
مدرس الدراسات الإيرانية المعاصرة - جامعة طنطا

ثمة دوافع عدة تقف وراء طرح السؤال السابق خاصة وأن الجمهورية الإسلامية مقبلة على استحقاق انتخابى خطير يتمثل فى انتخابات الدورة الرابعة لمجلس الخبراء فى ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦، لأن هذه الانتخابات سوف تؤثر نتائجها بشكل أو بآخر على المرشد الأعلى السيد على خامنئى. فمحاولة "فهم" و"قراءة" المستجدات التى يمكن أن تطاول "رأس الهرم" السياسى فى إيران أى المرشد وكذلك الرغبة فى قراءة "الكيفية" والطبيعة التى ستكون عليها العلاقة بين أركان النظام السياسى الإيرانى والانعكاسات المتوقعة لأية مستجدات أو نتائج قد تبدو غير متوقعة، مثل هذه الأمور وتوابعها تشكل الدوافع التى تجعلنا نطرح القضية على هذا النحو.

أما فيما يخص أسباب ذلك الطرح فنظن أن إجراء انتخابات مجلس الخبراء القادمة ثم إجراء الانتخابات الخاصة بمجالس شورى المحليات - الانتخابات المحلية - يشكل أقوى الأسباب التى توجب على المراقب أو المهتم بالشأن الإيرانى أن يتعمد طرح القضية وأن يسعى لفهم وقراءة المفردات وأيضاً المتغيرات التى سوف تحدثها أو تؤكدها تلك الانتخابات، حتى وإن تمحورت تلك المفردات والمتغيرات حول ضرورة "ترسيخ الوضع القائم" فيما يخص هيكل وبنية وعناصر النظام السياسى الإيرانى من جهة ومن ثم الإبقاء على توجهاته السياسية على الصعيدين الداخلى والخارجى من جهة أخرى.

وهنا لابد من الانتباه إلى نقطتين: أ - أننا ندرك جيداً أن حديثنا يدور حول نظام حكم جمهورى فريد فى ذاته ويختلف اختلافاً جوهرياً مع كافة النظم الجمهورية الأخرى فى العالم، حيث يعتبر النظام السياسى الإيرانى هو النظام السياسى الجمهورى الوحيد فى العالم الذى يقول بحتمية وأبدية العلاقة بين الدين والدولة من خلال نص دستورى واضح.(١)

ب - ليس هذا فحسب هو ما يشكل ركيزة النظام السياسى الجمهورى الإيرانى بل ثمة ركيزة أخرى تشكل القطب الثانى التى تأسس عليها النظام السياسى الإيرانى بعد انتصار الثورة الإسلامية فى عام ١٩٧٩ ونقصد بها "ولاية الفقيه"(٢) فى إصرار نوعى من جانب واضعى الدستور الإيرانى على إعطاء فئة محدودة جداً - من بين جميع النخب السياسية وغير السياسية - ميزة فريدة ربما لم يحظ بها أى فئة أخرى اللهم إلا "العسكريين" فى النظام السياسى التركى الذى أسس فى ١٩٢٤ بعد انقلاب مصطفى كمال أتاتورك وسقوط الإمبراطورية العثمانية.

من هناك تأتى "الأهمية الخاصة" الذى تحظى بها انتخابات "مجلس الخبراء" فى إيران حيث تكاد تعتبر هذه الانتخابات الوحيدة التى تبتعد كثيراً - من الناحية الدستورية - عن قبضة "المرشد" أى الولى الفقيه من جهة، كما أنها تشكل فيما يمكن وصفه المجلس الأعلى للإدارة، أعنى مجلس الخبراء، الذى يعد المؤسسة الوحيدة التى تملك تعيين واختيار وعزل وإقالة "المرشد" أى "الولى الفقيه" من جهة ثانية.

يتبقى لدينا تحديد طبيعة "القناعات" التى تنطلق منها هذه الرؤية.

أولا: أننا بصدد عملية تنافسية - صراعية - سياسية فى المقام الأول. إذ لابد من التأكيد على هذه الصفات والسمات باعتبارها قواسم مشتركة فى جميع أنماط ومستويات العمليات الانتخابية.

ثانياً: أننا بصدد إدراك سياسى نخبوى إيرانى معين تجاه منظومة العلاقات الإقليمية القائمة فى النطاق الجغرافى لإيران من جهة وإدراك آخر يتمثل فى ارتفاع مؤشرات الشعور والإحساس بـ "الأنا" فيما بين القائمين على النظام السياسى الإيرانى وما يعنيه ذلك على صعيد الرؤية الإيرانية للقضايا العالمية والإقليمية والطبيعية التى يجب أن يكون عليها دور إيران تجاه هذه القضايا من جهة ثانية.

ثالثاً: لا يمكننا أن نقبل بالتصور الذى يقوم على

افتراض مؤداه أن مرشد الجمهورية لن يتدخل - أو لم يتدخل - فى انتخابات مجلس الخبراء والتى يمكنها أن تأتى بأعضاء سيصبح من حقهم طرح تجديد الثقة فى المرشد نفسه ومن ثم أهليته للاستمرار فى منصبه الرفيع. من هنا يكون لابد من التأكيد على أن تدخلاً نسبياً من جانب المرشد من المتوقع أن يكون قد حدث بالفعل فى المراحل السابقة للانتخابات أو سيحدث أثناء وبعد إجراء هذه الانتخابات.

رابعاً: ثمة قناعة مهمة أخرى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسابقتها وهى عدم استبعاد وجود تدخل نسبى من جانب مؤسسة الارشاد وكل جماعات المصالح المرتبطة بشخص المرشد فى انتخابات مجلس الخبراء.

من الأسباب التى تؤكد صعوبة - بل استحالة - عدم تدخل المرشد ومؤسسة الإرشاد وجماعات المصالح ذات الصلة فى انتخابات مجلس الخبراء تأتى الحالة الصحية الجيدة نسبياً والتى يتمتع بها آية الله على خامنئى.

لكن السبب الأهم يتمثل فى أن "منصب المرشد" هو المنصب السياسى الوحيد الذى لم يحدد بمدة أو بدورة معينة مثلما الحال فى رئاسة الجمهورية، مجلس الشورى الإسلامى، ومجالس الشورى المحلية.(٣) حيث امتنع الدستور عن تحديد "فترة زمنية" ما يبقى فيها قائماً فى منصبه.

فى المقابل حدد الدستور الحالات التى تنهى من وجود "شخص ما" فى منصب مرشد الجمهورية وبشكل فيه غموض كبير، هذه الحالات هى كالتالى:

١ - عجز القائد عن أداء وظائفه القانونية.(٤)

٢ - عجز القائد بسبب أحد الشروط الواردة فى المادتين٥، ١٠٩ من الدستور(٥)

٣ - وفاة القائد أو استقالته.(٦)

ما سبق يعنى أننا أمام احتمالات تقوم على أساس "الدائرة المغلقة" فالعجز أو الوفاة - أو إقالته - بسبب فقدانه أحد الشروط المنصوص عليها فى المادتين ٥، ١٠٩ من الدستور وهذه الشروط هى: ١ - العدل، التقوى، الإبصار بأمور العصر، الشجاعة، القدرة على الإدارة والتدبير (مادة ٥)، ٢ - الكفاءة العلمية اللازمة للإفتاء فى مختلف أبواب الفقه والرؤية السياسية الصحيحة والكفاءة الاجتماعية والإدارية والقدرة الكافية للقيادة. (مادة ١٠٩).

وهنا يكمن أصل القضية التى نحن بصددها وذلك لأن مجلس الخبراء هو المؤسسة أو السلطة القادرة على تحديد مدى فقدان القائد - المرشد - لأحد الشروط السابق ذكرها.

إذ سيكون منطقياً أن يلجأ أعضاء مجلس الخبراء الجدد إلى القول بفقد المرشد - الذى هو هنا السيد خامنئ - فقد أحد الشروط اللازمة للقيادة بهدف عزلة أو إقالته وذلك إذا ما تشكل أغلبية - لم ينص الدستور عليها - من الأعضاء الجدد فى مجلس الخبراء يكونوا معارضين لاستمرار بقاء "آية الله على خامنئى" كقائد وكمرشد للجمهورية الإسلامية فى إيران. السؤال هنا الذى يمكن طرحه بأكثر من صورة وصياغة هو كالتالى:

أ - هل سينجح التكتل المعارض لاستمرار بقاء خامنئ أى قائداً للجمهورية، هل سينجح فى اختراق مجلس الخبراء وبعدد كبير من الأعضاء؟

ب - هل سينجح مجلس صيانة الدستور - من خلال أعضائه الفقهاء الست الذين يعينون من جانب "خامنئى" نفسه - هل سينجح فى إدارة الانتخابات على النحو الذى يقوض من فرص تحقيق صيغة السؤال المطروحة فى (أ)؟

ج - هل سيظل "خامنئى" مكتوف الأيدى تجاه محاولة عزله أو إقالته إذا ما استشعر هو ذلك؟

د - متى يمكن أن يتحقق أى من الاحتمالين (أ) و(ب) بعبارة أدق نقول متى يتحقق الاحتمال (أ) ومتى يفشل الاحتمال (ب)؟

المؤكد أن الإجابة على ما سبق من تساؤلات تبدو شاقة ومجهدة إن أردناها تفصيلية ووثائقية، لكن المؤكد أيضاً أنها لا تعد عملية مستحيلة أو حتى صعبة بشكل ما. مرجع ذلك أنه ربما يكفينا أن نذكر بالآتى:

أ - السلطات الواسعة للغاية التى يتمتع بها القائد أو المرشد الذى هو هنا آية الله على خامنئى وهى - كما وردت فى المادة - ١١٠ من الدستور كالتالى:

١ - تعيين السياسات العامة للدولة بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام ويمثله هنا رفسنجانى.

٢ - الإشراف على حسن إجراء وتنفيذ السياسات العامة.

٣ - إصدار الأمر بالاستفتاء العام.

٤ - القيادة العامة للقوات المسلحة.

٥ - إعلان الحرب والسلم والنفير العام.

٦ - نصب وعزل وقبول استقالة كل من:

- فقهاء مجلس صيانة الدستور.
- أعلى مسئول فى السلطة القضائية.
- رئيس مؤسسة الإذاعة والتليفزيون.
- رئيس أركان القيادة المشتركة للقوات المسلحة

والحرس الثورى.
- القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية.
- القيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلى (الشرطة).
٧ - حل الاختلافات وتنظيم العلاقة بين السلطات الثلاث.
٨ - حل مشكلات النظام التى لا يمكن حلها بالطرق العادية.
٩ - إمضاء حكم تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه.
١٠ - عزل رئيس الجمهورية.
١١ - العفو أو التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم فى إطار الموازين الإسلامية.
ب - النفوذ الواسع الذى يتحقق للقائد - المرشد - داخل أجزاء ومؤسسات النظام على اختلاف طبيعتها ودورها ووظائفها. فللمرشد حق تعيين ممثلاً له - مندوباً عنه - فى:
١ - رئاسة الجمهورية.
٢ - جميع الوزارات.
٣ - المؤسسة القضائية.
٤ - المجلس الأعلى للأمن القومى.
٥ - المحافظات.
٦ - الهيئات المشرفة على صلاة الجمعة داخل كل محافظة.
٧ - الإذاعة والتليفزيون بزعم أن المرشد هو الذى يعين المسئول عن هذه المؤسسة.

معنى ذلك أننا بصدد ما يمكن وصفه - أو تشبيهه - بالقبضة الحديدية للمرشد على هيكل النظام السياسى فى إيران. فإذا ما تذكرنا أن فقهاء مجلس صيانة الدستور وهم الذين صدر قرار تعيينهم من المرشد نفسه، هم أصحاب الصلاحية والاختصاص فى البت فى مدى صلاحية المتقدمين لانتخابات مجلس الخبراء شأنهم فى ذلك شأن المتقدمين لانتخابات مجلس الشورى الإسلامى ورئاسة الجمهورية، فسوف يتأكد لنا إلى أى مدى تبلغ وتمتد طبيعة هذه القبضة الحديدية التى نحن بصدد الحديث عنها.

معنى ذلك أنه من غير المتوقع أن يحدث اختراق "لمجلس الخبراء" عبر الانتخابات القادمة وهو الاختراق الذى تسعى لتحقيقه القوى الليبرالية منذ عدة سنوات عبر المطالبة بألا تقتصر عضوية مجلس الخبراء على "الفقهاء" وحدهم متعللين فى ذلك بأن المجلس يسمى مجلس الخبراء وليس مجلس الفقهاء، أن ذلك يتيح الفرصة للخبراء القانونيين والعلميين الترشح للانتخابات الخاصة بهذا المجلس. من هنا تكون الإجابة بالنفى على السؤال الخاص بمدى الفرص المتاحة أمام القوى المعارضة لخامنئى فى اختراق هذا المجلس وهو ما يشكل ضمنياً الإجابة بالإثبات على السؤال المطروح بشأن نجاح الأعضاء الفقهاء فى مجلس صيانة الدستور فى إدارة الانتخابات القادمة على النحو الذى يدعم من مكانة أية الله على خامنئى.

وهنا يتبقى احتمال يبدو فى حقيقته خطيراً للغاية. ونعنى بذلك الاحتمال وجود ما يشبه "الخيانة" أو "المؤامرة" من جانب - بعض أو كل- الأعضاء الفقهاء فى مجلس صيانة الدستور ضد أية الله على خامنئى. فوجود مثل هذا الاحتمال سوف يشكل حجر الأساس فى مشروع إسقاط "خامنئى أى" عبر الإقالة أو العزل. لكن إلى أى مدى يبدو هذا الاحتمال منطقياً أو قائماً؟ إن الإجابة على هذا السؤال الأخير ترتبط بعنصرين اثنين هما:
(أ) طبيعة العلاقة بين الأعضاء الفقهاء فى مجلس الخبراء وبين خامنئى.
(ب) مدى وطبيعة الاختراق الخارجى- الأمريكى- لمجلس الخبراء.

الواقع أن انتخابات مجلس الخبراء لم تكن لتحظى بمثل هذه الأهمية النوعية العالية إذا لم تكن الأوضاع الإقليمية الدولية بمثل هذا القدر الساخن الذى نعيشه منذ عشر سنوات على الأقل. هذه واحدة وأما الثانية فهى ترتبط بالطموح الإيرانى الذى يقوده المرشد آية الله على خامنئى بنفسه. وهو الطموح الذى باتت كل مؤشراته فى التحقق والثبوت من جهة والذى يقوده البرنامج النووى الإيرانى من جهة أخرى. إن تكليف آية الله على خامنئى علماء إيران وخبرائها وجميع المتخصصين ذوى الارتباط بالعلوم التكنولوجية النووية بضرورة إنجاز البرنامج النووى الإيرانى السلمى وهو التكليف الذى صدر عنه فى إبريل ٢٠٠٤ يشكل حجر الزاوية بل وحجر الأساس فى العلاقة التى باتت تحكم بين إيران كنظام وكشعب من جهة وبين آية الله على خامنئى كشخص وكقائد وكمرشد من جهة أخرى وهى ذات العلاقة التى أسست لشرعية ولمشروعية جديدتين بات يتمتع بهما آية الله على خامنئى منذ إصداره تلك الفتوى وحتى الآن.

نقطة أخرى غاية فى الأهمية والخطورة معاً تتمثل فى شخصية "على خامنئى" نفسه وكذلك فى السمعة التى يتمتع بها داخل إيران منذ -بل وقبل- توليه منصب مرشد الجمهورية بعد وفاة أية الله الخمينى

فى عام ١٩٨٩.

من أهم السمات الشخصية التى تميز آية الله على خامنئى كما لاحظنا ورصدنا الاعتدال فى الطبع وعدم الانفعال وعشقه للأدب- خاصة الشعر- والفنون خاصة الموسيقى. وهى عناصر تجعل صاحبها يتميز بهدوء التفكير والحسم فى القرارات:

أيضاً يتمتع خامنئى "بسمعة" طيبة منذ عام ١٩٨٩ حيث لم يعرف عنه امتلاكه لمؤسسات تجارية اقتصادية، كما لم تذكر أو ترصد وسائل الإعلام الإيرانية انفلاتات أسرية خرجت من أقارب خامنئى تفيد استغلالها للنفوذ المتحقق لخامنئى نفسه وذلك مثلما رأينا بالنسبة لشقيق هاشمى رفسنجانى وأبنائه. أيضاً لم ترصد وسائل الإعلام الإيرانية خروجاً أو تجاوزات لزوجة وبنات آية الله خامنئى، العكس هو الصحيح حيث تبدو هذه الدائرة مغلقة تماماً فلا وجود أو ظهور إعلامى- سياسى لزوجته أو أى من بناته على الرغم من حديث خامنئى الدائم والمتكرر عن الدور التنموى للمرأة وأهمية دعمه وتأكيده.

مما لا شك فيه أيضا أن أياً من غلام حداد على رئيس مجلس الشورى الإسلامى- صهر آية الله على خامنئى ومحمود أحمدى نجاد رئيس الجمهورية، هاشمى رفسنجانى رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام بقرار تعيين أصدره آية الله على خامنئى- وأخيراً هاشمى شاهرودى رئيس السلطة القضائية المعين بواسطة خامنئى، مما لا شك فيه أن أياً من هؤلاء لا يريدون تحولات دراماتيكية فى النظام السياسى الإيرانى، كما أنهم يدركون جيداً أن استقرارهم فى مناصبهم يعد أمراً مرهوناً إلى درجة اليقين بوجود خامنئى على رأس هرم السلطة.

فإذا ما أضفنا أن "غلام حداد على" و"أحمدى نجاد" قد خرجا من "رحم" تيار "التعميريون الجدد" الذى أسسه وشكله خامنئى، وأن المتوسط العمرى لرموز هذا التيار لا يبارح حد الخمسين عاماً وهو ما يفصلهم عن خامنئى بعشرين سنة على أقل تقدير فسوف يتأكد لدينا قناعة مفادها أن طموح هؤلاء التعميريين الجدد لن يصل الآن بأى حال من الأحوال إلى حد امتلاك هرم السلطة أى منصب "القائد" فى النظام السياسى الإيرانى وبعبارة أخرى نقول إنه إذا كان التعميرييون الجدد قد نجحوا فى السيطرة على مجلس الشورى الإسلامى والاستيلاء على منصب رئيس الجمهورية ومن ثم السلطة التنفيذية فإن ذلك لا يعنى بالضرورة أن الخطوة القادمة ستكون هى السيطرة على منصب "مرشد" الثورة وإن كان ذلك لا يعنى- أو لا ينفى- احتمالاً مفاده أن لا وجود لمثل هذه الخطوة لدى التعميريين الجدد.

استناداً إلى كل ما سبق فإنه لا يمكننا القول بأن المناخ المحيط بانتخابات مجلس الخبراء فى إيران يكشف عن حدث ما يمكن أن يؤثر سلبياً على وجود خامنئى على رأس النظام السياسى الإيرانى ومن ثم تكون إجابتنا على ما طرحناه فى العنوان بالإثبات وليس النفى، الأمر الذى يجعلنا أمام استمرار بقاء نفس عناصر المعادلة التى يتكون منها النظام السياسى الإيرانى منذ عام ١٩٨٩ وحتى الآن.

إن هذه النتيجة سوف تعنى الآتى:

٣- لا تغيير ينتظر حدوثه على صعيد العلاقات الخارجية لإيران فى السنوات المتبقية من العقد الأول من هذا القرن.

ب- لا تغيير ينتظر حدوثه فى هيكل السلطة فى إيران.

ج- لا تراجع- أو عدول عن الاستمرار فى البرنامج النووى الإيرانى بوصفه أحد مفردات الشخصية الإيرانية فى القرن الحادى والعشرين.

د- بقاء مفتاح الأمر أو كلمة السر الخاصة بأية تحولات أو تغييرات جذرية فيما يخص الشأن الإيرانى بيد المرشد السيد آية الله على خامنئى وهو ما يعنى أن السبيل أو الطريق إلى إحداث أو حدوث مثل هذه التحولات أو التغييرات سيظل بيد هذا الرجل من جانب أو من خلال "موته" أو الإطاحة به والتآمر عليه من جانب آخر، وإلى أن يحدث أى من هذه الخيارات الثلاث يكون مرجحاً- بالنسبة لنا- أن يجدد مجلس الخبراء- فى دورته الرابعة- البيعة لآية الله خامنئى:

الهوامش:

١- الدستور، المادة ٥/.

٢- الدستور، المواد: ٥، ١٠٧، ١٠٩ بند/ ٣ و ١١١.

٣- الدستور، المواد: ٦٣، ١١٤.

٤- الدستور، مادة ١١١.

٥- نفسه.

٦- نفسه.



نتائج انتخابات الكونجرس فى المنظور الإيرانى

■ سمير زكى البسيونى
باحث فى العلوم السياسية

جاء الفوز الكبير الذى حققه الحزب الديمقراطى فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى التى جرت فى نوفمبر ٢٠٠٦ لتطرح مجموعة من التساؤلات الهامة حول تأثير هذا الواقع الجديد على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وتجاه إيران على وجه الخصوص، وحول قدرة إيران على استثمار هذه الظروف لتحقيق مزيد من التقدم فى برنامجها النووى، والضغط على الولايات المتحدة للاعتراف بالدور الإقليمى لها فى المنطقة، بالإضافة إلى تأثير نتائج هذه الانتخابات على السياسة الأمريكية فى العراق، وتأثير هذا كله على الدول العربية .

فهناك من يتحدث عن تحولات كبيرة فى السياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام وتجاه إيران بشكل خاص، حيث يرى الكثيرون أنه فى الوقت الذى تمثل فيه نتائج الانتخابات ضربة قوية للرئيس الأمريكى جورج بوش وإدارته المحافظة، فهى تمثل فى الوقت ذاته مكسباً جديداً لإيران، فقد اعتبر السيد على خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية أن نتائج انتخابات الكونجرس الأمريكى "تمثل انتصاراً للجمهورية الإسلامية"، حيث ساهمت هذه النتائج فى تحسين الموقف الإستراتيجى لطهران، وحسمت نتائج هذه الانتخابات معركة "الصراع على كسب الزمن" التى كانت تخوضها الولايات المتحدة مع إيران تقريباً لصالح الأخيرة، حيث يمكن لإيران الآن أن تلتقط أنفاسها وتكتسب مزيداً من الوقت لإنجاز برنامجها النووى وذلك فى ظل التوقعات بتراجع الضغوط الأمريكية عليها خلال العامين القادمين بشكل كبير.

ثمة مجموعة من المؤشرات تؤكد أن الأيام القادمة لن تشهد فقط تراجعاً فى حجم الضغوط الأمريكية والأوروبية تجاه إيران بل إنها قد تشهد توجهاً أمريكياً واضحاً تجاه التعاون معها بخصوص العديد من الملفات على رأسها الملف العراقى والدور الإيرانى القوى الذى يمكن أن تساهم به فى عودة الاستقرار للعراق، وذلك لهدف آخر وهو ضمان خروج مشرف للقوات الأمريكية من العراق، من أهم هذه المؤشرات:

١- قيام الرئيس الأمريكى جورج بوش بإجراء بعض التغييرات فى أركان إدارته يأتى على رأسها تعيين وزير دفاع أمريكى جديد هو رئيس المخابرات السابق روبرت جيتس، والمعروف عنه أنه أقل تشددا من سلفه دونالد رامسفيلد خاصة تجاه إيران، حيث يتبنى جيتس فكرة الاستفادة من ايران فى إقرار الأمن والاستقرار فى العراق، فقد جرى تقديم وزير الدفاع الأمريكى الجديد على أنه "من المؤيدين لإجراء حوار مع طهران لحثها على المساعدة فى إخراج قوات التحالف من العراق"، وما يؤكد هذا التوجه الأمريكى الجديد هو أن وزير الدفاع الأمريكى الجديد روبرت جيتس كان عضواً فى لجنة دراسة مستقبل العراق برئاسة وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر التى تدرس الوضع فى العراق وتضم أعضاء من الحزبين وتجرى تقييماً للإستراتيجيات البديلة فى العراق، لكنه استقال عقب توليه منصبه الجديد، منعاً للتضارب فى المصالح .

٢- يشير تقرير بيكر - هاميلتون الذى صدر رسمياً فى ٦ ديسمبر ٢٠٠٦ أن ثمة توجهاً أمريكياً جديداً قد تتبناه الولايات المتحدة تجاه إيران، وتكمن أهمية هذا التقرير الذى يمكن وصفه بـ "خريطة طريق لأزمات الشرق الأوسط" فى أنه يشكل رؤية جمهورية - ديمقراطية للوضع فى الشرق الأوسط. المهم هنا بالنسبة لإيران أن هناك أصوات هامة داخل الإدارة الأمريكية ترحب بنتائج وتوصيات هذا التقرير وعلى رأس هذه الأصوات وزير الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس، فقد أفادت مجلة تايم البريطانية أن "رايس أكثر انفتاحاً على التوصيات خصوصاً لجهة فتح حوار مع إيران"، فقد أوصى التقرير ضمن توصياته التى بلغت ٧٩ توصية الإدارة الأمريكية إلى "بدء سحب القوات الأمريكية الأساسية المقاتلة فى العراق وذلك مع بداية عام ٢٠٠٨، كما دعا الإدارة الأمريكية إلى "فتح مفاوضات مع سوريا وإيران (الجارتين الغربية والشرقية) حول مستقبل العراق، وإتاحة الفرصة لهما فى التأثير على الأحداث فى العراق، وعلى الولايات المتحدة أن تسعى إلى استقطابهما بكيفية بناءة"

٣- نشرت صحيفة واشنطن بوست أن جيمس بيكر رئيس لجنة دراسة مستقبل العراق التقى بمحمد جواد ظريف مندوب إيران الدائم فى الأمم المتحدة وذلك للبحث فى مدى استعداد إيران للتعاون فى عودة الاستقرار للعراق، الأمر الذى يؤكد أن ثمة توجهاً أمريكياً جديداً للتقارب مع إيران. كما نشرت صحيفة "الاندبندنت" البريطانية تقريراً تحت عنوان "أصدقاؤنا الجدد فى الشرق الأوسط" عقدت فيه مقارنة بين المواقف الأخيرة لواشنطن ولندن من سوريا وإيران، حيث تم وصفهما بأنهما "وسطاء سلام"، وبين الموقف منهما عشية الحرب على العراق، وأشارت الصحيفة إلى أن الرئيس الأمريكى جورج بوش ورئيس الوزراء البريطانى تونى بلير "يغازلان اليوم من كان يلومنهما" فى السابق.

٤- المواقف المعلنة للعديد من قادة الحزب الديمقراطى التى دعوا فيها إلى فتح حوار مع إيران وإجراء اتصالات مباشرة معها، وفى هذا الإطار فإن رئيسى لجنتى الشئون الدولية فى مجلسى الكونجرس الديمقراطيين جوزيف بيدن وتوم لانتوس ينتقدان منذ فترة مواقف الإدارة الأمريكية المتشددة تجاه إيران وسوريا وكوريا الشمالية .

٥- تشير استطلاعات الرأى الأخيرة إلى أن الأمريكيين يؤيدون بقوة سياسات الحزب الديمقراطى فيما تراجعت شعبية بوش بشكل كبير الذى اضطر إلى القول بأنه منفتح على كل الآراء والتصورات بخصوص السياسة الخارجية لإدارته خلال الفترة القادمة، الأمر الذى قد يفسح المجال أمام فتح باب الحوار مع إيران بخصوص تعاونها مع الولايات المتحدة فى العراق.

كل هذه المؤشرات تؤكد أن الولايات المتحدة تدرك أن خروجها بشكل مشرف من العراق بات مرهوناً بالتعاون مع إيران للاستفادة من نفوذها القوى داخل العراق.

- العراق مفتاح القوة الإيرانية :

ثمة حقيقة لا يمكن لأحد تجاهلها وهى الحضور القوى لإيران داخل العراق، فقد ساهمت مجموعة من العوامل فى تعزيز هذا الوجود الإيرانى فى العراق، يأتى على رأسها الأخطاء القاتلة التى ارتكبتها الولايات المتحدة فى العراق من خلال فرض نظام الطائفية السياسية والمحاصصة على العراق منذ أول يوم للاحتلال الأمر الذى ساهم فى حدوث اختلال فى توزيع السلطة لصالح القوى الشيعية والأكراد على حساب السنة، وهو الأمر الذى ساهم بدوره فى زيادة وتوسيع النفوذ الإيرانى فى العراق، وتحولت إيران فى الوقت الحالى إلى رقماً صعباً يصعب على الولايات المتحدة وحلفائها تجاهله عند البحث فى أى ترتيبات جديدة فى العراق وعلى رأسها مسألة عودة الاستقرار للساحة العراقية.

المشكلة الآن التى تواجه الرئيس الأمريكى جورج بوش أنه بات يواجه تحديات داخلية وخارجية فى وقت واحد، حيث يتوجب عليه الآن الاهتمام بالوضع الداخلى أكثر من ذى قبل، حيث من المفترض أن تسعى الأغلبية الديمقراطية فى الكونجرس إلى فرض المزيد من الضغوط والعقبات على تحركات الرئيس الأمريكى خلال الفترة القادمة، وفى نفس الوقت على الرئيس بوش السعى للخروج من المستنقع العراقى بشكل مشرف الذى بلغت إجمالى الخسائر الأمريكية فيه، حسب دراسة قام بها جوزيف ستيجليتز الأستاذ بجامعة كولومبيا والحاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد، حوالى ٢٢٦٧ بليون دولار. المشكلة الأكبر التى تواجه الرئيس الأمريكى الآن أنه بات عليه الاختيار بين بديلين للخروج من العراق.

أولهما: الانسحاب أحادى الجانب من دون أى ترتيبات مسبقة مع أى طرف ، من خلال إعادة الانتشار داخل قواعد عسكرية محددة ومتفق عليها وفق جدول زمنى معقول نسبياً وقد يكون كاملاً وخلال فترة قصيرة.

ثانيهما: التفاوض المباشر مع الأطراف القادرة على مساعدة الولايات المتحدة على الخروج بشكل مشرف ويأتى على رأس هذه الأطراف فصائل المقاومة العراقية وبعض القوى الإقليمية ذات التأثير على الداخل العراقى مثل إيران وسوريا. بالطبع من المفترض أن الإدارة الأمريكية تفضل حلاً يضمن لها الانسحاب مع الاحتفاظ بقواعد عسكرية دائمة فى العراق غير أنها تدرك فى الوقت نفسه أن حلاً كهذا لن يكون سهلاً لأنها لو كانت قادرة على التوصل إليه من قبل لما ترددت فى قبوله أصلاً، كما أنها تدرك حجم المخاطر التى قد تترتب على هذا الحل، والدليل على هذا التحذير الذى وجهه وزير الخارجية السابق هنرى كسينجر لإدارة جورج بوش من أن "أى انسحاب عاجل للقوات متعددة الجنسية من العراق يمكن أن تنجم عنه عواقب كارثية من شأنها أن تؤدى إلى زعزعة استقرار الدول المجاورة للعراق وإثارة نزاع طويل الأمد"، وشدد على أن التشاور حول العراق ينبغى أن يشمل إيران. ولم تأت التحذيرات والمطالب من داخل الولايات المتحدة فقط بضرورة إشراك إيران فى الترتيبات المحتملة فى العراق فقد نشرت صحيفة الاندبندنت البريطانية تحليلاً بعنوان "اعتراف متأخر بمكامن القوة الحقيقية على الأرض" اعتبرت فيه أنه "بعد ثلاث سنوات من وصف سوريا وإيران بمحور الشر وبأنهم نماذج للطغيان، والطلب منهم عدم التدخل فى العراق، باتوا الآن مدعوين كي يكونوا جزءاً من الشرق الأوسط الجديد"، وأضافت "شيئاً واحداً تغير فى السنوات الثلاث الماضية منذ غزت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق، وهو تلازم القوة فى الشرق الأوسط، حيث باتت إيران وسوريا تملكان اليد العليا فى المنطقة بعد حرب لبنان، أما بوش وبلير

ورئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت فيلعبون دور البطل الأعرج"، كل هذا يؤكد أن الولايات المتحدة باتت فى حاجة إلى مساعدة إيران للخروج بشكل مشرف من العراق. وهنا ثمة أسئلة تفرض نفسها بقوة أولها، ما هى نوع المساعدة التى يمكن أن تقدمها إيران للولايات المتحدة فى العراق؟، ثانيها كيف يمكن لإيران أن تستغل هذا الوضع لحسم ملفاتها الهامة وعلى رأسها الملف النووى، والدور الإقليمى الذى تسعى إلى القيام به والحصول على اعتراف أمريكى بهذا الدور؟

بالنسبة للمساعدات التى يمكن أن تقدمها إيران للولايات المتحدة فى العراق فيمكن لإيران أن تستغل علاقاتها القوية مع عدد من القوميات المذهبية والعرقية فى العراق لوقف التوتر السياسى والعنف، كما يمكن لإيران أن تتعامل مع بعض الجماعات الشيعية وتعمل على اقترابهم من الحكومة المركزية، كما يمكن لإيران بالتعاون مع سوريا المساهمة فى إنهاء حالة العنف فى العراق من خلال فرض الرقابة المشددة على الحدود ومنع تسريب الأسلحة داخل العراق.

أما ما يتعلق بالسؤال الثانى، فإيران تدرك أن الفرصة باتت مهيأة الآن أكثر من أى وقت آخر لحسم أهم الملفات صعوبة مع الولايات المتحدة وهو الملف النووى الإيرانى فإيران عندما ساعدت الولايات المتحدة فى حربها فى أفغانستان للقضاء على حركة طالبان لم تحصل على مقابل أو ثمن مباشر من الولايات المتحدة، بل على العكس تماماً استمرت الولايات المتحدة فى وضع اسم إيران ضمن دول محور الشر بجانب كوريا الشمالية، وسعت بكافة السبل إلى إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن لفرض عقوبات دولية عليها، ووجهت اتهامات مستمرة لها بأنها ترعى الجماعات "الإرهابية" مثل حزب الله اللبنانى وحركة حماس فى فلسطين، ولهذا ففى حالة العراق وبعد تعثر الحزب الجمهورى فى انتخابات الكونجرس يبدو أن إيران أدركت أن الإدارة الجمهورية باتت بالفعل "بطة عرجاء"، وأدركت أيضاً أن عليها استثمار الفرصة وضرورة الحصول على المقابل أو الثمن نظير المساهمة فى خروج الولايات المتحدة بشكل مشرف من العراق، ومن الواضح أن الثمن الذى ستطلبه إيران للتعاون مع الولايات المتحدة لإيجاد حل يضمن لها انسحاباً يحفظ ماء الوجه سيكون باهظاً فإيران لن ترضى بأقل من السماح لها بالمضى قدماً فى برنامجها النووى السلمى والاكتفاء بضمانات للحيلولة دون تحوله إلى برنامج نووى عسكرى، بالإضافة إلى الاعتراف بالدور الإقليمى لإيران فى المنطقة وتعهد الولايات المتحدة بعدم السعى لإسقاط النظام الحاكم فى إيران.

الحوار الإيرانى - الأمريكى : خصم من الدور العربى

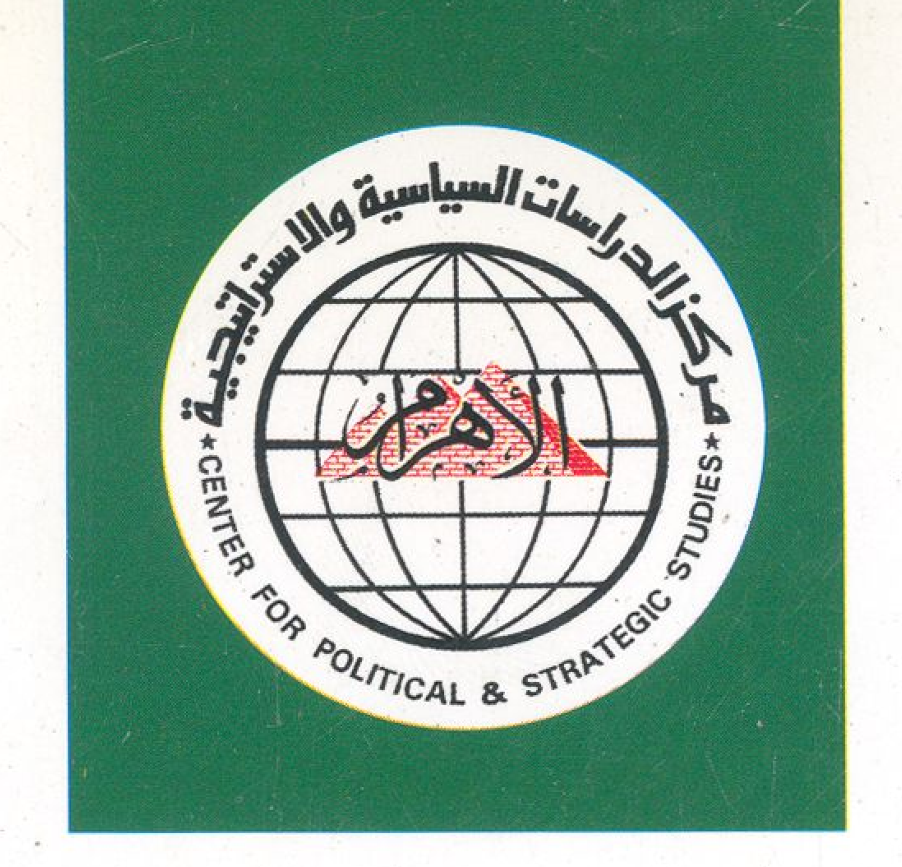
كانت الإدارة الأمريكية تصر دائما على رفض أى دور للدول المجاورة فى إيجاد حل للمشكلة العراقية، بما فى ذلك الدول الصديقة، مثل السعودية ومصر، وقد كان هذا الرفض مدعوم بمواقف مشابهة من قوى عراقية شيعية وكردية، وذلك بدعوى أن الأنظمة العربية المجاورة هى دول سنية بالنسبة للشيعة، ستكون متعاطفة مع السنة، وليست محايدة، والدول المجاورة من ناحية أخرى بعضها يرفض فكرة استقلال كردستان بالنسبة للأكراد، وبالتالى التقت الرغبات الأمريكية والعراقية على رفض أى دور لدول الجوار فى العراق خاصة الدول العربية السنية.

ورغم أن الوضع قد تغير الآن، حيث تسعى الولايات المتحدة، بعد اتساع حجم أعمال العنف فى العراق وزيادة حدة وشراسة المقاومة العراقية، وبعد النتائج السيئة التى حققها الحزب الجمهورى فى انتخابات الكونجرس والضغوط الكبيرة المفروضة على الرئيس بوش، إلى البحث عن استراتيجية مناسبة للخروج من العراق، وإلى التعاون مع بعض الأطراف الإقليمية المهمة للخروج بشكل مشرف من العراق إلا أن اللافت هنا أن كل المؤشرات تؤكد أن التعاون قد يشمل فقط إيران وسوريا وفى هذا اعترافاً بدورهما المؤثر فى العراق، وعلى الجانب الآخر نلاحظ غياب أى حديث عن دور الدول الصديقة للولايات المتحدة خاصة السعودية ومصر، الأمر الذى يعنى أن دورهما، إن وجد، سيكون ضئيلاً فى السياسات والترتيبات الجديدة. فرغم ما يمكن أن تتمخض عنه مسألة التعاون بين إيران والولايات المتحدة من تداعيات سوف تطول فى أغلب الحالات مصالح وأمن الدول العربية إلا أن الملاحظ أن ثمة عزوفاً عربياً عن الولوج مباشرة داخل هذا الأمر والتعامل معه من منطلق الحرص على المصالح العربية وبالتالى يبدو أن الدول العربية تجنى الآن ثمار الصمت وعدم الولوج بقوة داخل الملفات والقضايا التى تمس أمنها القومى ونعنى هنا بالطبع ملفات مثل الملف العراقى والملف النووى الإيرانى، كما تجنى أيضاً ثمار عدم قدرتها على إقناع الولايات المتحدة بدور لها فى العراق.

صحيح أن رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير اقترح فى خطابه السياسى السنوى يوم ٢٠٠٦/١١/١٣ استراتيجية جديدة أطلق عليها "استراتيجية لكل الشرق الأوسط"، وصحيح أيضاً أن تقرير بيكر هاميلتون دعا إلى بناء توافق عالمى من أجل تحقيق الاستقرار فى العراق ويشمل ذلك جميع دول المنطقة، إلا أن هذا لا يعنى أن الولايات المتحدة ستسمح لكل دول المنطقة بالمشاركة فى هذه الترتيبات بشكل متساوى ولكنها ستسمح فقط للدول والأطراف التى كانت حاضرة بقوة منذ البداية واستطاعت أن تحجز لنفسها مكاناً فى الترتيبات الجديدة، وإلا فلماذا تلتفت الإدارة الأمريكية الآن إلى إيران وتعترف بدورها الآن بعد أن كانت تعتبرها ضمن محور الشر؟

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧
الترقيم الدولي : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3

مطابع التجارية - قليوب - مصر



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر "كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. طه عبد العليم

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. محمد عبد السلام.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها د. ألفت حسن أغا.

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها د. محمد السيد سعيد.

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره د. حسن أبو طالب.

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: .http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدرارت المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥ - ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٣٧ ٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر